أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة أبرز قائد ألماني

المشير
فون رونشتد
القائد الإنسان



تأليف

اللواء كونثر بلومنتريت

يس هيئة أركان حرب رونشتد

ترجمة

محمود شيت خطاب

(اللواء الركن)

أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة أبرز قائد ألماني

المشير
فون رونشتد
القائد الإنسان

تأليف

اللواء كونثر بلومنتريت

(رئيس هيئة أركان حرب رونشتد)

ترجمة

محمود شيت خطّاب

(اللواء الركن)

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

القادة العسكريون يستحقون الرثاء اكثر مما نتصور : العالم كله يتصدر للحكم على اعمالهم من غير ان يستمع الى اقوالهم ، والصحافة قلما تذكرهم ، وربما لا يفهم واحد من الآلاف الذين يحكمون عليهم ابسط معاني القيادة حتى لأصغر الوحدات .

فردريك الكبير
ملك بروسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

صدر هذا الكتاب باللغة الالمانية عام (١٩٥٢) ، وسرعان ما تُرجم الى اكثر اللغات الحية .. نظراً لأهمية معلوماته وجدّتها من جهة، ولشهرة مؤلفه والمؤلَّف عنه من جهة اخرى .

لقد ترجمناه عن اللغة الانكليزية متوخين الاطلاع على آراء الجانب الالماني في أهم حوادث الحرب العالمية الثانية ، بعد ان اطلعنا على آراء الحلفاء عنها ، ومن مقارنة آراء الجانبين يمكن استنتاج حقائق الحرب العالمية الثانية بوضوح.

كما توخينا من ترجمته تفهم الاسلوب الحديث في دراسة تاريخ الحرب متمثلة في سير قادته البارزين .

يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن اهم ما يشغل بال العسكريين والمثقفين من المدنيين على حد سواء عن أسرار الحرب العالمية الماضية ، كما انه يجيب بصراحة ووضوح – كشاهد عيان – عن اكثر المشاكل التي حار بتعليلها المفكرون والتي حدثت قبل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية .

ما هي حقيقة نيات هتلر السلمية والحربية ؟ كيف اندلعت نيران الحرب ؟ ما هي حقيقة الجيش الالماني على عهد هتلر ؟ كيف قاتلت مشاته في ابتداء

الحرب ؟ ما هي حقيقة العلاقات الالمانية – الروسية قبل الهجوم الالماني على روسيا ؟ لماذا لم يقم الحلفاء بأعمال حربية خلال انشغال الالمان بالحرب البولندية ؟ ما أثر الدعاوة الالمانية قبيل الحرب وفي أثنائها ؟ كيف أفاد الجيش الالماني من تجاربه في بولندا لاصلاح أخطائه ؟ ما هي حقيقة محاولات هتلر السلمية أثناء الحرب ؟ لماذا سمح الالمان للبريطانيين بالانسحاب من دانكرك سالمين ؟ كيف جرى تطبيق حرب الصاعقة ؟ كيف جرى التقدم الالماني في فرنسا ؟ ما هي عوامل انهيار فرنسا ؟ لماذا لم يهاجم الالمان بريطانيا في عقر دارها حينما كان الالمان في أوج انتصاراتهم ؟ ما هي حقيقة الوضع السائد في روسيا قبيل الهجوم الالماني ؟ ما حقيقة وضع القوات الالمانية في الجبهة الغربية قبيل الانزال ؟ كيف يسيطر الدكتاتور على قواته وقادته ؟ ما أثر نقص الوقود على نتائج الحرب ؟ ما حقيقة كفاءة الاستخبارات الالمانية ؟ كيف دافع الالمان في نهاية الحرب ؟ ما حقيقة تعرض الالمان في الاردن ؟ ما هي مزايا هتلر الشخصية ؟ ما أثر المحسوبية في تقدم القادة الالمان ؟ كيف جنت ألمعية رونشتد عليه ؟ ما هي حقيقة رونشتد القائد الانسان ؟

ستقرأ جواب كل ذلك – وما ذكرناه بعض ما ستقرأه – في هذا الكتاب، يرويها لك شاهد عيان ألمعي يعرف ما يقول ويزن كلامه فلا يلقيه جزافاً على غير هدى ولا بصيرة ، ولسنا بحاجة الى الافاضة في سرد محتويات ما ستقرأه وشيكاً حتى لا نضيع عليك كثيراً من المتعة ، فلنترك ذلك للقراء .

ولله كل الفضل فيما فعلنا ، وله كل الشكر على ما أنتجنا .

محمود شيت خطاب

لواء ركن

مقدمة الطبعة الثانية

نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب بسرعة مذهلة ، لانـــه كان اول كتاب صدر عن وجهة النظر الالمانيـــة في الحرب العالمية الثانيـــة ، من خلال ترجمة حياة اعظم قادة الالمان في تلك الحرب ، وهو المشير فون رونشتد .

كان صدور الكتـــاب في عام ١٩٦٠ اي في اوج انحراف قاسم العراق ، وكان قاسم يعتبر نفسه القـــائد الأوحد ، وكان النـــاس يعرفون حقيقته في القيادة ، لذلك زعم قاسم بان الكتاب وفيه ما فيه من مزايا القائد الحق ، يمسّه شخصياً ويشكك في قيادته المزعومة .

لقد كان رونشتد غير حزبي ، وكان متفرغاً للقضايا العسكرية ، وكان شخصية رصينة تقول الحق وتظهر وجهة نظرها بصراحة حتى لهتلر نفسه .

وكانت فيه مزايا انسانية رفيعة يندر وجودها – في القـــادة العسكريين الالمان والروس والبريطانيين والامريكان... ولعل هذه المزايا هي التي حببت إلي ترجمة هذا الكتاب .

لقد أسر الروس بعض القادة الالمان في (ستالين غراد) وفي غيرهـــا من مناطق الجبهة الروسية ، فكوّنوا من بعض هؤلاء القادة الالمان جمعية (المانيا الحرّة) في روسيا تبث الدعاية للروس ضد الالمان .

ولم يكن رونشتد على وفاق مع هتلر ولا مع نظامه ، ولكنه استنكر بشدة خيانة هؤلاء الالمان لوطنهم الام ، وكان عملهم في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار العسكرية، بل هو (خيانة) قد تؤدي الى ضياع أرواح جنود كثيرين من الالمان في الجبهة الشرقية ....

وحين سمع رونشتد مرة وهو في مقر قيادته الغربية دعاية جمعية (المانيا الحرة) ، علق عليها بقوله : « تستثمر السياسة كل نوع من انواع (الخيانة) ولكنها لا تشرف (الخونة) » ...

هذه الجملة ذات المعاني العميقة الرائعة ، اسكرتني وشجعتني على ترجمة الكتاب واخراجه للناس .

لقد عاونني في ترجمته العميد الركن منير فهمي الجراح مشكوراً ، كما عاونني الاستاذ عبد الرحمن الملاح ، وبذلك خرجت الترجمة قريبة من الكمال ولولا معاونتهما الصادقة لما خرج الكتاب بهذا الشكل دقة وبياناً ...

والله اسأل ان ينفع به العسكريين والمدنيين من ابناء الشعب العربي من الخليج الى المحيط ، وابناء المسلمين في دار الاسلام .

والحمد لله كثيراً ، وأشكره على توفيقه ، وادعوه ان يأخذ بيد العرب الى الوحدة الشاملة لينتصروا في معركة الثأر على اسرائيل، انه سميع مجيب .

محمود شيت خطاب
(لواء ركن)

المقدّمة

بقلم المشير فون رونشتد

حثني كثير من الناس خلال السنوات الثلاث التي قضيتها سجيناً في انكلترا، على ان أكتب قصة حياتي ... ولكنني رفضت دائماً القيام بذلك ، لأنني تخوفت ان يظن الناس خطأ انني أريد ان أبرىء نفسي ، او افسر الحوادث لمصلحتي .

كما انني لا أريد ان أضيف مجلداً جديداً الى سوق الكتب ، إذ ليس فيها متسع لكتاب جديد .

ولا بد لي من التنبيه هنا ، بأنني لم أسجل أبداً أي مذكرات عن حياتي، كما لم أكن أحتفظ بأي نوع من المستمسكات والوثائق .

والآن ، ولأول مرة ، ألبي رجاء شركة (أودهم) المحدودة للطباعة ، بالموافقة على طبع هذا الكتاب الذي قام بتأليفه ضابط ركن الحركات في مقري لبضع سنين خلت ، ثم اصبح رئيس هيئة أركاني بعد ذلك ، وكان دائماً بتماس شديد معي جندياً وصديقاً .

انني متفق تماماً مع كل ما جاء في هذا الكتاب ، ولكنني بالطبع تركت للمؤلف تقدير صفاتي الشخصية كما يريد .

وأرغب ان أصرح هنا ، بأنني عوملت أثناء سجني في انكلترا من البريطانيين والامريكان معاملة مناسبة ، وكثيرون من الانكليز والامريكيين ومن الامم الاخرى ، أبدوا تقديرهم ورعايتهم لي حينذاك مما لا استطيع ان أكافئهم عليه الآن بغير الشكر الجزيل .

ان المستقبل يتطلب من الأمم ان تختار اتجاهاً مشتركاً يوحد اهدافها ، وعسى ان يأخذ الله بيد البشرية لاختياره ...

حقاً لقد اقترفنا جميعاً الآثام والذنوب التي يجب بل يتحتم علينا نسيانها ، ولهذا السبب فقد جاء هذا الكتاب مطابقاً لهواي الصريح ولهوى المؤلف ايضاً ، فهو غير محتوٍ على اي مغمز لأية امة معينة او لأي شخص معين .

يجب ان تعلمنا خبرتنا بالحياة : بأن القضاء والقدر ، أقوى من محاولات البشر .

فون رونشتد

مقدّمة المؤلف

بقلم اللواء كونثر بلومنتريت

غمرني فرح عظيم ، عندما سمح لي المشير فون رونشتد ان أكتب عن سيرته انساناً وجندياً ، وعما قام به من اعمال قائداً من أعاظم القادة الالمان .

عشنا جنباً الى جنب صديقين حميمين جمعتنا روح الجندية الحقة في السراء والضراء وفي ايام الرخاء والشدة .

لقد عرفت المشير فون رونشتد لأول مرة عام (١٩٢٦) حين كان آمراً لكتيبة المشاة الثامنة عشرة الملغاة في مدينة (باديربرن Baderborn) ، ولكن معرفتي به توثقت من عام (١٩٣٢ - ١٩٣٣) لما التحقت بهيئة اركان مقره في برلين . غير انني عرفته تماماً بكل دقة حينما عشنا معاً خلال الحرب العالمية الثانية وأثناء كنا أسيرين بعدما وضعت الحرب أوزارها .

ومنذ ان اندلعت نيران الحرب عام (١٩٣٩) حتى تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٠) أشغلت منصب ضابط الركن الاول للحركات في مقر المشير اثناء الحملة البولونية والحرب في الجبهة الغربية ، وفي نهاية ايلول عام (١٩٤٢) اصبحت رئيس هيئة اركان مقره ، حيث بقيت بهذا المنصب حتى أوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤) .

وأخيراً اشتغلت تحت قيادته آمراً لاحدى التشكيلات في الجبهة الغربية، ومن ثمّ شاركته مصيره أسيرين في انكلترا .

انه رجل لا كالرجال الآخرين .. لم يتظاهر ابداً بالعصمة ، ولكنه كان رجلاً عظيماً يمتاز بالخلق الكريم . ان هذا الكتاب مجمل لتاريخ حياته يصور بإيجاز الناحية الانسانية من حياة المشير ، بالاضافة الى ما قام به من اعمال عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية على العموم .

يتذكر المشير كل شيء عن اعماله الماضية التي تبرىء ساحته وذمته ، ولكنه يتغافل عما لحقه شخصياً من ظلم وعدوان .

وهو لا يشكو ولا يتهم أي انسان، لأنه ينظر الى المستقبل لا الى الماضي، لذلك جاء كتابي مطابقاً لرغبته الصريحة ولرغبتي من هذه الناحية ، وحسب هذا الكتاب ان ينير طريق السلم للمستقبل .

كونثر بلومنتريت
لواء مشاة

١

عائلته وأيامه الأولى

معلومات هـــذا الفصل ، مقتبسة عن الرائد (الرئيس الأول المتقاعد) أودوفون رونشتد شقيق المشير فون رونشتد ، البالغ من العمر الآن أربعـــة وسبعين عاماً والقاطن في ألمانيا ضابطاً متقاعداً منذ سنين طويلة خلت ، فقد اشترك هـــذا الشقيق مع النجل الأوحد للمشير رونشتد وهو الدكتور المؤرخ المرحوم فون رونشتد المتوفي عـــام (١٩٤٨) بتأليف مختصر لتاريخ حياة المشير فون رونشتد .

ومن النادر جداً أن يتطرق المشير رونشتد الى التاريخ القديم لعائلته حتى في دائرة الصفوة المختارة من أصدقائه ، اذ من طبيعته النفور من التحدث عن نفسه ، والمتصلون به يعرفون انه لا يشير الى نفسه الا ناقداً او متهكماً .

ومن المستحيل في هذا الكتاب ، وصف تقاليد عائلته التي تمتد جذورها الى ثمانمائة وخمسين عاماً تقريباً . متى واين عاش اول فون رونشتد ؟ مـــاذا حل به ؟ كل ذلك لا يمكن تقديره اليوم . لقد جاء ذكر عائلة رونشتد لأول مرة في وثيقـــة خطية وضعها (برينكاز) رئيس تشريفات مطران مقاطعة (هالبرشتات) الكائنة غربي الألب في الحافة الشمالية الشرقية من جبل (هارز) والتي كانت حينذاك جزءاً من الدولة الالمانية القديمة ، و (برنكاز) هذا ورد ذكره في السجلات الرسمية القديمة لعام (١١٠٩) .

لقد شارك فرع من هذه العائلة في توطيد دعائم القومية الالمانية في اقطاعية (براندنبرك) الواقعة شرقي الالب . وفي عام (١٣٣١) أسس فرع هذه العائلة اقطاعية قرب (ستندال) الواقعة غربي الالب ، حيث بقيت تحت حكم هـذه العائلة حتى عام (١٩٤٥) .

لقد وجد اسم عائلة (رونشتد) الاصلي في مقاطعة (هارز) ، وقد استقر اسم هذه العائلة في بقايا القلعة القديمـة قرب (هالمشتاد) ، حيث يملك الروس نقطة سيطرة هناك في الوقت الحاضر .

ومن المهم أن نتذكر دائماً ، بأن اكثر الذكور من عائلة رونشتد كانوا رجال الجيش خلال القرون الطوال .

كانت اوروبة في القرون الوسطى وفي اوائـل العصر الحديث غربية الى درجة ملحوظة روحياً وفكرياً ، وعلى الرغم من وجود الحدود السياسية بين حكوماتها ، فقـــد برز اتجاهها الاوروبي الموحد الى العيان بشكل يستحق الاهتمام .

وأخيراً عند ظهور الدول القومية في اوروبة ، فـــأن تقاليد التراث الروماني ومخلفات القرون الوسطى ضاعت ثانية ، ولم تكن عائلة فون رونشتد لتشذ عن ذلك ، بل شاركت مصير كثير من العوائل الالمانية القديمة .

ومنذ عهد التقارب بـــين الدول الاوروبية على عهد الامبراطور شارل الخامس ، نجد ان رجال هذه العائلة من ذلك الوقت يعملون في جيوش الرايخ الالمـاني وفي السلك الخارجي وفي جيوش اكثر دول غربي اوروبة تقريباً . وكمثال، فقد قاتل المشير هانس فون رونشتد تحت لواء (وليم اورانج) بجانب الهولنديين وضد الاسبانيين ، وعندما تكوّن الجيش البروسي خـلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كان من الطبيعي ان ينخرط فيه معظم أفراد

هذه العائلة . كما نجد مرة اخرى العقيد (جواخين فون رونشتد) يلتحق عام (١٧٤٦) بخدمة (الهيسيين) ويذهب الى اسكوتلندا لينضم الى صفوف (آل ستيوارت) الذين كانوا يناضلون للحصول على السيطرة في جيش الحكومة الانكليزية .

كما اشتركت عائلة رونشتد في جميع الحروب البروسية التي خاضها الجيش البروسي عدا حرب الاستقلال الالماني التي نشبت خلال (١٨١٣ — ١٨١٥) .

وفي اوائل القرن التاسع عشر لم يكن في هذه العائلة من الذكور البالغين من يشترك في حرب (١٨١٣ — ١٨١٥) ، وهكذا نجد احفاد هذه العائلة التي تمتد عروقها الى عام (١١٠٩) غالباً ما يتخذون الجندية مهنة لهم في جيوش اوروبة الغربية كافة ، وسنرى فيما بعد كيف تمسك المشير فون رونشتد بتقاليد عائلته العسكرية هذه .

ان كل رجل يرث مزاياه عن طفولته ، والذي يريد أن يدرس شخصية ما ، عليه ان يتحرى ايام طفولتها والبيئة المحيطة بها .

ولد (كريد فون رونشتد) في ١٢ كانون الثاني (ديسمبر) عام (١٨٧٥) في (اسكيرس ليبن) غرب (كويدلنبرغ) وكان الولد البكر من بين اربعة أخوة ، وكان والده حينذاك (ملازماً) في كتيبة الخيالة البروسية الملكية . أما امه (ني فيشر) فهي ابنة عمدة مقاطعة واقعة قرب (ماكدبرك) ، وكانت صغيرة السن حين ولدت بكرها فون رونشتد ، فاستعانت بمربية انكليزية لمعاونتها في تربيته ، فاكتسب فون رونشتد ، من مربيته هذه دون ان يشعر تلقائياً معلوماته في اللغة الانكليزية ، كما اقتبس منها كثيراً من عادات الانكليز .

ان عائلة (فيشر) التي انحدرت من أصلابها والدة فون رونشتد ، هي من (الهيكنوت) الذين فروا من فرنسا الى المانيا من جراء الاضطهاد الديني .

لقد ورث رونشتد عن والدته اكثر مزاياه ، كما يرث اكثر الاطفال مزايا أمهاتهم في الغالب ، ومن تلك المزايا الجرأة الصادقة المتحدرة من دماء الهيكونوت اجداد والدته .

كتب عنه شقيقه مـا يلي : « ورث الذكاء عن أمه وروح الجندية عن أبيه ، وكما هو مألوف في العناية بتربية الولد البكر ، فقد غرست في تربيته الاولى ما يمكن غرسه من الالمعية والعبقرية، وهكذا بلغ شاواً عالياً في الرسم والموسيقى ، اما قابليته في المحاكاة فقد برزت في محاكاته كلام الآخرين .

« لقد احتفظ بألمعيته المنطقية المبتكرة حتى اواخر حياته ، وعندما يكون على خير حال منطلقاً على سجيته بين المخلصين من احبابه الذين ألف مخالطتهم ، فانه لا يقتصر على محاكاة لهجات اللغة الالمانية الدارجة فحسب، بل يحاكي لهجات لغات الشعوب الاخرى كافة ، وكانت محاكاتـه مبتكرة حقاً ، فلا الالمان انفسهم ولا الاجانب من غير قومـه ، يستطيعون السيطرة على ابتساماتهم وضحكهم عندما يريد رونشتد ان يثير فيهم الابتسام والضحك بأسلوبه المنطقي المتحدر الخاص .

« ورونشتد نفسه نادراً ما يضحك ، ولكنـه سريع البديهـة في ارسال النكات الرائعة ، وحتى عندما كان في الكلية العسكرية — كما يقول شقيقه — كان يحاكي رؤساءه في تصرفاتهم وحركاتهم ، واخيراً مارس قابليته هذه على حساب تصرفات وحركات هندنبرغ وهتلر .

« وعندما نقل والد المشير فون رونشتد الى كتيبة الخيالة الثالثـة عشرة في مدينة (مينز) ، التحق بالمدرسة الاعدادية في تلك المدينة ، وبعد تخرجه فيها التحق بالجامعة .

« وفي المسبح العسكري على نهر (الراين) قرب (مينز) حيث كان

فيها يومذاك ولي العهد الامير (فردريك) الذي اصبح بعد وقت قليل الامبراطور فردريك صهر الملكة فكتوريا والذي كان في (مينز) لأغراض تفتيش القطعات العسكرية هناك ، فأخذ يتهارش معنا نحن الصغار في العوم دون ان نعرف هوية زميلنا في اللعب الذي كان أكبر سناً منا حينذاك .

« وفي ذلك الوقت كان هناك جسر (بونتون) فقط على نهر الراين ينبغي رفعه بين حين وآخر لتستطيع البواخر والارمات العبور ، وقد أثار ذلك في نفسي ونفس شقيقي خيالاً عن مستقبلنا .

« تصور شقيقي انه (مشير في الجيش) يقود جيشاً مفروضاً يتقدم من الشمال ، وتصورت نفسي (شقيق رونشتد) (اميرالا) في البحرية يقود الاسطول ، وعلى ضفة النهر كان شقيقنا الثالث (ايبرهارد) يمثل بقبعته الواسعة شحاذاً .

« اشترى السيد (هاربنكتون) ملكاً قرب (مينز) وكان ولده (دوكلاس) زميل الدراسة لفون رونشتد ، فأصبحا صديقين ، لأن بامكانهما تكلم اللغة الانكليزية سوية .

« وفي يوم من الايام أراد (دوكلاس) ان يشاكس زميلاً له في المدرسة لا يحب معاشرته ، فقرر ان يقصف مائدة يوم عيد ميلاد عدوه بلعبة على شكل مدفع ، فدعاني (دوكلاس) وشقيقي (فون رونشتد) للاشتراك بهذا القصف ، ولكن عاصفة هوجاء مفاجئة اكتسحت حفلة عيد الميلاد واضطرت المدعوين الى الالتجاء الى داخل الدار ، وهكذا فشلت مؤامرتنا .

« وقد أراد بعض الاطفال الصغار الافادة من البارود الذي كان معنا لينسفوا به جسراً صغيراً فوق احد روافد (الراين) ... الا ان هذه الخطة فشلت ايضاً لغرق القارب الذي قرر المتآمرون الافادة منه لاجراء هذا

النسف » .

هذه الذكريات عن السنين الاولى من حيـــاة رونشتد ، تدل على طفولة متحررة من القيود ، تلك الطفولة التي قرر خلالها رونشتد ان يكون جندياً، خضوعاً للتقاليد القديمة التي استقرت كمثل أعلى في عقله .

ومن (مينز) نقل والد المشير الى (فرانكفورت) مساعداً[1] لفرقة المشاة الثانية والعشرين التي كان مقرها عام (١٨٨٦) في معسكر المدينة . وفي عام (١٨٨٨) التحق فون رونشتد واخـــوه الى مدرسة التلاميذ العسكريين المستجدين[2] في (اورانين شتاين) وهنـاك تحمل الطفل الذي لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره تدريباً عسكرياً شاقـــاً كان يطبقه حينذاك الجيش البروسي القديم على تلامذة المدرسة العسكرية ، وفي هـذا المحيط شعر رونشتد الصغير اول الامر بحنين شديد الى أهله .

ولم يكن مألوفاً للأشقاء في ذلك الوقت وفي هـــذه المدرسة الاسبارطية بالذات، أن يخاطبوا بعضهم بأسمائهم الشخصية، بل كان المألوف ان يتخاطبوا بأسماء عوائلهم ، ولكن الشقيقين من آل رونشتد لم يتقيدا بذلـــك وبقيا يتخاطبان بأسميهما الشخصيين .

وفي عام (١٨٨٩) جرى تمثيل رواية (كليشت) المسماة الهيرمان شلاخت) على مسرح المدرسة العسكرية، وكان فون رونشتد يقوم بدور المشير الروماني (فاروس) ، وفي اثناء مبارزته ضد ممثل دور الامير الالماني الذي كان متشحاً

---

(١) يطلق على منصب المساعد في الجمهورية العربية المتحدة اسم : اركان حرب .
(المعرب)

(٢) المستجد : هو المدني الذي دخل العسكرية حديثاً ، ويطلق هـذا المصطلح العسكري على تلامذة الكلية العسكرية الأحداث ، وعلى الجنود الذين انخرطوا في سلك الجندية حديثاً .
(المعرب)

بسيف ياباني حقيقي من نوع (ساموراي) جهزه به والده ، هوى بهذا السيف على الخوذة الورقية التي كان يرتديها فون رونشتد ، فأحدثت هـــذه الضربة جرحاً بليغاً في رأسه .

وفي عام (١٨٩٠) نقـــل فون رونشتد الى الكلية العسكرية للتلاميذ الأقدمين في (ليختر فيلد) حيث مارس تدريباً أشد عنفاً هناك . وقـد ساهم مـــع تلاميذها في مراسيم تبديل الحرس ، وعندما دعـــا القيصر القوات الاحتياطية للخدمة ، اشترك التلاميذ في التدريب الاجمالي (المناورات) مـع تلك القوات ، وعندما توفي الطاعن في السن المشير فون (مولتكه) عـــام (١٨٩١) ، انتظمت تلامـذة الكلية العسكرية على جانبي الطريق حيث مرّ النعش من بينهم ، وكانوا قد أجروا قبل ذلك عام (١٨٩٠) استعراضاً أمام بناية هيئة الاركان العامة بمناسبة عيد ميلاد (مولتكه) التسعين. كان رونشتد في طفولته كأي طفل آخر ، وحقيقة طفولته يوضحها شقيقه الذي كان معه في الكلية العسكرية اذ يقول :

« كانت المراقبة غير كافية في الكلية، وكانت متطلبات النظام فاشلة تماماً بالنسبة لبعض المعلمين، وكان رونشتد يشارك الآخرين في الاعيبهم في الصف.

(وفي يوم من الأيام كان احـــد المعلمين يتلكأ على باب الصف ، فناداه رونشتد باسمه قائلاً له : والآن ستدخل الصف أم ستذهب عنا ؟... فسجل المعلم وهو الدكتور (رايخ) اسم رونشتد في سجل المذنبن عقاباً له ، وكتب ازاء اسمه الملحوظة التالية : (رونشتد وقح وعنيف) ...

« ولما عرض هذا السجل على المراقب العسكري الذي كان برتبة رئيس ، اعتبر هذه الملحوظة ثناء على رونشتد فمنحه اجازة خاصة يقضيها في برلين .

« تبدأ العطلة الاسبوعية عـادة بعد الصلاة في الكنيسة يوم الأحد ، وفي

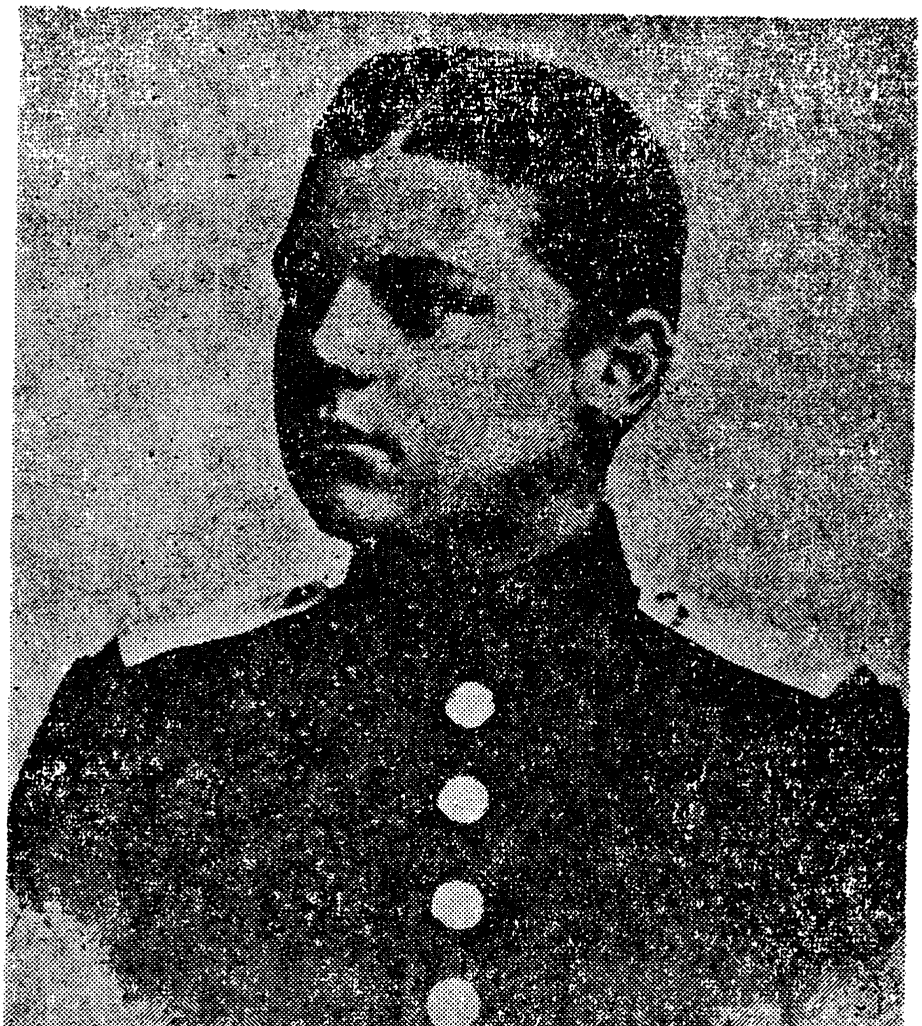
احدى هذه العطل ، حاول التمتع بالاجازة مبكراً ، فزعم انه يريد مرافقة جدته المسنة في ركوب الخيل في الغابات ، ولو ان جدتـــه في الواقع كانت مريضة في المستشفى ...

لقد انتشرت جيداً أمثال هذه النكات عن رونشتد بين أصحابه .

اجتاز رونشتد عـــام (١٨٩٢) الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة نائب ضابط حربي مشاة وفي تلك الايام كان أمر اختيار اي صنف مـــن صنوف الخدمة الثلاثة : المشاة والخيالة والمدفعية ، متروكاً لرغبة الضباط الاحداث الطموحين من خريجي الكلية العسكرية .

كانت رغبة رونشتد في الالتحاق بصنف الخيالة ، فأبوه ضابط خيال في فرقـــة (الهوسار) ، كما ان مزاياه العقلية تنطوي على سرعة الخاطر والحزم والمقدرة على الانتقال من واجب الى آخر بكفاءة وسرعة ، كل ذلك يؤهله للانتساب الى صنف الخيالة ، غـــير ان الموارد المالية المحدودة لعائلة والده المؤلفة من أربعة ابناء لا تفي بمطالب هـــذا الصنف الذي يحتاج الى نفقات باهظة ، لذلك اتجه رونشتد الى صنف المدفعية ، فلم تتحقق رغبته بالانتساب الى هـذا الصنف ايضاً ، لكثرة طلبات الضباط الاحداث ولشدة رغبتهم في صنف المدفعية حينذاك .

وفي سن السادسة عشرة التحق النائب الضابط الحربي فون رونشتد بالمشاة في الكتيبة الثالثة والثمانين الملكية البروسية في مدينة (كاسل) حيث قضى خدمته فيهـا لمدة ستة اشهر كأي ضابط صف او جندي بالضبط ، وفقـــاً للتقاليد الالمانية ، وذلك ليكون متفهماً وثيق الصلة بحياة الجندي الذي يتولى قيادته ! وفي سنة (١٨٩٢) التحق بالكلية العسكرية في (هانوفر) حيث اجتاز الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة ضابط ، فأصبح برتبـة ملازم ثان في حزيران (جون) سنة (١٨٩٣) .



رونشتد في المدرسة العسكرية للمستجدين

سنعالج فـترة حياتـه من (١٨٩٣ – ١٩١٤) بايجـاز : أتاحت حامية كاسل بوجودهـا الكبير وصنوفهـا المتعددة لرونشتد فرصة نادرة للاطلاع على تنظيم واسلوب الخدمة في الجيش وعلى اعماله الشاقة الرتيبـة ، وبعد بضع سنوات نقل الملازم الثاني فون رونشتد الى مدينـة (ارولسن) لكي يشغل منصب مساعد في كتيبة المشاة الثالثة والثمانين التي كانت هناك .

كانت (أرولسن) عاصمة امارة (ولديك) وهي من الامـارات التي تولت الحكومة البروسية تنظيم الأعمال فيها وادارتهـا ، فلم يبق بعد ذلك لاميرها الشاب ما يعمله ، فأصبح بلاطـه رمزياً او صورة مصغرة للبلاطات الحقيقية ، لهذا السبب وجد هذا الامير متسعاً من الوقت ينفق اكثره ضيفـاً على مطعم الضباط حيث كانت له علاقات وطيدة طيبة بالملازم الثاني فون رونشتد .

أما طراز الحياة في هذه المدينة ومدى تشابه النظام فيها بالنظام القبلي ، فيمكن ادراكه اذا علمنا ان مواطنيهـا الطيبين كانوا حينذاك يتطوعون لحمل ملازمي الحامية في الايام المطيرة ذات الأجواء الرديئـة على ظهورهم حفظاً لاحذيتهم الجلدية الطويلة اللماعة من البلل ، ولتبقى نظيفة صالحـة لحفلات الرقص في بلاط الامير .... ، ولقد حدث في مناسبة من هذه المناسبات ان سقط فون رونشتد سقطة منكرة من فوق ظهر الرجل الذي يحمله ، فتلوثت ملابسه وحذاؤه بالوحل ، فأمّن له الامير ما يزيل عنـه الوحل ويعيد اليـه نظافته ، واستعان لهذا الغرض بمناديل المـائدة وبالثلج الذي استخرج من أوعية الشمبانيا .

ولم يكن في هذه الفترة في (أرولسن) سيارات حتى ولا عربات تجرها الخيول .

وفي احدى هذه الحفلات التقى فون رونشتد بالاميرة الشابة (وهلمينا)

التي كانت تقيم في بـلاط الامير والتي اصبحت فيما بعد ملكـة (هولندا) ، فأعجب بها اعجاباً شديداً .

تزوج رونشتد بعد عودته الى (كاسل) سنة (١٩٠٢) من (لويزفون كوتز) ابنة رئيس اول متقاعد يسكن هناك ، وفي سنـة (١٩٠٣) رزق طفلاً شب ليكون بعد ذلك مؤرخاً لا ضابطاً خلافاً لكافة تقاليد عائلتـه ، اذ انه بعد ان دخل مختلف الجامعات واجتاز امتحـانات الدولة وحصل على لقب (دكتور) انهمك في عمله باحثاً ومؤرخاً الى ان اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، وقد رافق اباه منذ سنة (١٩٤٣) في ميادين القتال ، وكان معه في سجنه بانكلترا ، ثم توفي سنة (١٩٤٨) في (هانوفر) .

لقد سمحت السلطات البريطانيـة بتأييد من مونـكومري – باجـازة لرونشتد للطيران من انكلترا الى المانيـا في عيد ميلاد سنة (١٩٤٧) لرؤية ولده الذي توفي بعد ذلك بقليل .

وفي سنة (١٩٠٣) عندمـا كان رونشتد يشغل منصب مساعد كتيبة المشاة الثالثة والثمانين اجتاز الامتحان الذي يؤهله لدخول دورة مدتهـا ثلاث سنوات في كلية الاركان ببرلين ، وفي هـذه الدورة كان الدرس المفضل لديه هو درس التعبية .

وبعد انتهاء مدة الدورة عُيِّن فون رونشتد في (هيئة الركن العامـة الكبرى) كما كانت تدعى حينذاك ، وبعد قضاء مدة تجربته وهي سنة ونصف نقل الى هيئة الركن العامة برتبة رئيس ، وطبقاً للانظمة السائدة في الجيش كان عليه ان يعود الى الوحدات ، وقد عاد اليهـا واشغل منصب آمر سرية في كتيبة المشاة الـ (١٧١) في مدينة (كولمار) بالالزاس .

وقد استمرت خدمته بعد ذلك وفقاً لاسس الجيش الموضوعة بدقة والتي طبقها الجيش الالماني منذ سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤) .

٢

نهاية الجيش القديم

لا شك في ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) مادة بحث على جانب عظيم من المتعة للمؤرخ ولرجل الحرب الممتهن ، اما القارىء الاعتيادي فلا يستمتع بها في الوقت الحاضر الا قليلاً . لهذا السبب سنقتصر هنا على إيراد الحقائق الرئيسية التي تتعلق بأعمال فون رونشتد خلال هذه الحرب .

كان فون رونشتد برتبة رئيس عند اندلاع نار الحرب العالمية الاولى ، منتسباً الى هيئة ركن الفرقة الاحتياطية الثانية والعشرين ، التي كانت تعمل في الجبهة الغربية ، وكان منصبه هذا يعادل منصب (ضابط الركن الاول قسم الحركات) في الجيش البريطاني ، وقد لعبت هذه الفرقة دوراً هاماً في معركة (المارن) ، وذلك بقضائها على محاولة قام بها الجيش الافرنسي من باريس لتطويق الجناح الأيمن للجيش الالماني ، وكانت هذه الفرقة هي التي استطاعت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ان تكون على اقرب مسافة من العاصمة الفرنسية بحيث كانت تستطيع مشاهدة برج (ايفل) من بعيد .

كان رونشتد خلال تلك الايام المليئة بالحركات الفعالة ، المحور المحرك لهذه الفرقة حسب المعلومات التي أدلى بها شهود العيان كافة ، كما كان مصدر الهدوء والاتقان في قيادتها ، وهذه امور لا يمكن تقويمها بثمن ، على الأخص بعد ان أصيب قائد الفرقة بجراح خطيرة .

وعندما بدأت حرب الخنادق في الغرب عُيّن رونشتد في الحكومة العامة في (انتويرب) ، وفي ربيع سنة (١٩١٥) جرى تعيينه مرة اخرى بمنصب ضابط ركن لفرقة اشتركت بعد ذلك في الجبهة الشرقية بالهجوم على (نيرو)، وبانتهاء الحركات هناك أرسل فون رونشتد الى الحكومة البولندية العامة في (وارشو) التي كان الحاكم العام فيها حينذاك الجنرال (فون بسلر) وفي سنة (١٩١٦) تخلى عن منصبه في الجبهة الشرقية وعُين رئيساً لهيئة ركن فيلق في (الكربات) في هنغاريا .

وكان القائد الذي يتولى قيادة الفيلق المذكور حينذاك غير محبوب ، فعندما قدم رونشتد نفسه لأول مرة لهيئة الركن شعر ببرود من جانب ضباط الركن الآخرين . وفي احدى الأماسي قال له احد الملازمين المرحين : « حقاً ايها الرئيس الاول ! انك طيب تماماً » . فأجابه رونشتد قائلاً : « ولمَ ؟ هل فكرت انني خلاف ذلك ؟ »، فاستطرد الملازم مجيباً: « حسناً ! لقد أسرف القائد في إطرائك ، وكنا نخشى ان من يحظى بمثل هذا المديح منه لا بد وان يكون مثله صعب المراس فظاً » .

وفي منصبه هذا تسنى له معرفة الجيش القديم للنمسا والمجر على حقيقته ، كما برزت خلال ذلك موهبة رونشتد العظيمة التي يفتقر اليها الالمان الآخرون، تلك الموهبة هي تجاوبه الروحي مع مرؤوسيه وحكمته في قيادته القطعات التي تعمل بأمرته ، وسأشير الى هذه الموهبة مراراً عندما سأتطرق بالبحث الى الحرب العالمية الثانية .

وفي خريف سنة (١٩١٧) عُين رئيساً لهيئة ركن الفيلق الثالث والخمسين في الجبهة الشرقية ، وكان هذا الفيلق في ذلك الوقت قد أحرز نجاحاً في التقدم حتى بحيرة (بيبس) .

وفي المدة الباقية من الحرب أشغل الرئيس الاول الركن رونشتد منصب

رئيس هيئة ركن الفيلق الخـــامس عشر في الجبهة الغربية ، وبقي في هذا المنصب حتى نهاية الحرب .

ولرونشتد وجهـــات نظر شخصية قيمة حول إدارة الحرب الالمانية في الحرب العالمية الاولى : منها انه اعتبر ان خسارة المانيا لمعركة المارن في سنة (١٩١٤) كان نتيجة لتخفيف الجناح الأيمن للجيش الالماني خلافاً لخطة (شليفن) التعرضية الاولى ، كما ان هيئة ركن القيادة للجيش لم تقم بواجباتها في قيادته بحزم نظراً لأن مقرها كان بعيداً في الخلف ، كما ان القيـــادة العنيدة لجيش الجناح الأيمن (فون كلوكه) سببت جعل هذا الجناح برمته في موقف حرج يصعب انقاذه منه .

وضعت معاهدة (فرسايل) في سنة (١٩١٩) نهاية لتقاليد الجيش الجرماني البروسي العريقة ، وكانت هذه التقاليد قد بنيت على الخدمة العسكرية العامة ومرتبطة بقسم ولاء لأرض الآباء والملكية المطلقة . انه كان جيشاً ملكياً ثم جيشاً امبراطورياً بعد ذلك ، مما أدى الى اتصال طبيعي بين الضباط وشخص العاهل الحاكم . ومن سنة (١٨٧١) الى سنة (١٩١٤) عاشت المانيا وجيشها في سلم أمده ثلاث واربعون سنة .

لقد كان واضحاً ان ضباط هذا الجيش كانوا قد انصهروا في بوتقة واحدة ضمن نسيج الجيش الداخلي ، وجرى تدريبهم على أفكار منسجمة . لقد كان لذلك بطبيعة الحال محاذير ، ولكن كان له ايضاً مزايا عظيمة .

تمتد جذور هذه الوحدة في الأفكار الى تقاليد أعرق في القدم كثيراً من عام (١٨٧٠ — ١٨٧١) ، فان بروسيا وبافاريا وروتنبرغ وسكسونيا وبادن وهيس كلها كانت دويلات المانيـــة مستقلة ذوات سيادة وحكم ملكي قبل سنة (١٨٧٠) . وكانت جيوشهـــا تتدرب وفقاً لتقـــاليدها الخاصة واتجاهاتهـــا الفكرية ، وبامعان النظر في تطور المانيا التاريخي والسياسي نرى أن بروسيا

أخذت تتعاظم تدريجياً ، ولكن الروح والمميزات الخاصة بالدويلات الالمانية التي كانت سائدة في سنة (١٨٧١) بقيت حتى سنة (١٩١٤) واضحة ومحافظاً عليها ، وكان الجيش الالمـــاني من سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤) المرآة العاكسة للنظام الالماني الامبراطوري البسماركي .

وكانت المانيا وجيشها دعاة وحدة (فدرالية) تجمع الدويلات الالمانيــة في وحدة مشتركة مع احتفاظ هذه الدويلات الاعضــاء بمميزاتها ، ولكن في الواقع كانت دولة مؤلفة من عدة دويلات لضم الشمل وجمـــع القوى لتنفيذ المخططات المرسومة .

وكانت لهذه الدويلات المختلفـــة وعلى الاخص بافاريا كثير من الحقوق الخاصة والصلاحيــات المستقلة المتوغلة في الشؤون الادارية ، وفضلاً عن ذلك فان الجيش البافاري الملكي لم ينضو الى قيادة القيصر الا في التعبئة العامـــة ، اذ بقي جيشاً منفصلاً ضمن اطار الجيوش الموحدة. وعلى كل حال مهما اختلفت التقاليد بين جيوش المانيا ، فقد كان هناك بين ضباط الجيوش المختلفة انسجام في النزعة الملكية والمخططات العامة ، وكانت هذه التقاليد الخاصــة بالجيوش الالمانية المختلفة قديمة قدم تقاليد الجيوش الاوروبية الاخرى ، اما مصدرها فكان القرن السابع عشر عندما كانت فرنسا النموذج الذي تحتذيه الشعوب الاخرى كافة . لقد كان الجيش الافرنسي بقيـــادة لويس الرابع عشر مثلاً تجاريه الدول الالمانية ، فالمصطلحات الفنية العسكرية اشتقت عن الافرنسية على نطاق واسع . ان من المهم ابراز هذه الحقائق ، لان رونشتد انحدر من اسرة نبتت قروناً عديدة في تربة مشبعة بالمثل التي تمت بصلة الى الحكم الملكي المطلق ، لذلك كان من الطبيعي ان يعارض رونشتد الاشتراكيــة الوطنيــة (النازية) باعتبار ان ذلك عالم بعيد عنه بعداً عظيماً .

لقد وضعت معاهدة (فرسايل) سنة ١٩١٩ نهاية للرايخ الالماني القديم ،

فكان على الملك ان يعتزل وان يطوح بعرشه ، كما كان على المانيا بعد حقبة طويلة من تاريخها الملكي ان تختار لنفسها النظام الجمهوري ، وبنتيجة ذلك فان الاسس التي كان الجيش يرتكز عليها زلزلت تحت اقدامه الى حد بعيد واخذت بالزوال ، فآثر الكثيرون من الضباط التقاعد بعد ان عصفت الايام بما اتخذوه لهم مثلاً وشعاراً ، لذا لم تخلق (فرسايل) الجمهورية الحديثة فحسب بل خلقت القوات المسلحة الالمانية الحديثة ايضاً .

لقد اعطي شعب يسكن قلب اوروبا ويتألف من (٦٨) مليوناً الحق في الاحتفاظ بجيش قوامه حوالي اربعة آلاف ضابط وستة وتسعين الفاً من ضباط الصف والجنود فقط ، ناهيك حرمانه من الاسلحة كافة حتى المدفعية الثقيلة . كما ان وجود ثماني عشرة كتيبة خيالة في ملاكه قلل من قيمته الحربية ، لأن هذا الصنف في سنة (١٩١٩) فقد الكثير من اهميته : للتطورات الفنية العسكرية الحديثة التي ازدهرت حينذاك ، ولعل خلق وحدات غير متكاملة كان اقل سوءاً بالنسبة لهذا الجيش المستحدث الصغير من الغاء الخدمة الاجبارية التي ارتكز عليها الجيش الالماني منذ ما يزيد على المائة عام . وضعت (فرسايل) اسس جيش ممتهن كان على الضابط الذي يخدم فيه ان يتعهد بالخدمة لمدة (٢٥) سنة ، وكان على ضابط الصف والجندي ان يتعهدا بالخدمة لمدة اثنتي عشرة سنة . وكان هذا النظام غريباً عن الالمان ، لذلك احتاج هذا الجيش الصغير الى بضع سنوات كي يراه الالمان شيئاً .

لقد اختلفت الدوائر الالمانية في تفسير كنه هذا الجيش ، فالتي كانت في اقصى اليمين زعمت انه جيش أحمر ، والتي كانت في اقصى اليسار زعمت انه جيش الف ليكون اداة مناوئة للحركات الشعبية .

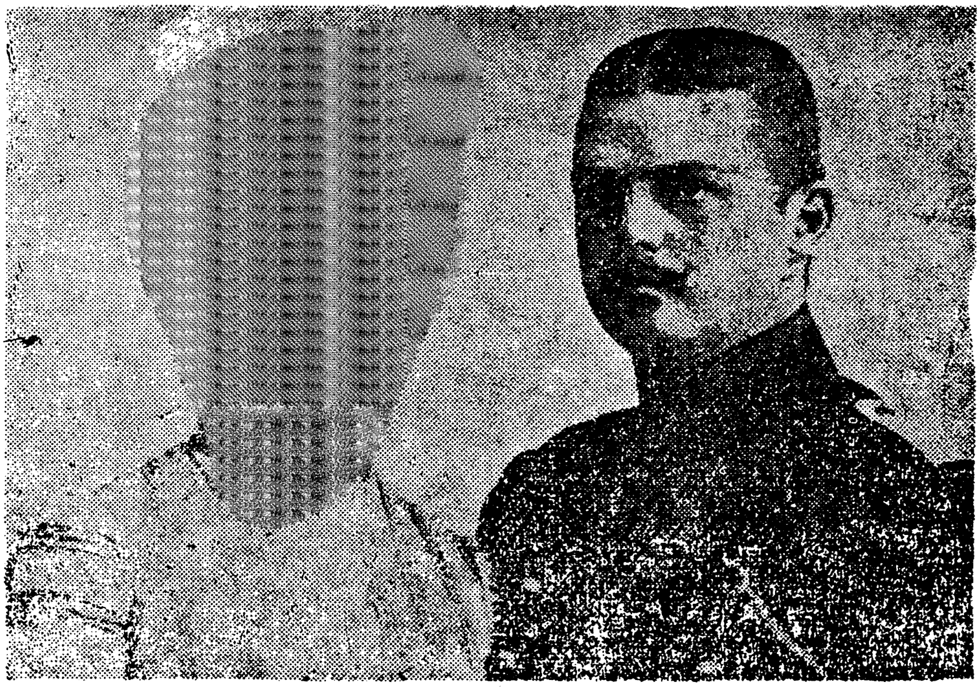
لذلك لم تكن الامور ممهدة للقوات المسلحة الالمانية في سنيها الاولى ،

لكن القائد المبرز (رين هارت) من (ورتنبرغ) كان ذا الفضل في تمهيد الطريق امام هذا الجيش خلال الفترة الحرجة التي اعقبت الحرب ، غير ان (فون سيكت) يستحق من الاطراء ما يفوق ذلك ، اذ افلح في تقوية هذه القوة المتواضعة للجمهورية الحديثة بصمت ، فقد قام بتدريبه تدريباً يمكن اعتباره نموذجياً بالنسبة لزمانه . ان التوتر الداخلي الذي ساد المانيا بعد سنة (١٩١٩) وتطاحن الاحزاب وتضارب الآراء، كل اولئك دفع فون (سيكت) الى ابعاد الجيش الالماني عن معترك السياسة ، فلم يقحمه تياراً سياسياً ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وكان الضباط الالمان يمتازون بانهم غير سياسيين ؛ فقد لقنوا بحذق طوال أجيال عديدة ومنذ نعومة أظفارهم الابتعاد عن شتى الاتجاهات السياسية ، وهذا هو السبب الرئيسي لبقائهم غير مؤثرين في كل ما نبت في المانيا من اتجاهات سياسية جديدة .

لقد نددوا بالجيش القديم في مناسبات كثيرة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها لانه لم يؤثر في الاتجاهات السياسية ، وأخيراً أصبح لزاماً على الضابط أن يكترث بالحياة السياسية لبلاده باعتباره مواطناً ومرشداً وقائداً للجنود الشباب ، فاقتضى الامر قيام الحكومة بالاشراف العام على تعليم هؤلاء الضباط الذين هم أداتها ايضاً التفكير السياسي دون أن يؤدي ذلك الى انهاك في العمل الايجابي في الاحزاب خارج الخدمة ، لان انهاكهم في الاعمال الايجابية للاحزاب يؤدي الى نتائج وخيمة ، اذ يصبح الجيش ممزقاً بالاتجاهات السياسية ، ولن يكون ذلك جهازاً فعالاً يمكن الدولة من الاعتماد عليه بل سيكون جهازاً ضعيفاً مفككاً .

كان رونشتد موغلاً في تلك الافكار القديمة التي هجرت وعفى عليها الزمن ، لذلك كان بفطرته على طرفي نقيض مع كل شيء (سياسي) . أما



رونشتد وزوجه

(سيكت) فقد انطلق حينذاك لابعاد الجيش عن السياسة ، وعمل جاهداً أن يجعل القوات المسلحة الالمانية فوق الاحزاب ، ولكن من الضروري في الجمهورية وجود بضعة أفراد في القمة تكون معنية بالقضايا السياسية ، اذ لا مناص من أن تكون هناك حلقة ارتباط بين الجيش الصغير وحكومة الرايخ وبرلمانها ، فأدى ذلك الى وجود بضعة ضباط في وزارة القوات المسلحة الالمانية ، كان عليهم أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة والاحزاب ولكنهم كانوا أفراداً يعدون على الاصابع

وقد ظل الجيش وضباطه على العموم بعيدين عن السياسة حتى خلال فترة الجمهورية الممتدة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣) .

هذه الطريقة لم تكن رديئة لانها أمنت للجمهورية جيشاً يمكن التعويل عليه ، ومن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) كانت القوات المسلحة الالمانية في أغلب الاحيان هي القوة السائدة الوحيدة لحكومة الرايخ ، وبقي الضباط ذوو النزعات القديمة والذهنية المشبعة بأفكار الحكم الفردي المطلق موالين للجمهورية خلال تلك الفترة، وبرهنوا على ذلك أكثر من مرة عندما حدثت بعض الاختلافات الداخلية .

لم يحتفظ رونشتد مطلقاً بمنصب يزج به في الشؤون السياسية لمدة طويلة ، فمن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) اشغل مناصب عسكرية محضة سواء كان ذلك في هيئة الاركان العامة أو في الوحدات .

لن يكون قارىء هذا الكتاب مكترثاً بالسرد الطويل لاعمال رونشتد خلال هذه الفترة، فقد أردت أن أوضح بكل بساطة خلق رونشتد واتجاهه الفكري العام لا أن اصنف ثبتاً مشحوناً بتواريخ الحوادث ؟

ويكفي أن تعلم انه بين سنة (١٩١٩) — ١٩٣٣) اشغل تقريباً مناصب

هيئة الركن العامة كافة الموجودة حينذاك ، وعلى الاكثر مناصب رئاسة هيئات الركن . مثال ذلك فرقة الخيالة الثالثة في المنطقة العسكرية الثانية (فرقة المشاة الثانية) والفيلق الثاني ، كما اشغل مناصب قيادة الوحدات الفعالة (آمر وحدة) فكان آمراً لكتيبة المشاة الثامنة عشرة التي كانت من قطعات فرقة الخيالة الثانية حينذاك . ثم قائداً لفرقة الخيالة الثانية ، وكانت هذه الفرقة في المنطقة العسكرية الثالثة (فرقة المشاة الثالثة) في عاصمة الرايخ برلين .

وبعد ذلك أي في زمان هتلر ، اصبح قائداً للفيلق الاول في برلين، وهو الفيلق المؤلف من فرقة المشاة الرابعة وفرقة الخيالة الثانية .

وفي سنة (١٩٣٢) أعلنت حكومة فون (باپن) وفون (شخلر) حالة الطوارىء، فاضطر رونشتد مكرهاً حينذاك الى التدخل في الشؤون الادارية لبضعة أيام بسبب المنصب الذي كان يشغله في برلين حينذاك ، وقد اقدم على انجاز واجبه وسيطر على الموقف بحكمة ودراية في مجال غريب عنه .

واكبت هذه الحقبة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣) الحركة الجديدة التي بدأت في النمو ، الا وهي اشتراكية هتلر الوطنية (النازي) ...

وحري بنا أن نثير الانتباه الى حقيقة : هي أن رونشتد لم يكن قد انسجم راضياً في خدمة هذه القوات الالمانية المسلحة التي تختلف اختلافاً كلياً عن تنظيم الجيش القديم فحسب ، بل كان له ميل خاص نحو هذا الجيش المتواضع في عدده وعُدده حينذاك . لقد كان هذا الجيش مؤلفاً من وحدات مبتورة ، غير انها كانت تمتاز بتطوع افرادها لمدة طويلة ووقف حياتهم للخدمة العسكرية ، ولم يكد يتم تشكيل هذا الجيش حتى تماسك ، كما ساد الانسجام التام بين ضباطه القليلين الذين تم انتقاؤهم من خيرة العناصر بعد

سنة (١٩١٨) ، كما كان يسود وحدات الجيش المعنويات العالية التي تمتـــاز بها أحدث القطعات العسكرية واحسنها تدريباً . وهكذا تحقق لرونشتد مـــا ينسجم وعقيدته الراسخة من بقائه جندياً محضاً تاركاً السياسة لأهلها .

٣

في الجيش الجديد

من المهم قبل ان نعـالج بالبحث الجيش الجديد المزمع انشاؤه ، ان نمعن النظر في بعض المشاكل التي ظهرت نتيجة لتطور الاشتراكية الوطنية ومجيء هتلر الى الحكم .

كان هتلر نفسه كاثوليكياً من النمسا ، قصير القامة ، غير معروف ، وقد قدم لأول مرة من (فينا) الى (ميونيخ) عام (١٩١٢) دون ان يثير قدومه اليها اي انتباه ، وقد عاش هناك عيشة متواضعة . ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٤) ، تطوع هتلر النمسوي في جيش بافاريا الملكي (الالماني) لا في جيش النمسا والمجر الامبراطوري القديم ، فالتحق بكتيبة الاحتيـاط المشاة التاسعة عشرة البافارية ، وخـدم طيلة الحرب جنـديـاً في الخطوط الأمامية . وكان — كما تحدث بعض رفقائـه القدامى — جندياً بسيطاً يتحلى بالشجاعة ويتطوع في كل دورية ، وكان يهوى الجندية على الرغم من أن مهنته السابقة كانت معمارية فنيـة ، ومن الغريب على كل حال فشله في الوصول الى رتبة ضابط صف خلال أربع سني الحرب برغم شجاعته الشخصية . وأخيراً عين برتبة جندي اول على ملاك هيئة مقر الكتيبة الاحتياطية السادسة عشرة ، غير أنه لم يمنح قط رتبة ضابط صف ، إلا أنه كوفيء بوسام الصليب الحديدي من الصنف الأول والثاني وشريط الاصابة بالجروح . إنه من الممتع ان نعلم

ان رفقاءه في السلاح الذين عايشوه في الملاجىء والخنادق يذكرون قصصاً ممتعة عن تلبسه بشيطان السياسة في كثير من الاحيان ، وطالما سخر منه رفقاؤه البافاريون الأقحاح ، لأنهم كانوا غير قادرين على تفهم أي شيء من افكاره السياسية المضطربة في نظرهم ، إذ لم يكونوا من هواة الأحاديث السياسية ، ولربما نتج عن تحدثه بالسياسة امتناع آمره عن ترقيته الى رتبة ضابط صف مع أن آمره كان يقدر غاية التقدير شجاعته عند مواجهة الأخطار .

ونستمع عنه ثانية في سنتي (١٩١٨-١٩١٩) في (ميونيخ) جندياً مسرّحاً من الجيش بلا منصب وغير معروف في زمن حكم دكتاتورية (ايسنر) الشيوعية ، التي حكمت بالقوة مدة قليلة وسارت على النهج البلشفي ، وهنا كانت نقطة الانطلاق لهتلر في سيره نحو السياسة ، حيث ارتمى في احضانها من ذلك التاريخ بكل جوارحه معارضاً الشيوعية والبلشفية بعاطفته وقلبه .

وليس من أغراض هذا الكتاب التطرق الى وصف تطور الاشتراكية الوطنية (النازية) ، غير أنه من الضروري الاشارة بايجاز الى كنه الدوافع التي سادت المانيا والتي كان على رونشتد ورفقائه الكثيرين ان يواجهوا مصاعبها .

أفلح هتلر في إيجاد حزب سياسي صغير في (ميونيخ) ، تصدى لتحمل واجب مزج القومية بالاشتراكية ، وذلك بالقضاء على بعض الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها مؤيدو القومية ومحاولة كسب الطبقة العاملة وجعلها بجانب الدولة. ولقد كان في الظروف السائدة حينذاك العوامل اللازمة لنجاح هذه المبادىء ، فقد عاش الالمان برغبتهم واختيارهم في عالم من نسيج الخيال ، منغمسين في اوهام دعاية الحكم الامبراطوري المطلق السابق دون ان يكون لهم إلمام بالأسس السياسية الصحيحة. وبعد ان خسرت المانيا الحرب ، وجدت

نفسها مضطرة الى استبدال الحكم المطلق الفردي الذي توارثته أجيالاً طويلة بحكم جمهوري ديمقراطي غامض المفهوم بالنسبة اليهم حينذاك. ولانقسام الرايخ الى احزاب عديدة متطاحنة ، ولوجود تيارات داخليـة مختلفة الأهداف ، كل ذلك أنذر بتفكك الرايخ بفعل هـذه العوامل الداخلية والخارجية ، بالاضافة الى اشتداد وطـأة الأزمة الصناعية يوماً بعـد يوم ، وظهور مشكلة التضخم النقدي وما اصاب المانيا من انهيار اقتصادي خلال سنة (١٩١٩ – ١٩٢٣) ، كل ذلك سبّب حدوث انتفاضات في أرجاء المانيـا كافة تقريبـاً تطل بوجههـا الدميم مصحوبة بأزيز المدافع الرشاشة تغذيهـا العناصر الراديكالية .

أضف الى ما تقدم أن الشعب خدع بمعاهدة (فرسايل) عام (١٩١٩) ، لأنه كان قـد وُعد سابقاً بقدر محدود من الحرية بشروط معينة استناداً الى نقاط الرئيس الأمريكي (ولسن) الأربعة عشر الشهيرة ، وقـد انطلقت دعاية حكومة الرايخ لتوطيد ثقة الالمان بالحرية الموعودة ، ولكن تبين فجأة بان (ولسن) لم يكن ناجحاً في وضع نيـاته موضع التنفيذ في معـاهدة (فرسايل) ؛ ونتيجـة لذلك تبدّت مرارة الخيبـة الشديدة من معـاهدة (فرسايل) في كثير من الدوائر ، ومن المعروف حق المعرفـة أن رئيس الرايخ الشريف المنصف قـد أصيب شخصياً حينذاك بخيبـة أمل عظيمة ، وهكذا اصبح من العسير على الجمهورية الجديدة ان تواجه هذا الموقف مواجهة قوية ، فكان ذلك سبباً في جذب الملايين من الشيوعيين في المانيا ومن غيرهم من الوطنيين حينذاك الى الراديكالية ، ولكن تصرف كل منهم وفقاً لطريقته الخاصة .

كان هتلر وسط تيارات الأفكار الاجتماعية الجديدة هـذه ، يعمل جاهداً للامساك بنقاط ارتكاز جديدة داخل حزبه من سنة الى اخرى، وعلى الرغم من بعض الانتكاسـات في بعض الانتخابات ، فانه يمكن القول بصورة عامة:

إنه تقدّم من نجاح الى آخر باستمرار ؛ وبادىء بـدء انتشرت الاشتراكية الوطنية في (ميونيخ) ولم تلبث بعـد ذلك ان امتدت شمالاً فسيطرت على (نورمبرغ) وشمال بافاريا .

وبصعودها الى جبـال (ثيورنجيـان) حصلت على مواطىء قـدم في (تورنجيا) ، وبعـد ذلك تمكنت من الاستيلاء على مناطق المانيا الغربيـة والشمالية والشرقية كافة ببطء شديد وبصعوبة .

وبقيت المانيا الشمالية المعروفـة بالادراك السليم الواقعي وبخصـال مميزة اخرى واقفة موقفاً سلبياً وغير واثقة بهذا الاتجـاه مدة طويلة ، ومهما يكن من امر فان هتلر النمساوي أدرك غريزياً بأنه ينبغي كسب بروسيـا فيما اذا أراد الحصول على ألمانيا برمتها ، وفي ذلك الزمان وصف (برلين) بأنهـا الرأس ووصف (ميونيخ) بأنها القلب . وقد استمر في الحصول على نقـاط ارتكاز اخرى من اجل القضية التي يعمل لهـا : بالحسنى مرة وبالعنف مرات حتى حلول عام (١٩٣٣) ، كما أكتسب الى جانبه تأييد الطبقة العاملة الذي لا تقل أهميته عن كسبـه السابق ، وكثيراً ما يبدو ان النسيان قـد اسدل أستاره على ما كان يقابل به هتلر في ذلك الزمان من هتاف حماسي .

ولربما لم يقدر الظهور للاشتراكية الوطنية لو أن المانيا كانت قد احتفظت بقدر معقول من الحرية ، وحصلت على سلطة ديمقراطيـة ، اذاً لبقي هتلر مغموراً سواء كان قد ولد قبل أو بعد ثلاثين عاماً .

ويجدر بنا الآن أن نلقي نظرة واقعية على مدار بحثنا بكامله .

ليس هناك من يدافع عن الظواهر السيئـة او غير العمليـة لنظام هتلر ، ولكن من الخطأ ان نتصور ان النظام المذكور عار عن بعض المزايا .

كانت الاكثرية من العمال وعدد كبير من المزارعين والطلاب والفنانين قد آمنوا بهتلر إيماناً مطلقاً ، والحقيقة ان الالمان جنوا ثماراً كثيرة من الناحية الاجتماعية الهامة ، تلك الثمار التي يسعى العالم اليوم جاهداً للوصول اليها ، وهكذا نرى ان هذا النظام لم يكن شراً كله !!

وفي سنة (١٩٣٣) عندما منح الرئيس هندنبرغ ذو المكانة المرموقة والماضي المجيد تأييده هتلر ، لم يدهش العالم لما غمر الجماهير الالمانية من سرور بذلك ، وساد حينذاك الالمان اعتقاد صادر عن يقين ، بأن كل شيء في المانيا قد اصبح يسير نحو الكمال في أحسن ما يمكن من الظروف .

لو ان الجمهورية حينذاك كانت قد توجست خطراً من الاشتراكية الوطنية لكان من واجبها اتخاذ التدابير الدستورية للقضاء عليها في الوقت المناسب ، وقد كان لها في الفصل (٤٨) من دستور الرايخ ما يكفل ذلك،اذ الوسائل اللازمة كانت جاهزة .

هذه الوسائل تتألف من جيش جدير بالثقة ، ومن شرطة قوية ، الا ان مفهوم المبدأ السائد حينذاك كان يحتم على الديمقراطية ان تمنح الحرية للأحزاب كافة .

وهكذا افسح المجال لهذه الحركة ان تستمر من دون مقاومة .

أصبح الوقت في سنة (١٩٣٣) متأخراً جداً عن مقاومتها ، ولم يعد هناك اي شك في ان الاكثرية الساحقة من الالمان قد إعتنقت وآمنت بمبادىء حزب هتلر ، وفي هذه المرحلة كان على حكومة الرايخ بطبيعة الحال أن تكف عن استخدام الجيش والشرطة اذا ارادت ان تتجنب قيام مقاومة شديد ضدها .

ان خير ايضاح يمكن اعطاؤه للاتجاه الذي كان سائداً حينذاك ، هو انه

لم تبذل أية محاولة للمحافظة على الجمهورية ، فليس بمقدور جيش صغير قوامه مائة ألف رجل مقاومة حركة كهذه انتشرت في شعب يبلغ ثمانية وستين مليوناً من الناس . ولو ان الجيش الالماني الذي يخضع للسياسيين قاومه حزب هتلر ، لكان من المحتمل ان يهاجم من الاهلين ويوصم قادته : بأنهم يقاومون (ارادة الشعب) ، ولو أعرضت الحكومة عن التدخل الفعلي وأعرضت عن استخدام الشرطة ، فمن المؤكد أن الجيش لم يكن يتطوع للدفاع عن كيان الجمهورية من تلقاء نفسه بدون أوامر حكومية للدفاع عن هذا الكيان .

كان الشعور السائد في سنتي (١٩٣٠ - ١٩٣٢) أن انقلاباً شاملاً على وشك أن يقوم به العسكريون ، إذ أن طبيعة تلك الأيام كانت توحي بانها ستتمخض عن عمل إيجابي يقوم به القادة العسكريون ، غير أن الحكومة لم يكن يخامرها احساس أكيد بأن هناك خطراً يهددها ، وهكذا نجح هتلر في الوصول الى الحكم بعد نضال سياسي شاق يعتبر في الواقع نصراً لرجل ابتدأ بلا شيء في سنة (١٩١٩) .

عين اللواء الركن المشاة فون رونشتد قائداً عاماً لجحفل الجيش الأول في برلين سنة (١٩٣٢) ، وكان جحفل جيشه مؤلفاً من فرق المشاة : الأولى والثانية والثالثة والرابعة وفرقتي الخيالة الأولى والثانية .

واستمرّ رونشتد في اشغال منصبه الرفيع هذا حتى سنة (١٩٣٩) أي أكثر من ست سنوات ، مع أن المتبع قبل ذلك هو إشغال هذا المنصب لمدة سنتين فقط ، وهذا يبدي لنا التقدير الرفيع الذي كان يوليه إياه رؤساؤه ؛ غير أن هذا المنصب ألقى على عاتقه واجباً خاصاً ، فقد كانت برلين عاصمة للرايخ تلتقي فيها الطليعة من شخصيات السياسة والعلم والصناعة والفنون ، كما كان يقيم فيها السفراء والمبعوثون السياسيون كافة .

كان القائد العـام للجيش حينذاك هو الفريق (بارون فون فرتش) وهو جندي بارز ، غير أنه كان أعزب غير معيل .

أما رئيس أركان الجيش ، فقـد كان الجنرال (بيك) ذا المقدرة الفائقة ، غير أن هذا الجندي القدير بحكم منصبه رئيساً لأركان الجيش كان شخصاً غير مسؤول مسؤولية القائد العام، وإضافة الى ذلك كان يعيش لواجبه العسكري فقط كما كان معتزلاً وفاقداً زوجه ، كل أولئك جعله غير مهيمن هيمنة ذات أثر على الدوائر العسكرية ، لذلك كان على رونشتد خـلال ست سنوات أن يستقبل في داره السياسيين والعسكريين ، وبهـذه الصورة اتصل بعدد كبير من الدبلوماسيين الأجانب والسفراء المبعوثين السياسيين والبعثات العسكرية ، وأصبح نابه الذكر في كثير من الأقطار . ومن سنة (١٩٣٢) حتى (١٩٣٨) التمس رونشتد مراراً وبالحاح تسريحه من الخدمة ، ولكن رغبته هذه كانت تقابل بالرفض دائماً .

واخيراً وفي نهـاية سنة (١٩٣٨) حصلت الموافقة على مطلبه الذي طـال اشتياقه اليه ، فجرت ترقيته الى رتبة فريق وأحيل الى التقاعد ، فعـاد الى حياته الخاصة في (كاسل) حيث أمل أن يقضي ما تبقى له من العمر في شقة مستأجرة ذات طابق واحد ، ولكن لم يكتب لهذه الرغبة أن تتحقق .

وهنـا أرى من المناسب وصف الموقف العسكري من سنة (١٩٣٣) الى سنة (١٩٣٨) . لقد أشغلت هـذه السنوات في عملية بناء الجيش ، وكان رونشتد باعتباره جندياً مجرباً مـن أولئك القادة الذين حذروا من محاولة إقامة صرح الجيش بسرعة بالوسائل السحرية خلال بضع سنين .

وما من شك أن في الأمكان زيادة عـدد الجيش من مائة ألف الى ستمائة الف خلال أربع سنوات ، ولكن لن يكون ذلـك إلا بالمظاهر الخارجية وبالحساب العددي فقط ، أمـا إيجاد مجموعة من الضباط الممتازين بالصلابة

وتجانس الأفكار والكفاءة ، وإيجاد جيش يتطور من كافة الوجوه ، فلا يمكن تحقيقه في بضع سنوات . لقد كان واجب كل ضابط على الرغم من شعوره الباطني بعدم الارتياح لسرعة تكوين الجيش أن يعمل كلما في وسعه المساهمة في بناء هذا الجيش .

وكان على القائد العام فون رونشتد قائد الفيلق الأول المنتشر في منطقة واسعة أن يفتش قطعاته سنة تلو سنة ، وبظهور هذا الجيش الجديد الى حيز الوجود منبثقاً من القوات المسلحة الألمانية ، نمت فرق المشاة الأربع وفرقتا الخيالة التي كانت تؤلف فيلق رونشتد فأضحت بضعة فيالق ، وبذلك ازدادت واجبات قائدها العام بسرعة ؛ وفضلاً عن واجباته هذه كان هناك جولات الركن والمناورات والتمارين. وفيما يلي ندرج تواريخ الحوادث الرئيسية:

١ – سنة (١٩٣٥):اعادة الخدمة العسكرية العامة (لمدة سنةواحدة) وهي الخدمة الاجبارية في الجيش .

٢ – سنة (١٩٣٦) : اعادة السيطرة العسكرية على منطقة (الراين) وتمديد الخدمة الاجبارية في وحدات الجيش من سنة الى سنتين .

٣ – سنة (١٩٣٨) : ضم النمسا الى الرايخ .

٤ – سنة (١٩٣٨) : الحركة الى ارض (السوديت) .

٥ – سنة (١٩٣٩) : فتح محمية (بوهيميا) وضم (ممل) الى الرايخ التي كانت المانيا قد تنازلت عنها سنة (١٩١٩)

هذه الحوادث التي كان يسبقها عادة تحذيرات من كبار القادة لا سيما (بيك) وهي تؤتي ثمارها يانعة مقرونة بالمظاهر الخلابة لالمانيا دون ان تخلف نتائج سيئة ، وبذلك بدأ هتلر مصيباً والقادة العسكريون مخطئين ، لأن شيئاً من تحذيراتهم لم يتحقق ! كان القائد العام ورئيس أركان الجيش

والقادة الأقدمون في موقف صعب ، لأنهم أصبحوا يوماً بعد آخر يوصمون بالتشاؤم ، وهكذا نما التوتر بين قادة الجيش من جهة وبين قادة النازي من جهة اخرى، هذا التوتر الذي كانت بذوره موجودة من قبل الذي بين القادة العسكريين وزعماء النازيين .

وكان الجيش الجديد يضم عدداً كبيراً من الضباط الشباب الميالين بكل عواطفهم الى أفكار هتلر ، وهكذا نشب صراع مستمر بين القديم والجديد ، ذلك الصراع الذي لم يكبح جماحه في الجيش سوى التدريب وسيطرة التقاليد والضبط ، ولكن الزيادة السريعة في عدد الضباط من اربعة آلاف الى آلاف كثيرة ، سببت انخراط عدد عظيم من الضباط غير الأكفاء من الاحتياط ومن الذين أدخلوا الجيش لسد النقص ومنهم عن كان قد أخلد الى الحياة المدنية متقاعداً طيلة المدة السابقة ، ونتيجة لذلك بدأ الجيش بشكل يختلف تماماً عما كان عليه في سنة (١٩٣٥) . ومن سنة (١٩٣٣) الى سنة (١٩٣٨) لم يحدث شيء يؤدي الى الحرب فكل الحركات التي دعوها بالغزوات ، كانت أغلبها حركات لم تسل فيها الدماء ، والحقيقة ان هذه الحركات كانت تقابل بحماس عظيم من السكان،لان التيارات الخفية في مناطق الغزو تركت أثرها العميق فيها دائماً .

ولهذا السبب أطلق الناس على هذه الحملات اسم : معارك الأزهار ، لأن القطعات الالمانية كانت تستقبل بالأزهار والموسيقى والحماس ، ولا نستثني من ذلك سوى احتلال منطقة (الجك) في (بوهيميا) .

ولا نشك من ان هتلر كان يفكر بأن غزواته الاخرى ستلاقي نفس النتائج بنفس السهولة !

ساهم رونشتد في غزو منطقة (السوديت) فقط في خريف سنة(١٩٣٨)

حيث زج بالجيش الثاني الذي كان بقياته ضد جبهة الجلك الرئيسية ، أي ضد التحصينات المتينة جداً في (تروبو وجاكرندورف) .

كان رئيس أركان الجيش بين (١٩٣٢ – ١٩٣٣) هو الجنرال (فون هامرشتين) قد استقال من منصبة ، وعلى اثر استقالته التمس فون رونشتد من فون (هندنبرغ) ان يسرحه من الخدمة ، ولكنه بقي في الخدمة استجابة لرجاء رئيس الرايخ الوقور الشهير ، حيث قال له هندنبرغ : ينبغي الا تتركني وحدي الآن .

وفضلاً عن ذلك ، كان رونشتد ذا علاقات طيبة مع الجنرال فون (شخلر)، فعندما تولى (شخلر) منصب رآسة وزارة الرايخ لمدة قصيرة ، طلب من رونشتد الا يترك الخدمة لأن الوطن محتاج الى الرجال القديرين كافة . كانت محاولة (روهم) لإحداث الانقلاب في سنة (١٩٣٤) فحصاً لقوة الحرب الداخلية ، لكن اهدافه كانت غامضة شأنها شأن الاهداف الاخرى، وقد اراد (روهم) من حركته ادخال الاتجاهات الجديدة الى الحزب بوساطة منظمة ذوي القمصان القصيرة السمراء ، وبذلك وقف موقف المعارض الصارم لعناصر الجيش المحافظة ، ولا سيما قادة الجيش القدماء الذين كان رونشتد احدهم . كان غرض (روهم) تنظيم هذا الجيش الذي كان مستقلا في ميوله وافكاره الانقلابية وذلك بتوسيع جيش ال — (S.A.) (القمصان القصيرة السمراء) ... فأصبح بمثابة جيش آخر ينافس الجيش الحقيقي ، وكثيراً ما حدثت مشاحنات ومشاجرات بين افراد المنظمة الجديدة وبين افراد الجيش ، لأن الجيش شعر بأن وجود هذه المنظمة ينال من كرامته بتمثيله دور الجيش، اذ كان الجيش يعتبر نفسه الأداة الوحيدة للسياسة والوريث التقليدي لحمل شعلة الجندية بين الشعب الالماني ، وقد حاول هتلر تخفيف هذا التوتر بتشبثاته ، ولكنه لم يفلح .

وعندما حاول هتلر ان يكبح جماح (روهم) بالقوة ، وجد عواطف الجيش الى جانبه ، ولقـــد وجدت بين الوثائق التي صودرت من منظمـــة (S. A.) (القمصان القصيرة السمراء) قوائم بأسماء الضباط الأقدمين الذين كانوا سيبعدون عن الجيش لو قدر لحركة انقلاب المنظمة المذكورة النجاح .

لقد أمل (روهم) ان ينال تأييد الضباط الشباب ، ولا شك في وجود عدد قليل من الضباط الذين اعتنقوا فلسفة الحزب ، غير ان الأغلبيـــة الساحقة من الضباط الأحداث كانت تستهدي ايضاً هدى اتجاهات الجيش التقليدية .

وكانت سنة (١٩٣٤) امتحاناً لقوة الترابط الداخلي للجيش ، ذلك الترابط الذي بقي بعد هذا التاريخ سليماً .

وقد برهن ذلك ايضاً على الرغم من الظواهر الخارجية للفترة الجديدة ، ان التقـــاليد والتدريب والاتجاه والضبط اي صناعة الجندية في أحسن صورها في الجيش النظامي ، كانت لا تزال قوية ! وينبغي ألا يغرب عن البـــال ان رئيس الرايخ حينذاك كان (هندنبرغ) العجوز ، وكان قد انتخبه الالمـــان مرتين قبل سنة (١٩٣٣) وفقاً للدستور الالماني، وكان وقتئذ رغم شيخوخته رمزاً لطوائف كثيرة من النـــاس ، فليس غريباً ان يعدّه رجـــال الجيش الرئيس العسكري الحقيقي لهم . إن مقام مارشال الحرب العالمية الأولى الشيخ ذي الماضي المجيـــد أعلى من مقامه رئيساً للرايخ ، وعندما قضى (هندبرغ) نحبـــه اختفى في نظر الكثيرين آخر رمز عسكري ! وعنـــد ذاك اصبح هتلر نفسه قائـــداً للقوات الالمانية المسلحة الموحدة ، وأقسمت القوات العسكرية قسم الولاء لشخصه !

ان التوتر في علاقات قادة الجيش برجالات الحزب كانت نتيجـــة لاختلاف وجهات النظر ، ونظراً لتوالي انتصارات هتلر الخارجية اضحى موقف القـــادة العسكريين يزداد حراجة يومـــاً بعد آخر ، لأن هـــذه الانتصارات الظاهرية

جعلت هتلر يبدو مصيباً دائماً في قراراته ، وان القادة وهيئات اركانهم كانوا مخطئين دائماً في قراراتهم ، كما ان جماهير الشعب كانت تشاهد الانتصارات الفورية دون ان تدرك عواقبها .

لقد كان التكوين الداخلي للجيش بصورة عامة من (١٩٣٥ — ١٩٣٩) يختلف عما كان عليه التكوين الداخلي للقوات الالمانية المسلحة التي شكلت بعد الحرب العالمية الاولى .

لقد ضعفت قابلية الجيش نظراً لنموه السريع ، ولم يعد ضباطه وحدة متجانسة كما كانوا ايام القوات الالمانية المسلحة الصغيرة .

وكانت الفترة بين (١٩٣٣ - ١٩٣٩) فترة انقلابية مشحونة بالتوتر الداخلي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والشعبية كافة . أخذ الجيش يساق الى اعتناق المبادىء النازية ، ولا عجب في ذلك ، لأن الجيش جزء من الشعب ؛ وفي عام (١٩٣٨) ظهرت مذكرة رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) الشهيرة ، فقد كان القائد العام للجيش الفريق فون (براوشتش) ورئيس أركان الجيش اللواء (بيك) قد تتبعا سياسة هتلر بقلق متزايد ، فكانا يخشيان ان تؤدي هذه السياسة الى حرب لا مفرّ منها ضد حلفاء أقوياء . ولم يتسن لهما انتقاد هذه السياسة او الصمود تجاه تياراتها باعتبارهما من رجال الجيش شأنهما في ذلك شأن رجال الجيش في الممالك الأخرى ، لأن من واجب الجندي تنفيذ اوامر السياسيين في كافة الظروف والأحوال ، ولأن السياسيين هم الذين يمتلكون زمام القيادة .

غير أنهما شعرا في قرارة نفسيهما بأن من حقهما ومن واجبهما أن يلفتا نظر هتلر الى وجهات نظريهما ، كما كانا مرتابين ايضاً في صحة بعض الاتجاهات العسكرية البحتة ، ففي غضون ثلاث سنوات (١٩٣٥–١٩٣٨) جرى توسيع

الجيش ، فأصبح أضعاف ما كان عليه سابقاً ، اذ ليس في وسع اي جيش ان يتسع بمثل هذه السرعة من غير ان يفرط بصلابة تكوينـــه الداخلي ؛ كما لم يكن التسليح المادي سليماً كما كان يتراءى ، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى . كل ذلك ادى الى تقديم (بيك) لمذكرته في سنة (١٩٣٨) مدفوعاً بالعقلية الواسعة التي يتصف بها .

اعد اللواء (بيك) هذه المذكرة وقدمها للقائد العام للجيش ، فاستدعى القائد العام قادة الجيش الأقدمين ومن ابرزهم فون رونشتد للاجتماع في مؤتمر عام ، وعند حضورهم تلا اللواء (بيك) عليهم مذكرتـــه التي اعدها ، فلم يعترض أي قائد على ما جاء فيها ، لذلك قدمها (براوشتش) الى (هتلر) شخصياً .

نظر هتلر الى هذه المذكرة من أسوأ جوانبها ، فخيل اليه انه يرى فيهـا برهاناً آخر على تردد القادة وهيئة ركنهم ، فرفضها بخشونة ، وأحال رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) على التقاعد .

مثل هذه الحوادث ادت الى تصدع العلاقات الشخصيـة بين رئيس الدولة (هتلر) وبين قادته العسكريين الاقدمين ، كما ان هذه العلاقات بينهم وبينه استمرت الى تدهورهـا واتصفت بطابع البرودة المستمرة حتى قبل ان تبدأ الحرب .

ويبدو ان هتلر لم يكن سيد الموقف دائماً كما كان يظهر نفسه للعـــالم ، ففي كثير من المواقف كان يصغي بانتبـاه وتأمل الى نصـــائح الهواة الذين اقحموا نفسهم في امور ليست من اختصاصهم ،وكثيراً ما بدل وجهات نظره نتيجة لتوجيهات هؤلاء الهواة ، ولم يكن هتلر حريصاً على ان يبدو سيد الموقف وصاحب الرأي الحاسم الا امام الناس ، ومن المحتمل جداً ان يكون

الجيش ، فأصبح أضعاف ما كان عليه سابقاً ، اذ ليس في وسع اي جيش ان يتسع بمثل هذه السرعة من غير ان يفرط بصلابة تكوينه الداخلي ؛ كما لم يكن التسليح المادي سليماً كما كان يتراءى، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى . كل ذلك أدّى الى تقديم (بيك) لمذكرته في سنة (١٩٣٨) مدفوعاً بالعقلية الواسعة التي يتصف بها .

أعدّ اللواء (بيك) هذه المذكرة وقدّمها للقائد العام للجيش ، فاستدعى القائد العام قادة الجيش الأقدمين ومن أبرزهم فون رونشتد للاجتماع في مؤتمر عام ، وعنـــد حضورهم تلا اللواء (بيك) عليهم مذكرته التي أعدها ، فلم يعترض اي قائد على ما جاء فيهـا ، لذلك قدمها (براوشتش) الى (هتلر) شخصياً .

نظر هتلر الى هذه المذكرة من أسوأ جوانبهـا ، فخيل اليه انه يرى فيها برهاناً آخر على تردد القادة وهيئة ركنهم ، فرفضها بخشونة ، وأحال رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) على التقاعد .

مثل هذه الحوادث أدّت الى تصدّع العلاقات الشخصية بين رئيس الدولة (هتلر) وبين قادته العسكريين الأقدمين ، كما ان هذه العلاقات بينهم وبينه استمرت في تدهورها واتصفت بطابع البرودة المستمرة حتى قبل ان تبدأ الحرب .

ويبدو ان هتلر لم يكن سيد الموقف دائماً كما كان يُظهر نفسه للعالم ، ففي كثير من المواقف كان يصغي بانتبـاه وتأمل الى نصـائح الهواة الذين أقحموا انفسهم في امور ليست من اختصاصهم ، وكثيراً ما بدل وجهات نظره نتيجة لتوجيهـات هؤلاء الهواة ؛ ولم يكن هتلر حريصاً على ان يبدو سيد الموقف وصاحب الرأي الحاسم الا امام الناس ، ومن المحتمل جداً ان يكون هتلر في هذه القضية بالذات فريسة لتأثير مختلف الأشخاص الذين كانوا حاضرين لبذل

مثل هذه النصائح ، اذ وجدوا في المذكرة فرصة طيبة لالقاء بذور الشك في ثقة هتلر بالجيش .

اننا نعلم بأن اللواء رونشتد الذي كان قائداً لجحفل الجيش الاول في برلين لمدة ست سنوات ، اخذ يلحّ بعد هذه الحادثة لإحالته على التقاعد ، بعد ان حاول مراراً قبل ذلك فلم يفلح . وأخيراً حصلت الموافقــة ، فرقي الى رتبة فريق ، ومنح لقبــاً فخرياً هو (قائد كتيبة المشاة الثامنة عشرة) تكريماً له ، وهي الكتيبة التي كان آمرها يوم كان عقيداً في سنة (١٩٢٥ – ١٩٢٦)، ثم أحيل على التقــاعد . وبعد ذلك وخلال الحرب لم يرتدِ ابداً بزّة لواء او مشير مفضلاً عليها رداء بسيطاً هو رداء آمر كتيبة مشاة موضوعاً على كتفها رتبة المشير ورقم الكتيبة الثامنة عشرة، وقد حدث كثيراً ان أخطأ الضباط الشباب تمييزه ، فظنوه عقيداً غير عارفين أن من يقف أمامهم هو المشير فون رونشتد ، وقد واجه المشير مثل هذه المواقف بروح مرحة طيبة . واستدعي رونشتد ثانية للخدمة بعد ان قضى فترة تقــاعد قصيرة في (كاسل) ، سنة (١٩٣٩) وذلك عند إعلان التعبئة العامة ، واسند اليه منصب القائد العــام لجحفل جيش الجنوب في حملة بولندا .

٤

الحرب العالمية الثانية

ذكرنا ان المسؤولين من قادة الجيش الالماني وعلى رأسهم المشير (براوشتش) واللواء (بيك) الكفؤ البعيد النظر ، قد اصدروا مذكرة انذارية في عـام (١٩٣٨) مدعومة بأسباب عسكرية وسياسية . وكانت الناحيـة العسكرية تحذر من نتائج (سرعة) تسليح الجيش الالمـاني في غضون بضع سنوات ، خلافاً لما ألفوه من الاساليب التدريبية والتعالم الدقيقة للجيش الالماني القديم ، وبذلك توسع الجيش اكثر من طاقته وعلى غير هـدى وبصيرة على حساب كفاءته ومقدرته ...

اما من الناحية السياسيـة ، فقد ادرك هؤلاء القـادة ان العالم لن يقف مكتوف الأيدي لمدة طويلة أمام سياسة المانيا الراهنة ، وان الامر سيؤدي الى حرب لا مفر منها .

ومع ذلك فقد آمن عدد قليل من قادة الجيش بسياسة هتلر هـذه ، كما آمن بها الضباط الاحداث الذين استقبلوا هـذا التوسع في الجيش بترحيب قلبي ، دون ان يفكروا في نتائج ذلك التوسع المغلوط عند الحرب .

وربما يكون غريباً ان يوجد بين الضبـاط من لا يسره توسع الجيش ، ولكن الجيل القديم ومنهم رونشتد لم يسرهم ذلك ، فأصبح هذا الجيل القديم

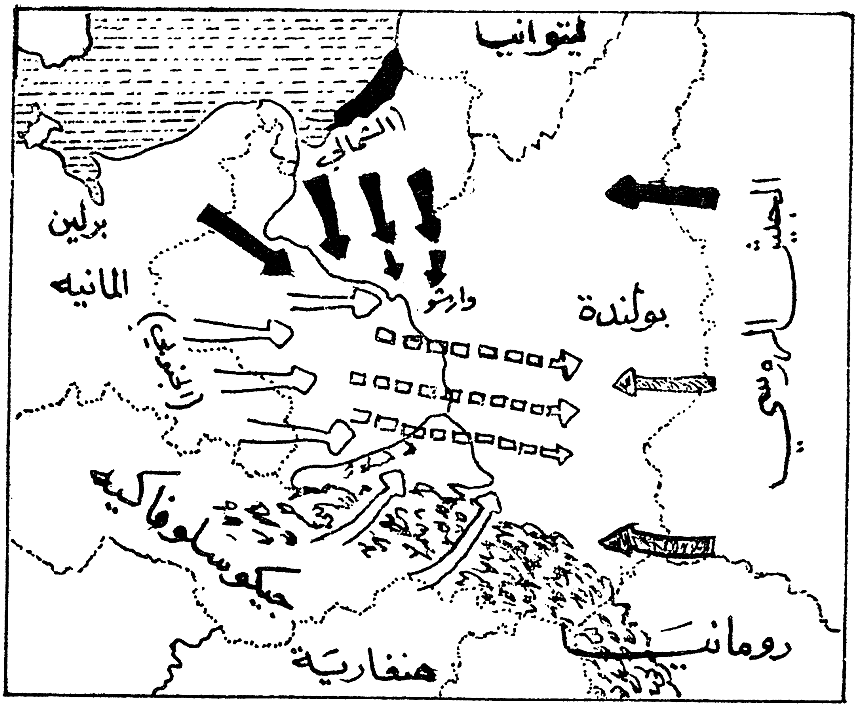
في موقف حرج في ظل الحكومة الجديدة الانقلابية التي حظيت بتأييد ستين في المائة من البالغين وجمهور الشباب . وقد اعتبر هتلر ومن ورائه الشباب ان الجيل القديم ليس الا عائقاً للتقدم ، فوصفوهم بأنهم مناوئون للعمل وانهم طراز قديم ! كما تعاونت الأقدار على اظهار مذكرة القادة التحذيرية بأنها غير مستندة الى اساس قويم، وحسب هتلر دليلاً على ذلك ان يلوح بانتصاراته الكثيرة : كاحتلال (السوديت) التي يسكنها الالمان بدون مقاومة ، واهم من ذلك مؤتمر (ميونيخ) حيث لم يلق هتلر فيه معارضة من بريطانيا او فرنسا او ايطاليا .

وكانت الحركة الى (جيكوسلوفاكيا) في ربيع (١٩٣٩) خاتمة لهذه الأحداث ، وربما يتبادر الى الاذهان : لماذا لم يعمل الجيش على التخلص من هتلر ؟ ولكن كيف يستطيع التخلص منه جيش ارتبط بقسم الاخلاص لرجل يحظى بتأييد خمسة وسبعين بالمائة من الناس ؟ هذا الرجل الذي كان مهيمناً – بالاضافة الى هذا التأييد – على القوة الجوية الالمانية التي كان قد اوجدها من العدم ، ومستحوذاً على منظمتي الـ (ايس. أي) و (الايس. ايس) وقوات الشرطة المسلحة القوية .

كيف يستطع القادة العسكريون احداث انقلاب حينذاك ، وهذا الرجل في ذروة سلطانه مهيمناً بيدين من حديد على مختلف القوى الشعبية والحكومية ؟ وحسبه ان يذكر الالمان بأعماله التي انجزها دون ان تستنفد قطرة من الدماء !

كيف يستطيع قادة الجيش التخلص من قائدهم الأعلى الذي عرفته الدوائر السياسية الخارجية في العالم كله بأنه الموجه الوحيد لكل ما أنجزته المانيا حينذاك – تلك الأعمال التي رضخت لنتائجها تلك الدوائر ؟

ولم يحدث في التاريخ الا نادراً قيام قادة الجيش بتنحية الحكومة القائمة



الحملة البولندية
(١٩٣٩)



لمجرد أنهم لا يقرّون السياسة التي تنتهجها تلك الحكومة ، ولا سيما قـــادة الجيش البروسي الألماني الذين اتصفوا منذ أجيال طويـــلة بالطاعة المطلقة من غير تردّد أو جدال .

كان من نتيجة ذلـك قيام صراع في نفوس القادة بين التمسك بواجباتهم العسكرية والاخلاص للدولة القائمـة من جهة ، وبين التخلي عن نظام الحكم القائم من جهة أخرى .

آمن الألمـــان بهتلر ايماناً عميقاً ، ففي البلاد التي يسيطر عليها النظام الدكتاتوري – يوجه الشعب اتجاهاً خاصاً حسب خطة دقيقة ، بحيث لو ثار القادة العسكريون في ذلـك الوقت لوصمهم الناس بأنهم رجعيون يناوئون كل تقدم في البلاد .

لقد كان على رونشتد أن يختار الاتجـاه الصحيح من اتجاهين متضادين أحلاهما مر : الرضوخ للنظام السائد في ألمانيا مع مـــا فيه من عيوب ، أو محاولة قلب هذا النظام خلافاً لما اعتاده من تقاليد الضبط المتين .

وربمـــا يعتبر رضوخ القادة العسكريين الألمان لنظام هتلر خطأ كما يعتقد الكثيرون ، ولكن ينبغي أن نفكر في الصعوبات القائمة حينذاك تجـــاه الخارجين على نظام الحكم القائم . ولن نحاول في الفصول القادمة عند البحث عن اتجاهات وأعمال رونشتد أن نستقصي فن الحرب بالتفصيل بـل سنذكر الحوادث العسكرية الرئيسة باجمال ، ومن يرد استقصاء الحوادث الضافية عن السوق (الاستراتجية) والتعبية فأمامه مادة غزيرة ، اذ صنفت حول ذلـــك بحوث مستفيضة لمؤرخين عسكريين معروفين وطبعت بالتدريج خلال الحرب وبعدها لم يشغل رونشتد منصباً رئيسياً في القوات الألمانية ، اذ لم يكن ضمن هيئات ركن هتلر ، ولم ينتسب الى ركن القوات المسلحة ، ولا الى هيئة ركن مقر الجيش . لقد كان في المرتبة الثالثة أي قائـداً عاماً لجحفل جيش

مرة وقائداً عاماً في الغرب مرة أخرى... لقد كان يتلقى أوامره من سلطة أعلى .

فما هي الأفكار التي كانت تدور في خلد رونشتد حول ذلك كله ؟

هذا ما سنتطرق اليه في هذا الكتاب .

لقد كان من حسن الحظ أن يتحلى رونشتد بحاسة سوقية (استراتجية) سليمة ، فلم يكن ليشغل نفسه قط بالتفاصيل العسكرية ، وكمثال على ذلك ، فانه كان يفضل خريطة حركات مقياسها ١/١٠٠٠٠٠٠ على خريطة حركات مقياسها ١/٣٠٠٠٠٠ وأقل رغبة في خريطة مقياسها ١/١٠٠٠٠٠ .

ومن المهم أن أنوه بأن خطط رونشتد السوقية (الاستراتجية) الكبرى وضحت عمداً في هذا الكتاب بلغة سهلة مبسطة ، اذ لم أكتب هذا الكتاب الا للقراء الاعتياديين لا العسكريين المتهنين او للخبراء من طلاب العلوم العسكرية .

ولم يكن قادة القوات المسلحة الألمانية في خريف (١٩٣٩) يعلمون شيئاً عن الأسرار السياسية ، أو ربما علموا عنها شيئاً قليلا ، لأنه لم يكن من عادة الحكومة أن تزود القادة بما لديها من معلومات عن مقاصدها السياسية . ولقد أشيع أن بولندا الحديثة نبذت سياسة (بلسودسكي) التي كانت ميالة الى صداقة الألمان ، وأن بولندا اتخذت اتجاهاً معادياً للألمان ، كما قيل ان بولندا لم تبد أي اشارة الى ميلها لحل مرض لمشكلة الألمان القاطنين ضمن حدودها، وأخيراً أشيع ان بولندا نفضت يديها من كل حل مقبول لمشكلة (الممر) هذا الممر الذي خلقته في سنة (١٩١٩) معاهدة (فرسايل) ، وهو عبارة عن قطاع من الأرض عرضه نحو ستين ميلا الى الغرب من نهر (الفستولا) السفلى ممتد نحو بحر البلطيق ، وكان قد اقتطع من ألمانيا وأعطي الى بولندا ، وهكذا عزلت مقاطعة بروسيا الشرقية عن بقية الرايخ الألماني ، فلم يكن

بالاستطاعة الوصول من ألمانيا الى مقاطعة بروسيا الشرقية الا بسكة حديدية مسيطر عليها سيطرة دقيقة ، وقد سبق تقديم مقترحات عديدة لايجاد حل يرضي كلا من ألمانيا وبولندا حسماً لهـــذه المشكلة ، كالاقتراح الرامي الى انشاء خطوط محايـدة ضيقة تحاذي الطرق تحت الادارة المشتركة ، وانشاء طرق للسيارات تقاطع الطرق الأصلية من بولندا شمـالاً الى الميناء البولندي (جيتيا) ومن الرايخ الألماني الى بروسيا الشرقية .

ولم يحظ رجال الجيش بمعلومات أكثر تفصيلاً من ذلك ، وبقيت الأسرار الحقيقية للحملة البولندية سراً عليهم ، أما من الناحية العسكرية، فقد كانت القوات الألمانية تتجه تدريجياً نحـــو الحدود البولندية ، وأمرت بانشاء التحصينات العسكرية هناك .

كان الاعتقاد السائد بين صفوف الشعب الألماني كله وصفوف الجيش عـام (١٩١٤) ، أن الحرب فرضت عليهم فرضاً ، خلافاً لما حدث عام (١٩٣٩)، حيث لم يكن الشعب ولا الجيش متحمساً لهذه الحرب مندفعاً اليه ! وقـــد أدرك كثير من مختلف طبقات الشعب الألمـــاني الخطر المتوقع من الحرب الوشيكة الوقوع ، كما تبينوا أن حمـلة بولندا ستؤدي الى حرب حقيقية لا الى معارك أزهـار خالية من القتال الحقيقي — كما حدث سابقاً — والذين يلقون نظرة سريعة على خريطة أوروبا لعام (١٩٣٩) يدركون حتماً أن بولندا قـد اندحرت سوقياً قبل أن يطلق الألمـان طلقة واحدة ، وقبل أن يجتاز جندي من الألمان حدودها .

لقد أدى تخطيط حدودها الى تطويقها من جهاتهـا الثلاث بألمانيا كأن ذراعين قويتين قـد حطمتاها ! ففي الشمال تقع بروسيا الشرقية ، ومن الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية تستطيع القطعات الألمانية أن تندفع جنوباً نحـــو (وارشو) و (بريست ليتوفيسك) ، ومن جهـة أخرى كانت الحدود البولندية

– الجيكوسلوفاكية تغري بشن هجوم يتجه نحـــو الشمال مستهدفاً (كراكاو ولمبرك) ! ولست بحاجة الى معلومات عسكرية لتعرف بنظرة واحـدة موقف بولندا اليائس !

كان بمقدور ألمانيا دائمـــاً أن تستثمر هذا التفوق السوقي (الاستراتيجي) استثماراً كاملاً واذا كانت الأحاطة السوقية لم تؤت ثمارها كاملة ، فـلأن شبكة الطرق لم تكن في شرق (سلوفاكيا) كافية ، فعرقلت تقدم القطعات الجسيمة .

وفضلاً عن ذلك فان المنطقة الجنوبية الشرقية لبروسيا الشرقية ، لم تسمح لأسباب فنية بتحشد[1] سريع لقطعات جسيمة ، .... كما ان التحصينـات البولندية الجيدة في خط (نيرو) شمالاً وجبال (الكربات) جنوباً يشكلان مانعين يستفاد منهما في تأخير تقدم الجيش الالماني .

كان البولنديون في موقف بائس جداً ، ففي الغرب من بلادهم اي في شرق (الفستولا) تقع منابع تموينهم وصناعاتهم المهمة ، وفوق ذلك كانت المقاطعة الالمانية السابقة (بوزان) تحتوي على مصـــادر ثروة بولندا ، فلو استطاع الالمان إرغام البولـنديين على الانسحاب من هذه المنطقة ، لانتهت الحرب ، لأنه لم يكن هناك صناعات حربية مهمة شرقي (الفستولا) ، واكثر من هذا فان سقوط آبار النفط القليلة الكائنة في (غاليسيا) من منطقة (الكربات) بيد الالمان يؤدي الى حدوث عجز البولنديين في مادة النفط الحيوية .

لهذه الاسباب المنطقية اضطر البولنديون الى الاحتفـاظ بأكثر جيشهم في الأراضي الحيوية المحيطة بمنطقة (بوزان) ، هـذه المقاطعة الداخلة بين حدود

---

(١) التحشد : مبدأ من مبـادىء الحرب ، وهو جمع اكبر قوة مادية ومعنوية في المكان والزمان المناسبين .

(المعرب)

المانيا الى عمق بعيد ، فلم يبق لديهم الا قطعات ضعيفة لحماية كلا الجناحين الطولين المكشوفين حتى (نيرو) و (الكربات) ، وهكذا نجد ان الموقف العسكري لسنة (١٩٣٩) كان في صالح الالمان . كما كان الموقف العسكري ملائماً لهم ايضاً في جيكوسلوفاكيا عام (١٨٣٩ – ١٩٣٩) نظراً لطول حدودها المطوّقة بها ، حيث اضطر (الجيك) ايضاً الى الدفاع عن القسم الأهم من بلادهم والكائن على الحدود حول مدينة (براغ) . لقد كانت القيادة البولندية من جراء ذلك في محنة ، وكثيراً ما تطرق الفريق رونشتد حينذاك الى هذا الموقف العصيب للبولنديين . وكان يحمل بحق فكرة عالية عن الجيش البولندي ، لأن البولنديين شجعان محنكون ذوو مراس صعب ، ولهم جيش يندفع للقيام بأصعب الأعباء .

ولكن تجهيز وتسليح الجيش البولندي لم يكن حديثاً ، وكان لديهم وحدات مدرعة من طراز قديم فقط ، وقوتهم الجوية ضعيفة ، وطائراتهم قديمة ايضاً . ان الجيش البولندي كان يمتاز بروحه المعنوية ، ويتحلى بمزايا القتال ، وبمقدرته على إنجاز الحركات الليلية بكل كفاءة ، وكان يجتاز بطريقته الخاصة فترة انتقال لمحاكاة أساليب الجيش الروسي ، وكان الضباط البولنديون يمثلون طبقة باسلة منسجمة فيما بينها ، وكانوا يحظون بتقدير عظيم من الجيش الالماني ؛ وأحسن ما في الجيش البولندي فرسانهم الممتازون بتقاليدهم القديمة ، هؤلاء الفرسان الذين جعلوا بعض الفرق الالمانية أثناء الحملة البولندية تحسب لهم ألف حساب ، والذين امتازوا بشجاعتهم العظيمة .

لقد كان معروفاً حينذاك ، بأن البولنديين قد أعدوا عدّتهم واتخذوا تدابيرهم الدفاعية ضد روسيا دون ان يحاولوا إخفاء هذا الاتجاه ، الا ان تحصيناتهم المستحضرة لم تكن كافية لحماية الحدود البولندية الشاسعة ، لذلك اضطرت القيادة البولندية العليا الى حماية مناطق ذات الأهمية القصوى بالتحصينات المنشأة بالسمنت والحديد ، وكانت تحصينات (سيلزيا العليا)

من أحدث وأقوى هذه التحصينات - تلك التحصينات التي في استطاعتها الصمود بنجاح ضد القصف من الجو ومن المدفعية الثقيلة ، وكانت التحصينات الواقعة شمالاً في (نيرو) على الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية في الدرجة الثانية من تحصينات سيلزيا العليا وعلى الأخص تلك التحصينات الواقعة قرب (اوستاو) ، ولم يكن على طول الحدود الشاسعة الاخرى غير عوائق معزولة من السمنت ، وكانت هذه العوائق كثيرة في منطقة (بوزنان) . وفي بولندا نجد تشابهاً بين تحصيناتها هذه وتحصينات الحدود في جيكوسلوفاكيا عام (١٩٣٨) الى (١٩٣٩) . كانت خطة الحركات الالمانية خطة بسيطة : يحتل جحفل الجيش الشمالي المؤلف من الجيشين الثالث والرابع مع القطعات الآلية وفرقة الخيالة الاولى موضعاً في الشمال، ويتقدم على محور (بوزنان) - (وارشو) - (برست ليتوفسك) بقيادة الفريق فون (بوك) للاحاطة بالجيش البولندي ، ومن جهة اخرى يقوم جحفل الجيش الجنوبي باجتياز الحدود على محور (تاترا العليا) (الكربات - بوشن - برسلو - كلوكو) ويتقدم الى الشرق والشمال الشرقي لاحاطة الجيش البولندي من الأمام والجنوب ، وقد استطاع القائد العام للجيش فون (براوشتش) ورئيس هيئة الأركان العامة (هلدر) تأمين التعاون التام بين جحفلي هذين الجيشين . كان جحفل الجيش الجنوبي بقيادة فون (رونشتد) أقوى الجيشين، لأنه كان مؤلفاً من ثلاثة جيوش ومن القسم الأعظم للوحدات الآلية ، وكان الجيش الرابع عشر بقيادة اللواء (ليست) الذي من قطعاته فيلق فون (كليست) المدرع في جناحه الأمين ، وكان واجب هذا الجيش التقدم من سيليزيا العليا خلال مناجم الفحم باتجاه الشرق نحو (كراكاو) و (برزي مسل) و (لمبرك) ، وكان عليه ان يطوق الجناح البولندي الجنوبي الكائن على جانبي جبال (تاترا العليا) التي يبلغ ارتفاع قممها اكثر من (٨٠٠٠) قدم من الجنوب مخترقاً (الكربات) بمفارز قوية عززت اخيراً بثلاث فرق جبلية ، وفي المركز كان جيش فون (ريشناو) العاشر قوياً جداً . هذه القطعات الرئيسية كانت تضم القسم الاكبر من القطعات المدرعة والفرق الآلية،

وواجبها الهجوم نحو (سيليزيا) على محور (راندوم) العام ؛ وفي اليسار كان جيش اللواء (بلاسكوويتس) الثامن أضعف هذه الجيوش ، وكان عليه ان يشرع في الهجوم من منطقة قريبة من (كلوكو) باتجاه (لوتس) وأهم من ذلك كان عليه حماية الجناح الشمالي لجحفل حيش (رونشتد) في (وانا) و (بزورا) حيث كان القسم الأعظم من الجيش البولندي محتشداً في المنطقة المحيطة بمدينة (بوزنان) والى الشمال منها .

خصصت القوة الجوية الالمانية الاسطول الجوي الرابع بقيادة (لوهر) لاسناد الهجوم في منطقة (رونشتد) ، وأضيف اليها تشكيلات الصاعقة الجوية بقيادة اللواء فون (ريخ توفن) لغرض الاسناد القريب للفيلق المدرع.

لقد كانت الجبهة واسعة جداً ، تمتد من (تاترا العليا) — (تروباو) — (اويلن) — (برسلاو) — (كلوكو) ، اي حوالي (٢٧٥) ميلاً اذا اعتبرناها خطاً مستقيماً من بدايتها الى نهايتها، وكان رونشتد هو القائد العام لهذه الجبهة ، اذ استدعي لقيادته بعد ان أحيل على التقاعد عام (١٩٣٩) كان الجيش يرى في رونشتد جندياً يتحلى بخلق رفيع نادر وبموهبة خاصة تعينه على تفهم الحركات السوقية (الاستراتيجية) ومعرفة الاتجاهات الصحيحة ، أما رئيس هيئة ركن قيادته ، فكان اللواء النشيط الكفؤ الفعال فون (مانشتاين) ، لذلك كان على رأس مقر قيادته خيرة الضباط . أما أفراد هيئة الركن الآخرون فكانوا قليلي التجربة والقابلية ، لأن هذه الهيئة شكلت لأول مرة عند اعلان التعبئة العامة في بداية الحرب ، وقد التحق بها كثير من الضباط وضباط الصف الاحتياط الذين جاءوا من اعمالهم المدنية ، وكانت الخدمة في مقر رئيس كهذا امراً غير مألوف لديهم ، ولكن كفاءة مقره تحسنت تدريجياً بالممارسة وبمرور الزمن ، وقد جرى اسكان مقر قيادته لأول مرة في مركز تدريب واقع في (سيليزيا) ثم نقل بعد ذلك الى (نيس) ، وقد اصبح الدير الكاثوليكي للصليب المقدس دائرة للمقر،فشاركنا

الرهبان في حديقة الدير ومرافقه ، وقد قضى رئيس الدير الالمعي الحكيم ليالي عديدة يتحدث الى رونشتد ويتبادل معه وجهات النظر دون كلفة . كان المفروض أن يبدأ اجتياز الحدود يوم ٢٦ آب (اغسطس) عام (١٩٣٩) ، وكان على مفارز الاستطلاع ان تتخذ تشكيلات القتال المتقدمة للامام ليلة ٢٥/٢٦ آب .

صدرت كافة الاوامر ، واصبحت الجيوش متهيئة للحركة ليلة ٢٥ آب للوصول الى اهدافها .

لم تكن الروح المعنوية السائدة في هذه الجيوش عالية مندفعة ، كما لم يظهر على البولنديين اضطراب كبير ، ولكن برز للعيان السؤال التالي : ما الذي سيحدث بعد هذا .

في الساعات الأولى من مساء يوم ٢٥ آب ، وصل الينا امر غريب صادر من هتلر ، بلغه الينا القائد العام للجيش ، مفاده ان على الجيش الشرقي ان يتوقف حالاً ! ومن الواضح ان السياسيين كانوا يبحثون عن مخرج لاجتناب الحرب في اللحظات الاخيرة، وكان هذا الأمر يحتاج الى اقصى سرعة لتنفيذه، والا فستجتاز قطعاتنا الأمامية الحدود ، حيث تشتبك بالقتال !

لقد كان ايقاف التقدم الوشيك لقطعات الاستطلاع الأمامية على جبهة طولها (٢٧٥) ميلا قبل اختراق الحدود عملاً معجزاً حقاً ، ولكنه أنجز من جانب القيادة العامة وآمري القطعات والقطعات بشكل بلغ حد الكمال. كانت ليلة وضاءة بنور القمر ، ازدحمت بها الطرق بين (تاترا العليا) و (كلوكو) بأرتال فرق المشاة والفرق المدرعة المتقدمة لقطعات امامية لجحفل جيش الجنوب ، وكان هناك كتيبة آلية تتحرك متوغلة نحو الشرق على طريق يمتد من (سيلين) في جيكوسلوفاكيا جنوب (تاترا العليا) لغرض اجتياز جبال (الكربات) باتجاه الشرق ، فتعذر الاتصال بهذه

الكتيبة ، لانها كانت بعيدة جـداً عن مقر القيـادة ، ولرداءة المواصلات في (جيكوسلوفاكيا) الشرقية ، اضطر رونشتد الى ايفاد ضابط بطائرة المانية صغيرة يستخدمها ضباط الركن الأقدمون من نوع (ستورك) مجتازاً الجيش الرابع عشر للوصول الى هذه الكتيبة ،فتمكن هذا الضابط من تمييز الكتيبة في ضوء القمر وهي متحركـة على الطريق شرق (سيلين) ، وهبط بالقرب من مقرها ، ثم بلـّغها امر توقف الحركة .

توقف المحرك الجبار للجيش عن الحركة ، غير ان دوريات صغيرة آليـــة اجتازت الحدود هنا وهنـاك ، فأمكن سحبهـا قبل ان تشتبك في القتال . لم يكن رونشتد يعرف دواعي صدور أمر توقف الجيش عن الحركة، لعدم وصول أي معلومات عن الموقف السياسي اليـه ، غير أن الأشاعـات السائدة حينذاك كانت تزعم بأن موسليني او الدول الغربية عرضوا اقتراحـات للتسوية السلميـة بين الطرفين. لقد سبق لهتلر أن أصدر أمراً بالتوقف عن التقدم في عام(١٩٣٨) قبل الحركة الى (السوديت) . وعندما وصل أمر التوقف عن التقدم هذه المرة، ساد هيئة الركن ارتياح عظيم ، ونال على اثر ذلك فون رونشتد بضع زجاجات من شراب (التوكي) الذي استحضر من(نيس)لتكريم هذه المناسبة السعيدة بالاشتراك مع رئيس الدير .

هذه هي حقيقة الروح المعنوية السائدة في تلك الساعة، ولكن أمر التوقف عن التقدم لم يدم طويلاً ، فقد صدرت أوامر جازمـة للشروع بالتقدم لاختراق الحـــدود والشروع في الحرب ، ففي يوم ١ أيلول (سبتمبر) سنة (١٩٣٩) اجتاز جحفلا الجيشين الحدود البولندية من الشمال والغرب والجنوب، فاندلعت نيران الحرب .... !

كانت مقاومة البولنديين شديدة لا سيا في المنطقة الصناعية من سيليزيا العليا، استفادوا من التحصينات الدفاعية القوية هناك ، فكانت خسائر الجيش

الرابع عشر المهاجم لتلك المنطقة كبيرة لا يستهان بها. اما في المناطق الاخرى على امتداد خط الحدود الطويلة ، فقد تجنب البولنديون القتال في بادىء الأمر، ولم تشتد مقاومتهم الا بعد مرور يومين او ثلاثة على بدء القتال ، فنشبت سلسلة من المعارك السيارة المتقلبة بين الشدة تارة والسهولة اخرى : هذه المعارك التي يتعذر سرد تفاصيلها في هذا الكتاب .

قاتل البولنديون بشجاعة كما كان المؤمل منهم ، وأهم من ذلك امتازت ألوية خيالتهم الباسلة بمباغتة قطعاتنا ليلاً وكأنهم جيش من الأشباح . نشأت أزمة وقتية عندما حاول القسم الأعظم من قطعاتهم التراجع من جوار (بوزنان) متجهاً نحو (وارشو) ، حيث هددهم جحفل جيش الشمال فحاولوا التملص متجهين نحو الجنوب عبر (بزورا) ، ولكن عندما شرع الجيش الثامن الذي كان من قوات رونشتد بالهجوم متجهاً نحو الشرق ، ظهر البولنديون على طوار نهر (بزورا) باتجاه جناح الجيش الثامن ، فهدّدوا بذلك هذا الجيش تهديداً خطيراً لبضعة ايام ، مما أدى الى ارسال بعض الفرق من الجيش العاشر الذي كان في المركز بصورة وقتية شمالاً لغرض إسناد الجيش الثامن . قام رونشتد ورئيس هيئة ركنه باجراءات فعالة ، فقد طارا الى مقر الجيش الثامن في (لوتس) وأصدرا الأوامر اللازمة ، وقد نشأت الأزمة هذه على الجناح الأيسر للجيش الثامن لسبب قلة الاستطلاع . حقاً لقد كان هذا الخطر ناجماً عن قلة عناصر الاستطلاع المخصصة لهذا الجيش ، اذ لم يكن لديه غير كتيبة آلية واحدة ، خصصت للجناح الأيمن بدلاً عن تخصيصها لأقصى الجناح الأيسر؛ وأكثر من هذا فقد كانت الاستطلاعات التعبوية ناقصة ، تلك التي أجرتها الخيالة ، ذلك الصنف الذي احتفظ دائماً بفائدته في المناطق الشرقية . حثّ رونشتد الذي كانت له معلومات دقيقة عن المناطق الشرقية اكثر من مرة ، على ضرورة نقل وحدات استطلاع الفرق التي كانت في الجبهة الغربية الى الجبهة الشرقية، فقد كانت الفرق الالمانية في الغرب في موقف مستكن مستندة الى مواضعها في التحصينات

الغربية ، ولم يكن لوحدات استطلاعها أي وجه لاستخدام مفيد .

أما الاستطلاع الجوي فقد كان ناجحاً ، نظراً للسيادة الجوية التي كانت في جانبنا نتيجة لكثرة الطائرات الالمانية ، غير أن الطيارين لم يتمكنوا دائماً أن يحددوا بالضبط ماهية الموقف على الأرض .

كان ايلول (سبتمبر) عام (١٩٣٩) شهراً معتدل الجو ، سماؤه مشرقة ؛ وعلى السبل الرملية كانت سيول جارفة من اللاجئين يتحركون ومعهم خيولهم ومواشيهم وعرباتهم كما هو مألوف في كل مكان في الشرق ، كما كانت القطعات البولندية ايضاً تتراجع باتجاه الشرق ، في حين أن قطعات أخرى من البولنديين تملصت بعيداً مرة أخرى من الشمال باتجاه الجنوب ، فكان هناك خليط هائل من القطعات والأهلين ، ولكن لم يكن ليرى من الجو شيء عدا سحباً كثيفة من الغبار تنبعث من كافة الجهات وعلى كافة الطرق ، ولولا هذه السحب من الغبار الكثيف ، لكان في الامكان تمييز ما كان يتحرك تحتها .

وفوق ذلك فان البولنديين شأنهم شأن الامم الشرقية الاخرى – مغرمون بالاستفادة من السري ليلاً للتنقل والقتال . لقد امتاز البولنديون على القطعات الالمانية عام (١٩٣٩) بالحركات الليلية ، مما اضطر القطعات الالمانية لأول مرة الى العمل ليلاً .

توصل القائد العام لجحفل جيش الجنوب بعد ذلك الى قرار سوقي هام ، فقد كان على الجيش البولندي بتأثير ضغط جحفل جيش الشمال الانسحاب من (برومبرك) و (بوزنان) لأجل الخلاص من حركة الأحاطة المزدوجة ، وقد ساد الغموض لبضعة أيام في القيادة الالمانية العليا ، فكان هناك احتمالان: الاول أن البولنديين لا يزالون غرب (وارشو)، والثاني أنهم أصبحوا وراء هذه المنطقة باتجاه الشرق والشمال الشرقي بحالة تراجع عبر نهر (البك) .

رجعت القيادة الالمانية العليـــا الاحتمال الثاني ، فطلبت من جحفل جيش الجنوب التقدم من رومانيا في الجنوب الشرقي عبر نهر (الفستولا) باتجاه (لوبلن) لقطع خط تراجع البولنديين بين نهري (البك) و (الفستولا) .

ولكن رونشتد ورئيس هيئة ركنه قدّرا الموقف بشكل يختلف عما قدّرته القيادة الالمانية العليا ، فاستنتجا ان العدو لا يزال يقاتل بالقسم الاعظم منقواته في غرب (وارشو) ، واستناداً على ذلك غيّرا اتجاة الجيش الثامن واتجاه القسم الأعظم من الجيش العـــاشر الآلي بكل سرعة شمالاً نحو (وارشو) ، فتحمل بذلك رونشتد مسؤولية تنفيذ هذا القرار المصيب على الرغم من مخـالفته لرأي القيادة الالمانية العليا ، فنقلت قوات الجيشين العـاشر والرابع عشر ، كما نقلت كافة المدفعية الآلية الثقيلة بسرعة الى اتجاه (وارشو) لتطويق هـذا الموضع المدافع عنه بشدة ، والمحـاط بالمواضع البولندية المستحضرة والحصون والقلاع ، ولجعل عملية عبور نهر الفستولا اكثر صعوبة ، وقد أمكن إزاحة القسم الأعظم من الجيش البولندي الذي كان محيطاً بـ (وارشو) بالتعـاون مع جحفل جيش الشمال الذي كان يتقدم من ناحية الشمال .

ولقــد قُصفت دفاعات (وارشو) بشدة من الجو وبالمدفعية من الارض بالاضافة الى هجوم المشاة والدروع عليها ، فاضطر القـائد البولندي الشهم على الاستسلام مع جيشه وحصونه، وبذلك حققت حرب الصاعقة في بولندا اهدافها بالنسبة لأبواق الدعاية فقط ، وإن لم تكن الحرب منتهية بعد بالنسبة للقطعـات الالمانية المقـاتلة ، فقد تحدثت الدعاية عن حرب استغرقت ثمانية عشر يوماً ، ولكن مجرى الحوادث عند التطبيق لم يكن كذلك . ممـا لا شك فيه ان القسم الأعظم من الجيش البولندي قد انهار ، ولكن القوات الالمانية لا تزال تصطدم بقطعات قوية من الجيش البولندي على الضفة الشرقيـة لنهر (الفستولا) ، وقد حاولت تلك القطعات البولندية التملص بالعبور بين نهري (البك) و (الفستولا) الى رومانيا .

تطور الموقف بسرعة هائلة من بعد ذلك ، فقد توصل هتلر الى اتفـــاق مع روسيا لاقتسام بولندا ، ورتبت الامور من البداية على أساس إعطاء كافة المنطقة الكائنة شرق الفستولا للروس ، فعبرت القطعـــات الروسية ودروعها الحدود البولندية الروسية على جبهـة واسعة بين (مينسك) و (بودوليسك) وتقدمت ببطء نحو الغرب ، فكان نتيجة ذلك اصطدام جحفل جيش الجنوب اثناء تقدمه بقطعات بولندية كانت تحاول يائسة الوصول الى رومانيـــا المحايدة في الجنوب الشرقي لتكون بمنجاة من قبضتي القطعات الالمانيـة والروسية ، كما اتجه كثير من الشعب البولندي من الشرق الى الغرب خوفاً من الروس .

يمكن ان نتصور كيف كان الموقف غامضاً حينما كان هناك قتال محلي مستمر في شرق (غاليسيا) وحول (لوبلن) وبصورة خـاصة ليلاً ، بعـــد انقضاء الثمانية عشر يوماً ، فقد كان البولنديون يستفيدون من الظلام ومن غابات شرقي بولندا .

وفي منطقة (كروديك) من (غاليسيا) وحول (لمبرك) ، حـــدثت اشتباكات تميزت بالضراوة والعنف ، خاصة في المستنقعات والغـابات المجاورة لهذه المنطقة ، فقد ظهر البولنديون في جبهة ومؤخرة القطعات الالمانية محاولين شق طريقهم خلالها. وسط هذا الموقف المرتبك شرقي (الفستولا) و(السان)، حصل اصطدام بسيط له مغزى بين وحدات البنـادق من الفرقة الجبلية الاولى وبين وحدات روسية مدرعة ، فقـد أخطأ الملازم الالماني الذي كان يحتل ربيئة في تمييز الدبابات الروسية المتقدمة من الشرق ، فأمر بفتح النـار حيث أصيبت الدبابة الروسية الأمامية ، كما قتل كلا الضابطين الالماني والروسي في نفس الوقت.

ومع ان الحملة البولندية كانت منتهية بالنسبة لأغراض الدعاية، الا ان الموقف بالنسبة لقطعات رونشتد في (غاليسيا) تطور بشكل غريب يوماً بعد آخر ، فقد كان على كافة القطعات الالمانية ان تنسحب الى غرب (الفستولا) و(السان)

وفقاً للاتفاقية الالمانية الروسية لتسليم هذه المنطقة للاتحاد السوفيـاتي ، غير ان القطعات الالمانية كانت مشتبكة اثنـاء انسحابها باشتباكات صغرى مع الجيش البولنـدي ؛ ومهما يكن من الامر ، فان الروس تركوا الالمان لمعـالجة هذه المقاومات ، وتقدموا ببطء باتجاه الغرب ، وقد ظهرت للعيان من ذلك الوقت صعوبة التغلب على الريبة والشك المغروسين الى غور بعيد في الجيش الاحمر .

وهكذا وجدت وحدات من الجيش الرابع عشر نفسهـا في موقف حرج اثناء انسحابها عبر (السان) خلال منطقة (التاينو) الشهيرة برمالهـا وبندرة طرقها وبغـاباتها ومستنقعات ضفافها الضحلة نتيجة للهجمات البولندية عليها ، ولنجدة هذه الوحدات وصلت تشكيلات المانية اخرى الى الشرق . بعد ذلك تبدل قرار تقسيم بولندا الاول ، فأصبح خط التقسيم الجديد هو خط (سان) - (بك) ، ومعنى ذلك انسحاب القطعـات الروسية باتجاه الشرق ثانية وتقدم التشكيلات الالمانيـة عبر (الفستولا) الى (البك الاسفل) مرة اخرى ، ومن ذلك تظهر أية صعوبات وخسائر عانتها القطعات بسبب تعيين الخط الفـاصل بالطرق السياسية .

لم تنته الحرب البولندية فعلاً الا في منتصف شهر تشرين الاول (اكتوبر) ، وحتى بعد ذلك الوقت تكبدت القطعـات الالمانية خسائر كبيرة في الارواح .

كانت هيئة ركن رونشتد خلال هـذه الفترة تسكن بيتاً ريفياً في جنوب غربي (وارشو) يعود الى عائلة (باتوكي) البولندية ، وفي هـذا المكان تلقى رونشتد أمراً بتعيينه قائداً عاماً للجبهة الشرقية ، وان يبقى في بولندا مع هيئة ركنه لحماية البلاد بصفته حاكماً عسكرياً لها .

لم يكن هـذا الأمر يتفق مع رغبته بأي وجه ، إذ كان قد تقرر إحداث منصب الحاكم المدني العام لبولندا ، فعين حاكم نازي للبلاد والتحق بمنصبه .

سبق ان حدثت اختلافات حادة بين وجهات نظر رونشتد وبين رجالات الحزب النازي ، كما حدثت مثل هذه الاختلافات خلال الحرب البولندية ، لذلك لم يدخر رونشتد وسعاً للتخلي عن منصبه كحاكم عسكري والابتعاد عن بولندا؛ وقد تحققت رغبة رونشتد هـــذه في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ، إذ أصدر هتلر نفسه امراً يقضي بنقل رونشتد وهيئة ركنه الى الغرب لاستلام قيادة جحفل الجيش (أ) هناك ، وتعيين الجنرال (بلاسكوويتس) حاكماً عسكرياً جديداً لبولندا ؛ فسلمت هيئة ركن رونشتد مقاليــد البلاد الى الحاكم الجديد ، وانتقلت الى (لوتز) . وفي نهاية تشرين الاول نقلت هيئة ركن رونشتــد غرباً الى (كوبلنز) على نهر (الراين) واستلم رونشتــد وسام الصليب الحديدي من درجة (صليب الفارس) .

أثبتت تجارب الحرب البولندية ، ان قسماً من مشاة الالمان لم يكونوا ثابتين تحت النار ، ولم يبلغ مستواهم مستوى وحدات المشاة الالمانيــة الشهيرة في سنة (١٩١٤) ؛ وقد اهتم بذلك كثير من آمري الوحــدات وأبدوا تذمرهم من ان بعض قطعاتهم يهاجمون بقلوب خائرة ، ومن المؤكد ان مستوى بعض الفرق كان أرفع من ذلك ، ولكن حتى هذه الفرق من المشاة كان بعضهــا دون الحد المرضي .

لم يكن سبب ذلك ناجماً عن جنـــدي المشاة الالماني ، بل سببه التوسع في إنشاء التشكيلات بسرعة فائقة جداً ، فلم يحظ الجيش نتيجــة ذلك بالانسجام الداخلي المتين ؛ وكان السبب المبـــاشر لإنهاء الحرب بسرعة ونجاح ، يعود الى كفاءة القوة الجوية والدروع . لقد أرسل الى هتلر تقرير حول عدم كفاءة فرق المانية معينة أثار استياءه ، لأنه كان مقتنعاً بأن مشاته ممتـــازة من كافة الوجوه كالمشاة التي خدم فيهـــا بنفسه جندياً عام (١٩١٤) ، ولكن الواقع لم يكن كذلك !

ان دراسة الحرب البولندية بالنسبة لرجال الجيش ممتعة ومفيدة من الناحية

الثقافية ، فقد كانت حرباً سيارة اكتنفتها مواقف متبدلة باستمرار بين الدفاع والهجوم والتطويق والتملص والهجوم المقـــابل . وكان فيهـا مواقف جديدة ومفاجئة وتبدل سريـع في النتائج ، ولم يتيسر خلالها أي راحة لهيئات الركن وللقطعات خلال النهار ، كما لم يتيسر بكل تأكيد خلال الليل !

لقد كانت حمـلة تتفق بصورة خاصة والخطط السوقيـة والتعبوية لرونشتد – أي انها كانت حرباً ذات تبدلات سريعة ، وقد كان رئيس هيئة ركنه اللواء القدير فون (مانشتاين) مخلوقاً بصورة خاصة لمثل هـــذه الحملة . وقد أسر كلا جحفلي الجيشين حوالي (٦٩٠٠٠٠) بولندي .

أسر في بداية الحمـلة لواء بولندي فحلّ ضيفاً على مقر رونشتد لمدة يومين ، فرثى هذا اللواء سياسة حكومته ، وبكلمات مُرّة عبّر عما يكنّه : « ان عدداً كبيراً من الضباط البولنديين كانوا يؤملون ان يضطلع الجيشان الالمـــاني والبولندي معاً بمهمة الدفاع ضد الخطر الروسي » !. .

ان عدم معرفة ما سيقع من الأحداث المتعاقبة ، جعلنا نعتبر حينذاك مـــا قاله هذا اللواء الشهم مجاملة ليس إلا ... وربما تسنى له – باعتبـاره بولندياً ان يبصر مجاهل المستقبل البعيد .

٥

حرب الصاعقة في الغرب عام ١٩٤٠

كان مقر رونشتد الجديد في المدينة الالمانيـــة القديمة (كوبلنز) على نهر (الراين)، وكانت دوائر المقر في ابنية قديمة سكنها من قبل مقر الفيلق البروسي الثامن وفيها تكاد تلمس بوضوح تقاليد قرن كامل ، وقـد اسكن معظم الضباط في فندق (ريزن فيرستن هوف) .

ظل الموقف السياسي مجهولاً في الواقع ، لأن قادة الجيش والفيالق لم يطلعوا الا على قليل من المقاصد والأهداف ، لذلك اثرت اشاعة غير مدبرة فيهم تأثيراً عظيماً .

لا يكاد يُفرق أحد بين الدعايات والوقائع الصحيحة. ان المعلومات الناقصة عن الموقف السياسي لم تؤثر على رونشتد وقادة الجيش الاقدمين ، كما كان محتملا ان يكون تأثيرها على قادة جيوش الاقطار الغربية .

لقد تعلم الجندي البروسي الالمـــاني اكثر من اي جندي آخر بفعل تقاليد قرنين طويلين ، الا يشغل نفسه بالامور السياسيـــة ، لهذا السبب كان ميلهم لاستجلاء الخفايا في ذلك الوقت ضعيفاً .

ولم تكن اسباب احجام قوات انكلترا وفرنسا عن الاشتراك فعلاً في الحرب واضحــة ، في الوقت الذي كان معظم الجيش الالمــاني ودروعه وقواته الجوية متحركة نحو الشرق الى بولندا .

ولقد كان التوتر السياسي موجوداً منذ ربيع عـــام (١٩٣٩) ، وفي يوم ١ أيلول اندلعت نيران الحرب البولندية – الالمانيــة ، وعندما حاول موسليني التوسط يوم ٢ أيلول – ذلك التوسط الذي يمكن ان توافق عليه فرنسا والمانيا – في ذلك الوقت ، اصدر السفير البريطاني في برلين قراراً نجم عنه حدوث حــالة الحرب .

ربطت فرنسا مصيرها ببريطانيا ، وبقي لغز يصعب حله ، وهو : لمــاذا لم تضع الدولتان القويتان بريطانيا وفرنسا حداً للحرب بكاملهــا ، وذلك بغزو المانيا الغربية في ايلول (١٩٣٩) ؟ أكانت هناك اسباب سياسية ؟ هل كان هناك امل في اجراء تسوية بعد الحرب البولندية؟ هل ان الاتفاق الروسي الالماني حول بولندا قد اخاف تلك الدولتين .

اما ما اطلق عليه (بالجدار الغربي) فلم يكن الا خدعة من خدع الدعايات الالمانية ، ومن الصعب تصديق ان حقيقة سر هذا الجدار بقيت خافيــة على خدمة الاستخبارات الغربية ،فقد كان سمك الخرسانة المسلحة لكثير من حصونه غير كافية للصمود تجـاه القصف الثقيل ، كما لم تتيسر ساحة نار كافيـــة لبعض المانعات[1]؛وفي بداية الأمر لم يكن فيه غير قليل من عراقيل الاسلاك الشائكة، وكان تسليح الجدار بالمدفعية والرشاشات الثقيلة ضعيفاً ، كما كانت شبكة الطرق والسكك الحديدية الضرورية لمثل هذه التحصينات في دور الانشاء ، وكثيراً ما

---

(١) المانعات : جمع مانعة ، وهي موقـــع محصن يمنع العدو من التقدم لتحصينه بالصلب والسمنت ، ولوجود اسلحة ثقيلة فيه .

(المعرب)

بذلت الجهود الشاقة في انشاء التحصينات لعدم تيسر الطرق ، ثم انشئت من بعد ذلك الطرق .

ان اي عسكري يعلم ضرورة انشاء الطرق والسكك الحديدية ومحلات الاسكان اولاً ، ثم انشاء التحصينات الدائمية من بعد ذلك .

ولقد ضحك رونشتد عندما فتش (الجدار الغربي) لأول مرة ، وبالاضافة الى ذلك كانت وسائل المخابرة ناقصة وغير متصلة بالمطارات وبمواضيع اسلحة مقاومة الطائرات ، ولكن الدعاية أظهرت ان (الجدار الغربي) اقوى من خط (ماجينو) القديم نوعاً ما ، فقد ادعوا ان هذا الجدار كرقعة الشطرنج من حيث قدرته على الدفاع عنه في حين ان خط (ماجينو) لم يكن الا خطاً محصناً قديماً ، ولكن حقيقة اسلوب الدفاع بالعمق عن (الجدار الغربي) هي انه لم يكن جاهزاً في الحقيقة ، خلافاً لخط (ماجينو) الذي انشىء بدقة وعناية ، فكان فعلاً اقوى من (الجدار الغربي) ، ومن المؤكد ان الفرق بين قوتيهما كان كبيراً جداً .

ومن الطبيعي ان نفترض اشتراك عدد كبير من الجواسيس في اقامة (الجدار الغربي) ، ولا بد ان فرنسا وبريطانيا عرفتا منهم تمويه الدعاية عن هذا الجدار ومبالغتها في وصف قوته !

يضاف الى ذلك عامل موقف القوات الالمانية في ايلول وتشرين الثاني عام (١٩٣٩) ، فقد كان خمسة وسبعون بالمائة من الجيش الالماني والقوة الجوية الالمانية في الشرق تقاتل بعيداً حتى نهر (البك) ، ولم يبق في الغرب غير ربع القوات الالمانية بدون اي قوة مدرعة ، وفضلاً عن هذا ، لم يبق في المانيا وفي المطارات الغربية غير وحدات ضعيفة من القوة الجوية ، وقد استخدمت هذه الفرق الالمانية القليلة لستر الحدود تجاه هولندا وبلجيكا وفرنسا ، فاحتل كل منها قواطع واسعة .... فلم يكن هناك دفاع بالمعنى الصحيح ، بل حماية محلية

ليس الا ، كما لم يحصل في تلك المناطق قتال جوي اذ اكتفى الفريقـــان بمجرد المراقبة فقط ؛ وكانت هناك حالة حرب ولكن بغير قتـــال ، اذ لم تطلق غير طلقات طائشة هنا وهناك ، كما حدثت اكثر الخسائر من الغارات الجوية او من انفجار الالغام ليلاً ، والحق ان علاقات ودية تقريباً نشأت بين القطعات السائرة الامامية القصوى للطرفين ، كما آمن الطرفان بضرورة اجتناب الاعمال الايجابية كأنما عقدت بين القطعات المتقابلة اتفاقية الرجال الشرفـاء ، دون ان يخل احد الطرفين بهذا الاتفاق .

وقبيل انتهاء الحرب البولندية في ايلول ، سحبت الفرق الالمانيـة الفائضـة عن الحاجة الى الغرب ، وبعد انتهاء هذه الحرب اندفعت القوات الالمانيـــة الى (الراين) ، فلم يبق في الشرق سوى تشكيلات ضعيفة ، ومع هـذا لم يقع حتى ذلك الوقت اي شيء يذكر في الغرب . كانت اسهم هتلر لا تزال مرتفعـــة ، وكان الشعب القلق واثقاً بأن هتلر على صواب دائماً وبأن هيئة الركن العامة على خطأ دائماً . ولقد تبين ان القائد العـــام للجيش المشير (براوشتش) كان مقتنعاً حينذاك بالاكتفـاء بمراقبة الحدود الغربيـة بقوات ضعيفة فقط ريثما يجد السياسيون في اللحظة الأخيرة حلاً ما للسلم ، لهـذا جعل ترتيباته العسكرية دفاعية هناك ، ونظم الجيش الالماني وفقاً لذلك . وعندما علم هتلر بخطته هـذه حدث اصطدام عنيف بينه وبين مقر الجيش ، واصدر امره بأن يُرتب الجيش الالمـــاني في الغرب بشكل يجعله قادراً على الهجوم عند الحاجة ، لذلك وجد رونشتد الموقف في الغرب عندما وصل الى (كوبلنز) في نهاية خريف(١٩٣٩) غامضاً جداً .

كانت الجبهة الغربية مقسمة بين ثلاثة جحافل جيوش : جحفل الجيش (ب) بقيادة فون (بوك) ويضم الجيوش الثـــامن عشر والسادس والرابع مع القسم الاكبر من الفيلق الآلي ، وقد رتب هـذا الجحفل بالعمق اعتباراً من الراين الاسفل والى الشرق،وكانت فرقه الامامية على الحدود الشرقية لهولندا وبلجيكا

وجناحه الجنوبي في منطقة (ايفل) ، وكان هذا الجحفل اقوى بكثير من الجحافل الاخرى ، وعلى قواته انعقدت الآمال الكبار .

وجحفل الجيش (آ) ، وهو مؤلف من الجيش الثاني عشر بقيادة (ليست) والجيش السادس عشر بقيادة (بش) فقط وبدون قطعات آلية ، وكان هذا الجحفل قريباً من الجنوب ، ولذلك ربض في مركز الجبهة الغربية ، وكانت فرقه الامامية على حدود (فرنسا) و (لوكسمبرك) وجناحه الأيمن يمتد الى الجنوب الغربي من (بروم) تقريباً ، وجناحه الايسر قرب (نيرزك) في (السار) ...

وجحفل الجيش (جـ) بقيادة فون (ليب) وقد ستر بجيشه الحدود الالمانية من (نيرزك) ممتداً الى (ساربروكن) والى الحدود الجنوبية من (بلاتينا) البافارية ومن ثم الى الشرق من (الراين) الأعلى بين (كارلس روها) و (بازل) الى الشمال . فكان هذا الجحفل بمثابة حلقة اتصال بين الجحفلين (أ) و (ب) . وكانت الخطة الهجومية الالمانية المزمع تطبيقها عند الحاجة في نهاية عام (١٩٣٩) كما يلي :

يتقدم جحفل الجيش (ب) القوي الى جنوب هولندا وبلجيكا باتجاه مضيق (دوفر) .

ولقد حدث عام (١٩١٤) أن كانت أهداف المانيا شبيهة بذلك ، وعندما وضع رئيس هيئة الأركان السابق الكونت (شليفن) خطته ، تلك الخطة التي لم تنفذ وفقاً لأفكاره ، إذ أراد ان يطوق بجناح قوي من الجيش دفاعات فرنسا القوية الشهيرة في الشمال ، ليمهد الطريق لحركة التفاف قوية ضد الجيش الفرنسي من اتجاه بلجيكا .

لم يعلم رونشتد فيما اذا كانت خطة (١٩٣٩) توارد خواطر لخطة عام (١٩١٤) أم هناك أسباب مبررة لاعادة خطة (شليفن) على شكل أوسع ، ومهما يكن

الأمر فقد ألقي على الجحفل (ب) الواجب الرئيس في تطبيق هذه الخطة .

وكان الواجب المخصص لرونشتد أبسط من ذلـــك كثيراً ، فقد كان على جحفل الجيش (آ) القيام بواجب ثانوي هو التقدم الى (الموز) الوسطى فقط بين (جفت) و (سيدان) على أن يستر الجناح الأيسر لجحفل الجيش الشمالي بعد ذلك، ومن ثم فكل شيء يتوقف على تطورات الموقف .

أما جحفل الجيش (جـ) فقد كان عليه أن يشترك في القتال فـــيما بعد ، إذ يخترق خط (ماجينو) من الشمال والشرق ويحتل الالزاس واللورين .

عمل مقر رونشتد اعتباراً من كانون أول (١٩٣٩) مستنداً الى المبدأ التالي:

لو صدر أمر بالتقدم غرباً لاقتضى تبديل الخطة الراهنة . يتميز رئيس هيئة ركن فون رونشتد اللواء البارز فون (مانشتاين) بروح الابداع، فهو الذي دأب على التفكير في مختلف المسالك المتوقعة ، فكان فضل ظهور خطة العمل بشكلها النهائي يعود اليه وحده . وقـــد أقر رونشتد فكرة رئيس هيئة ركنه بلمحة خاطفة واحدة ، تلك اللمحة التي كانت من خصائصه ، وعكف بعد ذلك مـــع رئيس هيئة ركنه على إيضاح الخطة الجديدة للقيادة العليا بعـــد أن استنفدت تلك الخطة شهوراً طويلة لا كمالها .

إن مسؤولية نتائج الخطة المقترحة تقع على عاتق القائد الأعلى وحده ، أي على فون رونشتد بالنسبة للتقاليد العسكرية .

لقد تساءل رونشتد ورئيس هيئة ركنه : عما اذا كان هجوم جحفل الجيش الشمالي في هولندا يؤدي الى انتصار حاسم بأسرع ما يمكن، وكان كل من هولندا وبلجيكا قـــد أقام موانع قوية للغاية ضد الآليات ، وكان من أهم تلك الموانع القنوات ومناطق المستنقعات في هولندا التي تعرقل تقدم الدروع عرقلة خطيرة، ولم تقتصر هولندا وبلجيكا على دفاعات الحدود القوية والتحصينات الداخلية ،

بـــل كان لديها خطوط التحصينات التي نظمت بالعمق ؛ ولأن حالة الحرب موجودة منذ أمـد طويل ، فمن المفروض أن الجيشين الهولندي والبلجيكي قـد حصلا على الوقت الكافي لانجاز الاستعدادات الدفاعية .

هنــا اقترح (رونشتد) استناداً الى اقتراح (مانشتاين) وضع فيلق مدرع بأمرة جحفل الجيش (أ) ، كما اقترح بعد ذلك توسيع أهداف الجحفل (أ) أكثر من السابق نحو الغرب ، أي لا يقتصر هذا الجحفل على التقدم الى (الموز) الوسطى فحسب ، بل عليه أن يعبر هذا النهر ويستمر في تقدمه باتجاه الغرب ، وبذلك إما أن يستطيع جحفل الجيش (أ) حماية الجناح الجنوبي لجحفل (بوك) وإمــا أن يقوم بمساندة جحفل الجيش (ب) غرب (الموز) مندفعاً الى الشمال باتجاه (بروكسل) ، وقد حصلت موافقة مقر هيئة ركن الجيش على هــذه المقترحات . وعلمت خدمــة الاستخبارات الالمانية في الاشهر الأولى من سنة (١٩٤٠) بعقد مؤتمر في (بروكسل) بــين ضباط ركن من فرنسا وبلجيكا وهولندا . ولم يكن ذلك غريباً لأنه من جملة التدابير الوقائية ، ولكن الغريب في الأمر أن أشياء معينة ممـا دار في المؤتمر المذكور أصبحت معروفة ، وبذلك أصبحت هيئة ركن القيادة الالمانية العليا على علم بأن قطعات الجيش البريطاني التي جرى إنزالها في أوروبا وجيشاً فرنسياً قوياً سيتقدمان عبر الحدود الفرنسية الشمالية مباشرة باتجاه (بروكسل) لغرض اجتناب موقف مشابه لما حدث سنة (١٩١٤) ، ولتأمين إسناد مؤثر للجيش البلجيكي الهولندي فيما لو اجتاز الالمـان الحدود .

أيدت هذه المعلومات اقتراح الـلواء فون (مانشتاين) حول تبديل الهيكل العام لخطة الحركات التي وضعها ، فقد أصبح واضحاً الآن بـــأن هجوم الحلفاء الغربيين الأربعة وهم فرنسا وانكلترا وهولندا وبلجيكا ، من داخـل بلجيكا سيؤدي الى اصطدام قواتهم مع الهجوم الرئيس الذي سيشنه جحفل الجيش(ب) مما يفضي الى تعذر الحصول على نتيجة سريعة ، بل سيؤدي الأمر الى قتال مديد

في مناطق محصّنة في هولندا وبلجيكا .

إن اللفتة البارعة في التعديل الجديد لخطة رونشتد ومانشتاين هي في نقل مركز الثقل للجيش الى المركز ، أي الى جحفل الجيش (أ) .

وعلى ذلك فان الاندفاع الحاسم سيكون مباغتة تامة لخط (نامور - سيدان) والى الغرب ، وسيؤدي الى استمرار الاندفاع الى الأمام حتى ساحل القنال الانكليزي بين (دانكرك) و (أبفيل) ، وبعد ذلك في حالة سحب القوات الفرنسية - الانكليزية الى المناطق المحيطة بـ (بروكسل) فان هذا الاندفاع السريع لجحفل الجيش (أ) قد يؤثر على جناح وخلف تلك القوات من الاتجاه المذكور ، وربما نجح في قطع خط انسحاب الجيش البريطاني الى موانىء القنال وقطع خط رجعة الجيش الفرنسي الى فرنسا . كانت القضية كلها تنحصر في جعل العدو يتصور احتمال وجود القوات الالمانية الرئيسية في الشمال . وبعد كثير من الاختلافات في وجهات النظر بين هتلر والقيادة الالمانية العليا ، أقر هتلر هذه الخطة التي قدمت اليه ، وهكذا ظهرت الى الوجود الخطة النهائية للحركات والتي كتب لها أن تنفذ يوم ١٠ مايس عام (١٩٤٠) .

وضع الجناح الأيسر لجحفل الجيش (ب) أي الجيش الرابع فون (كلوكا) بأمرة جحفل جيش رونشتد دون أن يبدل القاطع المخصص له ، وهكذا أصبحت بأمرة رونشتد ثلاثة جيوش : الرابع والثاني عشر والسادس عشر ، كما أصبح بأمرته القسم الأعظم من قطعات الفيلق المدرع والآلي الالماني ، وكان اللواء فون (كليست) يقود هذا السلاح المدرع الحاسم الذي دعى حينذاك باسم : الجحفل المدرع ، بينما كان (كودريان) قد استلم الوحدات الأمامية من الجيش الآلي ؛ وهكذا أصبحت بأمرة فون (كليست) تسع فرق مدرعة وآلية نقلت الى مركز المنطقة المحتلة من الجيشين السادس عشر والثامن عشر ، وكان عمق هذه الوحدات كبيراً الى درجة أن وحداتها الخلفية احتلت مواضعها الى

مسافات بعيدة شرق (الراين) ، وبالاضافة الى هذه الوحدات كان هناك الفيلق الخامس عشر المدرع المؤلف من الفرقة الخامسة المدرعة والفرقة السابعة المدرعة (رومل) والذي جعل بأمرة الجيش الرابع مباشرة .

من ذلك يتضح أن القوات التي أصبحت تحت قيادة رونشتد مؤلفة من عدد هائل من المشاة وإحدى عشرة فرقة مدرعة وآلية ، وقد كان واجباً شاقاً أمر تعبية مثل هذه الكتل الضخمة من القطعات في فسحة ضيقة نسبياً بين (الراين) والحدود الغربية ، وادامة [1] هذه القطعات ، وأصعب من ذلك أمر تحريكها الى اهدافها .

هذا هو الموقف التقريبي في مايس عام (١٩٤٠) ، وفي يوم ٩ مايس وصلت معلومات الى رونشتد من مقر القيادة العامة عن قرب إنزال قطعات بريطانية في سواحل بلجيكا وهولندا .

لقد تمكنت القطعات الالمانية خلال ستة أشهر ، وهي الفترة بين انتهاء الحرب البولندية وبين ابتداء الحرب في الغرب أن تحصل على ثمرات تجارب الحرب البولندية نتيجة للتدريب المتواصل على ضوء تلك التجارب ، ففي تلك الشهور التي لم يعكر صفوها قتال ارتفع مستوى كفاءة قسم من الجيش الالماني لأول مرة بصورة محسوسة .

ضلت إحدى طائرات القوة الجوية الالمانية طريقها في بداية سنة (١٩٤٠) ، فاضطرت الى الهبوط في منطقة الحلفاء وهي تحمل ضابطين المانيين ، وكان هذان الضابطان يحملان تفاصيل بعض اقسام خطة الحركات الالمانية ، فاستطاعا

---

(١) الادامة : تموين القطعات بالأرزاق والعتاد والسلاح والرجال، وتصليح آلياتهم وتجهيزاتهم وأسلحتهم وموادهم .

(المعرب)

تمزيق بعض اوراق هـذه الخطط بعد اضطرارهما الى الهبوط . لقـد اهتمت القوة الجوية الالمانية بذلك كثيراً ، ولكن هتلر كان اهتمامه أقل من ذلك ، فقد تصوّر ان الحلفاء قد يعتبرون هذا النزول الاضطراري خدعة مدبّرة لتضليلهم، وفضلاً عن هذا فان ما لديهم من المعلومات يقتصر على الخطة القديمـة لا الخطة الجديدة التي وضعها رونشتد ومانشتاين ، لهذا لم تلحق هـذه الحادثة ضرراً ما بالالمان .

وقد حدث عمل آخر غير متقن في الفترة بين تشرين الثـاني عام (١٩٣٩) ومايس عـام (١٩٤٠) ، فقـد تبدّلت الاوامر الصادرة بالتقدم الى الحدود والانسحاب منهـا ما لا يقل عن احدى عشرة مرة ، وحتى القراء الذين لا معلومات عسكرية لديهم يستطيعون ادراك مـدى التنظيم والضبط الضروريين لحركة مثل هـذه القطعات الكبيرة الى الامـام مرات عديدة وسحبها الى الخلف ثانية .

لقد سبق لهتلر ان استخدم مرة مثل هذه الأساليب بمقياس صغير في خريف سنـة (١٩٣٨) قبل التقـدم نحو (السوديت) ، كما استخدمها مرة اخرى في نهاية آب (١٩٣٩) قبل ابتداء الحرب البولندية ، وكان قد طبّق ذلك لأغراض سياسية ، وقـد اصبح مألوفاً ان تعزى اسباب تبديل الاوامر الى الاحوال الجوية ، فكان الجيش يستلم اوامر تنص على التخلي عن كافـة التدابير المتخذة نظراً لسوء الاحوال الجوية ، اي ان الثلج والمطر في جبـال غربي (الراين) تمنع القيام بتلك الاعمال . لقد كانت تلك الايام من الايام المزعجة لرجال الأنواء الجوية ، ومهما يكن الامر فـان رونشتد وكثيراً من الضباط كانوا لا يعتقدون بانهم سيقومون بهجوم جدي في اي حال من الاحوال .

وقدّم هتلر في ٦ تشرين الاول (١٩٣٩) للعالم فرصة لانهـاء الحرب بخطابه الذي ألقاه في (الرايخشتاغ) ، لذلك فقد تداعت ثقة الجيش من شهر الى آخر

بامكان حدوث (تعرّض [1]) ما من القوات الالمانية ضد الحلفاء ، وقد قام مساعد هتلر اللواء (شبدل) خلال الشتاء بزيارات متعاقبة للمقرات والوحدات ليطلع بنفسه على تأثير جو الشتاء على الطرق والأنهار .

وكان شتاء سنة (١٩٣٩ – ١٩٤٠) شتاء قاسياً ، وكانت الجسور المهمة عبر (الراين) و (الموزل) مهددة بخطر فيضان الثلوج ، كما كانت الطرق المتعرجة في منطقة الجبال بين الحدود و (الراين) متجمدة ، وكانت العجلات الآلية تتزحلق ، أما المدفعية المسحوبة بالخيل فكان باستطاعتها التقدم ببطء . لقد تنبأ رونشتد بعقم أية حملة في الشتاء ، لأن مثل هذه الحملة تكون خاضعة لعوامل ليست في الحسبان .

وأخيراً ينبغي الاشارة الى نقل فون (مانشتاين) الألمعي من منصب رئيس هيئة الركن لقيادة فون رونشتد وتبديله باللواء فون (سودنستيرن) نتيجة لما حصل من احتكاك وكراهية له باعتباره صاحب خطة الحركات الجديدة والحريص على تطبيقها والمنافح عنها . لم يفلح رونشتد في محاولة إلغاء هذا النقل ، وقد رُفّع (مانشتاين) الى رتبة لواء وأسندت اليه قيادة فيلق ، ولكنه كان فيلق مشاة !!

ربما كان مانشتاين قد برز باندفاعه وإبداعه في أفكاره فجعله ذلك غير محبوب ، ومع أن القائد العام وهيئة ركنه أسفوا بطبيعة الحال لفراق مانشتاين ، فقد قنعوا برئيس الركن الجديد الهادىء الماهر فون (سودنستيرن) .

لقد أبرزت الخطوط الرئيسة فقط للخطة السوقية ، فقد كان واجب جحفل جيش رونشتد بجيوشه الثلاثة والجيش المدرّع الاندفاع الى الأمام عبر خط

---

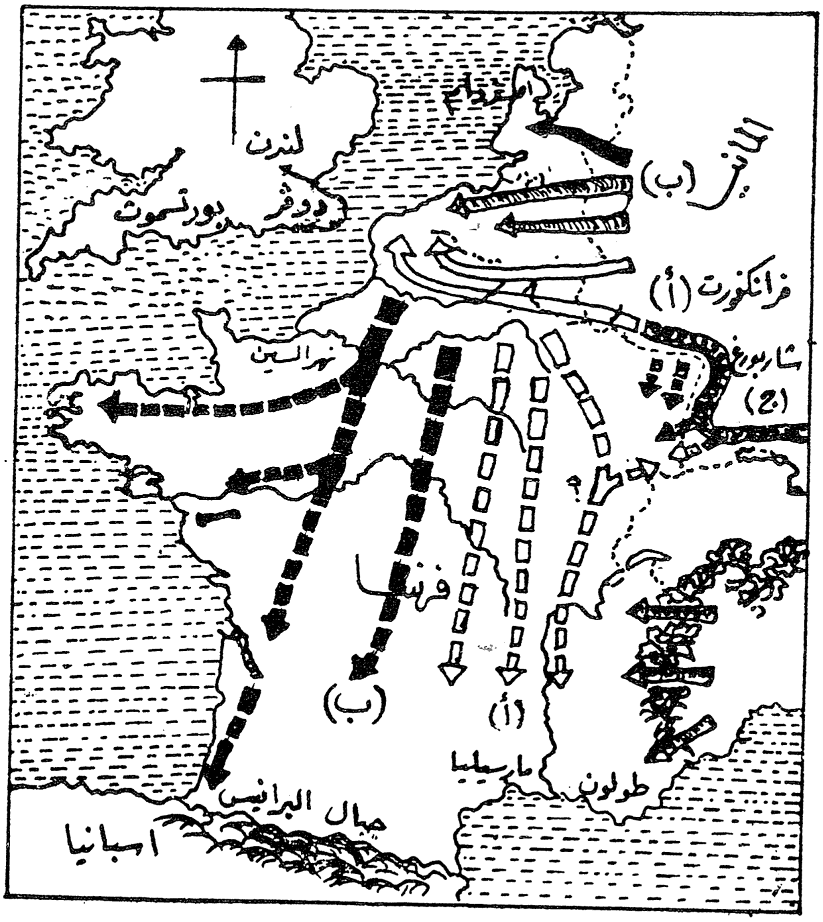
(١) التعرض : مبدأ من مبادىء الحروب ، ومعناه الهجوم بأوسع معانيه .
(المعرب)

(نامور — سيدان) والوصول الى ساحل القنال الفرنسية بين (دانكرك) و (أبيفيل) بأسرع ما يمكن لقطع كافة خطوط رجعة البريطانيين والفرنسيين المتقدمين نحو بلجيكا دون ان يشغل نفسه بالتفكير في جناحي جحفل جيشه .

إن نظرة واحدة الى خريطة فرنسا ، تظهر أن كل ميل يقطعه جحفل الجيش نحو الغرب يؤدي الى اطالة الجناح الجنوبي لجحفل جيش رونشتد ، اي يؤدي الى ان يتعرض لتهديد خطير ، وهكذا امتد جناحه الجنوبي من (سار لويس) ماراً (بسيدان) -- (لا اون) والى (ابيفيل) وذلك عند وصول قطعات جناحه الايسر الى(ابيفيل)،وبذلك اصبح طول الجناح حوالي(٢٢٠) ميلاً اذا قيس كخط مستقيم بصرف النظر عن الانحناءات ، ولكن في الحقيقة كانت هذه الجبهة المكشوفة التي تمتد جنوباً اطول بكثير من ذلك ، وقد كانت القيادة تنوي تقوية هذا الجناح الطويل تدريجياً بتغيير اتجاه الاحتياطات التي كانت تتقدم في الخلف . يتضح من ذلك انه كلما توغل الجيش الرابع والجيش المدرّع في تقدمه غرباً ، اشتدت الحاجة لاستدارة الجيشين الثاني عشر والسادس عشر نحو الجنوب لحماية الخط المشار اليه اعلاه ، ولا سيما ذلك الجزء الكائن على (الايسن) و (السون) .

علم رونشتد بوجود احتياطات فرنسية قوية حول (باريس) و (شالون — سير مارن — وفردان) ، ولا بد انها باقية هناك ، ولم يكن يجهل المهارة الفائقة المتوارثة لهيئة الركن الفرنسية ، كما كان يعلم ايضاً بأن شبكة الطرق وخطوط السكك الحديدية الممتازه تساعد على نقل قوات قوية بسرعة ، وكان يحمل رأياً عالياً عن اللواء الفرنسي (غامليان)، فقد اعتاد ان يقول ضاحكاً: « من المؤكد ان صفيري (غامليان) يعرف ما يصنع » .

لقد اتيح لرونشتد ان يعرف اللواء (غامليان) في لندن سنة (١٩٣٦) عندما كان هناك ممثلاً للجيش الالماني في مراسيم تشييع جنازة الملك جورج الخامس .



الحملة الغربية عام ١٩٤٠

جحفل الجيش(ج) في الصفحة الاولى جحفل الجيش (ب) في الصفحة الاولى جحفل الجيش(أ) في الصفحة الاولى

جحفل الجيش(ج) في الصفحة الثانية جحفل الجيش(ب) في الصفحة الثانية جحفل الجيش(أ) في الصفحة الثانية

الايطاليون في الصفحة الاولى

وكان اهم مـــا يشغل تفكير رونشتد هو احتمال نجاح الفرنسيين في هجوم مقابل قوي يشنونه من الجنوب باتجاه جناح جيشه الايسر العميق ، وقـد اهتم ايضاً بـ (الموز) بالدرجة الثانية كما ادخل في حسابه استفادة الفرنسيين المحتمة من اشهر الحرب الطويلة بين ايلول عـــام (١٩٣٩) ومايس عام (١٩٤٠) فحصنوا منطقة (الموز) من (سيدان) الى (نامور) تكملة لتحصينات خط (ماجينو) ، مستغلين كل وسيلة ممكنة لانجاز ذلك ، ولا بد انهم احتلوا هـذه المنطقة بقوات كافية .

كان على الجيوش الالمانية التابعة لجحفل الجيش (آ) ان تتغلب على دفاعات الحدود اولاً ، وان تطهر المنطقة من العقبات الكثيرة المضـــادة للدبابات ، ثم تتقدم مخترقة بلجيكا الجنوبية ذات الجبال والغـابات ، الى ان تصل في اندفاعها الى نهر (الموز) ؛ وقد افترض ان المقـاومة ستنبعث من قطعات الحدود ومن القطعات السيارة الخفيفة ابتداء من الحدود وفي داخل البلاد ، ولذلك قد تستغرق مقدمات الجيش المدرع وجيوش المشاة الثلاثة يومين او ثلاثة ايام قبـل ان تصل الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان) ، وعلى هذا فلدى الفرنسيين وقت كاف لاحتلال هذه المنطقة بسهولة .

تكثر في وادي (الموز) ووادي (سي مواز) الضفاف الحادة والغابات ، كما ان هذين النهرين متعرجان كثيراً ، لذلك يتطلب التغلب على عقباتها كفاحاً طويلاً مريراً حتى ولو اقتصر الامر على الوصول الى الخط المحصن في (الموز) .

لقد كان اهتمام رونشتد بهاتين الناحيتين المهمتين في محله ، وسيكشف لنـــا الشرح التالي حدوث المعجزات . اخترق الحدود جحفل جيشي (أ) و (ب) على طول حدود هولندا وبلجيكا ولوكسمبرغ وفرنسا ، بينما ظل جحفل الجيش (جـ) متحفزاً ؛ وكانت بلاغات الجيش وأبواق الدعاية قد ركزت اهتمامهـــا بجحفل الجيش (ب) كي تلفت اليـه الأنظار لا سيما في الايام الاولى من الحركات

لغرض الخدعة . امـا جحفل جيش رونشتد فلم يُذكر عمـداً ولم يشر اليه إلا باشارات عابرة ، وذلك ليتسنى له تحمل العبء العظيم الملقى على عاتقه ، فيتقدم بكل قوة مندفعـاً نحو الغرب ، وسيجري تعقيب مجرى الحركات لهـذه الحملة بصورة عامة .

أمكن الوصول الى استنتاج على جانب عظيم من الأهمية قبيل البدء بالحركات ، فقد توقع رونشتد وقادة جيوشه كما ذكرنا سابقاً انجـاز تحصين خط (الموز) تحصيناً ممتازاً واحتلاله بقطعات كافية ، وقد ظهرت في كافة التصـاوير الجوية تحصينات واسعة حول (شالفيل) و (ميزييرس) ، كما أمكن ملاحظة وجود قطعات كبيرة شرق (الموز) من التصاوير الجوية ايضاً .

وكان في هيئة ركن رونشتد ضابط مهندس بارز من صنف هندسة الحملة هو (الرائد) الرئيس الاول (فون سكوتا) احد منتسبي صنف الهندسة النمساوية سابقاً ، وقد استطاع هذا الضابط بعد دراسة التصاوير الجوية ان يدرك بأن هذه التحصينات ناقصة ، اذ لم تنشأ غير أساساتها فقط ، فساعد هذا الاستنتاج الذي عرف قبيل تقدم جحفل (كليست) المدرع على نجاح تقدم هـذا الجحفل كثيراً .

ولم تصادف جيوش المشاة الثلاثة والجيش المدرع التي اجتـازت الحدود البلجيكية – اللوكسمبرغية – الفرنسية بين منطقة (ايفـل) و (ميرزك) صعوبات كبيرة ، فسرعان مـا أزيلت او نسفت حواجز الطرق وموانع ضـد الدبابات الكثيرة ، واستمر المشاة والدروع على التقدم بسرعة ، لأنهم تحاشوا كافة انواع الموانع والعراقيل خلال تقدمهم .

وكانت كثير من الدفاعات الصغرى خالية من القطعـات ، وأمكن كسر شوكة مقاومات العدو الضعيفة بسرعة حيثما وجدت في الايام الاولى ، ولم يحدث ابداً قتال على الحدود او حدث قتال لا يستحق الذكر

كانت المقاومة على الحدود البلجيكية بطبيعة الحال أشد عنفاً ، حيث تبدأ المواضع الأمامية لخط (ماجينو) هناك . لم تشغل قطعات (لوكسمبرغ) خط دفاعها على الحدود ، بل ان شرطة هـذا القطر ساعدت في تنظيم سابلة الأرتال الألمانية المتقدمة مساعدة فعلية .

وفي ١٠ مايس و١١ منه بدأت المقاومة تشتد لأول مرة في نقـاط خاصة ، وقد ابتدأت المقاومات بقيام فرقة البندقيات (أردنس) البلجيكية بالاشتراك مع فرقة خيالة فرنسية بصورة مفاجئة بمقاومة خطيرة في منطقة ملائمة للتعويق ، ولكن لم يكن هناك اي جدوى لأية شجاعة في العالم إزاء كتل هائلة من الدروع والمشاة كانت تتقدم على جميع الطرق والسبل بالاضافة الى تقدمهـا عبر الأراضي خارج الطرق ، وكان لدى كل فرقة خرائط مفصلة مؤشر عليهـا محاور التقـدم بألوان مختلفة ، وقد تركت طرق تموين خاصة مفتوحة لمرور التقويات ، وجرى سلفاً تثبيت هذه الطرق والسبل على الخرائط حتى نهر (الموز) ، ولمعرفة حقيقة الموقف يمكن تصوّر كتل ضخمة متماسكة تسير جنباً الى جنب يمتـد عمقها حتى (الراين) .

كان شغل رونشتد الشاغل هو التفكير في كيفية تنظيم حركة هـــذا العدد الهائل من المشاة والدروع . لقد كان شيئاً ممتازاً في سنة (١٩٤٠) عدم قيــام الفرنسيين والقوة الجوية الفرنسية والانكليزية بالهجوم على هـــذه التشكيلات الضخمة بأي درجة من درجات الفعالية الجوية المؤثرة ، ولو حدث ذلك لكانت النتائج خطيرة جداً .

وبينما كان على كل من الجيشين الرابع والثـاني عشر وجيش فون (كليست) المدرع الاتجاه غرباً نحو (نامور — سيدان) ، كان من واجب الجيش السادس عشر الاستدارة جنوباً نحو خط (سيدان — سيريك) لكي يستر جناح جحفل رونشتد الجنوبي الممتد ويديم التماس بجناح جحفل الجيش (ج) الأيمن في جنوب

(ميرزك) ، وعندما وصل الجيش السادس عشر الذي كان يقوم بالاستدارة الى خط (ماجينو) استلم الأوامر لتقدمه الى هـــذا الموضع المحصن الى مسافة لا تتجاوز مدى نيران العدو لغرض تقليل الخسائر ، وكان على هذا الجيش بعد ذلك ان يحفر مواضع دفاعية له ... كانت جميع هذه الخطط قد أنجزت نظرياً على الخرائط سلفاً ونفذت فيما بعد بكل دقة دون ان يعترض تنفيذها عقبــات محسوسة .

وفي يوم ٩ مايس تقدم فون رونشتد مع ضابط ركنه الشخصي من مقره في (كوبلنز) الى الأمام حيث وصل الى بقعة شجراء قريبة من (بيت بيكرك) الواقعة على بعد اثني عشر ميلاً فقط من مركز جبهة جحفل الجيش ، وهنــاك تتبّع رونشتد تقدم جيوشه بانتباه دقيق .

وعنـــدما وصلت الوحدات المدرعة الأمامية الى (الموز) ، نقل رونشتد مقره من (بيت بيرك) الى (باستون) لكي يكون على اقرب ما يمكن من قطعاته في هذه اللحظة الحاسمة ؛ ولا شك ان المقاومة في شمال بلجيكا اشتدت، فحدث هناك قتال شديد في بعض النقاط، ولكن ذلك لم يؤدّ الى توقف الجيوش؛ وكما قُدّر في الخطط ، فان وحدات الاستطلاع وصلت الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان) خلال بضعة ايام .

زار هتلر رونشتد في مقره الكائن في (باستون) ليطلع بنفسه على الموقف، وفي هذه المناسبة لم يتطرق احد الى امور معينة ، وقد تقــدم رونشتد وبرفقته ضابطان الى (الموز) بــين (مزيبرس) و (سيدان) لكي يطلع على الموقف بنفسه ، فوجد هندسة حملة القطعات المدرعة قد شرعت باقامة وسائل العبور ، وعلى الضفة الغربية كان يمكن مشاهدة بضع مانعات ، وكانت النار ضعيفة وغير دقيقة ، ولم يظهر وجود للمدفعية الفرنسية في الحركات، إذ لم يسمع غير أصوات نيران الرشاشات فقط .

وكانت الفرق المدرعة للتشكيلات الأمامية بقيادة اللواء (كودريان) قد بدأت بالعبور في ذلك الوقت على جبهة واسعة ، وحدث في منطقة (شارل فيل) — (مزيبرس) قتال شديد لمدة قصيرة ، كما حصل مثل ذلك ايضاً في منطقة (سيدان) ، ولكن الدروع نجحت في اجتياز النهر دون خسائر كبيرة في الجبهة الطويلة الوسطى ...

لقد حدثت المعجزة الاولى التي لم يستطع رونشتد تفسيرها : تلك المعجزة هي عبور نهر (الموز) بين (شارل فيل) و (سيدان) خلال أربع وعشرين ساعة بخسائر طفيفة .

وكان القتال بالنسبة للجيش الرابع في الشمال اشد عنفاً بكثير ، فهناك اضطرت الفرقتان المدرعتان الخامسة والسابعة وجانب من فرق المشاة الى القتال بشدة عند العبور بالقرب من (دنيانت) و (جيفت) ، كما حاول العدو القيام بالهجمات المقابلة ، ومهما يكن الامر ، فقد امكن في النهاية عبور النهر ايضاً بين (نامور) و (جيفت) ، والتأخير الوحيد الذي حدث كان سببه عراقيل كتل السابلة في الضفة الغربية لاعمال العدو ، ولم يكن على نهر الـ (سي مواز) ذي الضفاف الحادة سوى بضعة جسور سبق تخريب اكثرها ، وهنا تكدست الارتال الآلية غير المحدودة كما تكدست معها ارتال المشاة السائرة على الاقدام من فرق المشاة .

وقد اوفد رونشتد ضابطاً في طائرة لاكتشاف اسباب التأخير ولكي ينظم التقدم بعد ذلك بواسطة شرطة السيطرة على السابلة .

ولم تكد الفرق المدرعة وفرق المشاة الامامية تنتهي من عبور (الموز) متجهة نحو الغرب ، حتى نقل رونشتد مقره الى الامام حيث استقر في (شارل فيل) ، وتقدمت خلف الجيوش قوات كبيرة اخرى كانت احتياطاً بأمرة مقر

ركن الجيش ، الا ان تفاصيل حركة وادامة هذه الفرق الكثيرة بقيت تحت مسؤولية رونشتد .

لقد ذكرت سابقاً بأن رونشتد يحمل رأياً عالياً جداً عن القيادة الفرنسية العليا ، لذلك كان هو ورئيس هيئة اركانه يتوقعان الآن تعرضاً مقابلاً كبيراً مباغتاً تقوم به قوات فرنسية من منطقة (فردان) و (شالون) – (سير) – (مارن) متجهة نحو الشمال الى (سيدان) و (مزييرس) ضد الجناح الايسر الذي لم يزل يمتد باستمرار وهو جناح الجيوش التي كانت تندفع للامام باتجاه الغرب . لقد كان في استطاعة تعرض مثل هذا السيطرة على الجسور الحيوية الوحيدة على (الموز) والاخلال بتموين القطعات المقاتلة باتجاه الغرب اخلالاً خطيراً . كما افترض رونشتد بالاضافة الى ذلك بأن العدو سيقوم بهجمات قوية نحو الشرق باتجاه (لونك وي) و (مونت ميدي) تشنه قطعات قوية من الجنوب بحماية خط (ماجينو) ؛ والواقع ان اياماً قليلة قاسية مرت بنا ، وفي اغلب الاحيان كان القتال متقلباً بين الشدة والسهولة .

وكان قصف المدافع ولا سيما في الليل يرتفع في بعض الايام بشدة الى درجة لا يستهان بها ، مما حدا بالقائد العام الى ان يخبر عنها الجيش السادس عشر برأيه تلفونياً في عدة مناسبات . وفي جنوب (سيدان) في اعالي (ستوين) نشبت معركة دروع سيارة بين القوات المدرعة الالمانية والفرنسية ، وقد اضطرت الفرقة الفرنسية المدرعة الى التراجع مرة اخرى نحو الجنوب ، بينما استمرت الدروع الالمانية على التقدم نحو الغرب ، وطالما هاجم الجيش الرابع وجحفل فون (كليست) المدرع بنجاح بعد ذلك واحياناً بقتال عنيف شاقين طريقهما نحو (فلنسينس – سانت كوينتن) . ولكن بقيت هناك حاجة لاستدارة قطعات قوية من الجيش الثاني عشر واحتياطات الجيش نحو الجنوب لستر الجناح الجنوبي الذي لم يزل يمتد ويمتد ، فكان ممتداً من (سيدار) متجهاً نحو الغرب الى (الايسن) وبعد ذلك الى (السوم) .

بقي رونشتد وهيئة ركنه في (شارل فيل) منذ ذلك اليوم ، ولا شك ان في بقائه هناك محذوراً ، لان الاتصال الشخصي بجبهة الهجوم يصبح سهلاً لو ان المقر عقب الجيش المدرع الى (سانت كونتين) ، ولكن ينبغي ان نتذكر بأن الجناح الايسر كان حينذاك جنوب (لوكسمبرغ) ، وكان هناك الجبهة الجنوبية المهددة التي ينبغي السيطرة عليها والتي امتدت اخيراً حتى (ابيفيل) حيث رتب هناك جيشان قويان للدفاع ، ولذلك عندما زار هتلر (شارل فيل) لاول مرة اتفق تماماً بأن رونشتد يجب ان يكرس اكبر انتباهه لجناحه الجنوبي الطويل المهدد اكثر مما يكرسه للجيش الرابع والجيوش المدرعة المندفعة نحو الغرب ، فقد كانت القوات الاخيرة بأمرة قادة مجربين وفعالين فون (كلوك) و(كودريان) وفون (كليست) ، وكان لدى هؤلاء القادة اوامر جازمة للوصول الى الساحل بين (دانكرك) و (ابيفيل) ، ولم يكونوا بحاجة الى توجيهات تحددهم ، كما كان امر وصولهم الى الساحل مفروغاً منه تماماً ومؤكداً ، في حين ان القيادة الالمانية لم تزل غير واثقة من قيام الفرنسيين بمباغتة تعرضية او عدمه .

ولم تقع المباغتة الفرنسية المتوقعة ، فظهر اخيراً ان قلق القيادة حول الجناح الجنوبي الطويل لم يكن في محله ، اذ لم يحدث شيء خطير في هذه الناحية ، وقد بقي الفرنسيون مدافعين تجاه الجيشين الثاني عشر والسادس عشر دفاعاً مستكيناً ، وكانت هذه هي المعجزة الثانية ، وهي المعجزة التي سماها هتلر بعد ذلك باسم المعجزة التامة ، ويقصد بهذه المعجزة الصفحة الاولى من الحملة بكاملها .

ولا شك من وجود اسباب كافية لدى قيادة الحلفاء العليا لاخلاء (الموز) بهذه السرعة ، وعدم محاولتهم القيام بأي حركة من اتجاه فرنسا ، ولكن رونشتد لم يكن عالماً بهذه الاسباب في عام (١٩٤٠) فقد كان يفترض دائماً أسوأ الاحتمالات من جانب العدو بالنسبة للالمان ، فاذا ما تطورت الامور من بعد ذلك خلافاً لما افترضه من احتمالات ، فنور على نور .

ولا تحتاج الحركات التي حدثت بعد تنفيذ القسم الأول من الحملة إلا الى شرح موجز ، ففي يوم ٢٠ مايس وصلت تشكيلات قوية مدرعة من جيش فون (كليست) مصب نهر (السوم) بالقرب من (أبيفيل) بعد أن مرّت بـ (سانت كونتين) و (أميانس)، وقد وصلت فرق المشاة بمسيرات قسرية الى هناك لتستلم المناطق المحتلة من القطعات المدرعة وتحتل مواضع دفاعية في جنوب هذا النهر .

ونشأ موقف حرج قرب (آراس) ، فقد حاولت قطعات فرنسية التملص من (ليسل) خلال (آراس) الى (أميانس) ومن الاتجاه المضاد جلبت قطعات من باريس لتندفع الى الأمام باتجاه (آراس) ، وبذلك أصبحت وحدات القطعات الالمانية مشتبكة بقتال عنيف حول (آراس) وأصبح هناك احتمال قوي بقطع خط رجعة هذه القطعات ، ولكن كان هناك كتل ضخمة لا يستهان بها من القطعات الالمانية قادمة من الشرق باتجاه (آراس) ، لذلك لم تستمر مقاومة الفرنسيين غير وقت قصير .

واستمر المشاة على مسير يومي بلغ حتى حد خمسة وعشرين ميلاً، وقد وصل معدل مسير بعض الفرق التي كانت في الامام متجهة نحو (أميانس) (وأبيفيل) خمسة وثلاثين ميلاً أو أكثر من ذلك في بعض الأيام .

وقد رافق المشاة المحملون في السيارات الدبابات دوماً ، وحافظوا في سرعة حركتهم على معدل سرعة حركة الدبابات ... بل تجاوزوا الدبابات في بعض الأحيان ؛ ولأجل إيضاح الموقف ينبغي أن نشير الى أن جحفل الجيش (ب) استدار نحو الغرب بعد خروجه من شمال بلجيكا ، وقد شق هذا الجحفل طريقه خلال القنوات والمواضع الدفاعية والتحصينات في جنوب هولندا وبلجيكا بعد اشتباك بالقطعات الهولندية والبلجيكية والفرنسية والبريطانية وكسر شوكة المقاومة العنيفة .

لقد كان واضحاً تماماً ، بأن الهولنديين سيستسلمون يوم ١٤/مايس ، وأن

البلجيكيين سيستسلمون يوم ٢٨/مايس ، لأن موقفيهما كان يائساً للغاية .

وهكذا اقتربت الأجنحة الداخلية لجحفلي (أ) و (ب) من بعضهما بصورة مستمرة ، ونسقا حركاتهما .

وبين هذين الجحفلين كانت تقاتل تشكيلات فرنسية لا يستهان بها، ومفارز بلجيكية وهولندية والجيش البريطاني بأسره ، وكانت القوات الالمانية تضغط على تلك القوات باستمرار فيؤدي هذا الضغط الى تجمعها في منطقة (اوستند – دانكرك – ليل – بروكسل) ، وقد حدث قتال عنيف في هذه المنطقة خاصة حول تحصينات (موبوك) و (كوندي) و (ليل) .

وكان الجحفل (ج) لا يزال في مواضعه القديمة ينتظر أمر قيامه بالهجوم ، وقد حدث قتال محلي في نقاط عديدة من الجبهة الدفاعية الواسعة على (الايسن) و (السوم) وعلى الأخص بالقرب من (فوز يرسي) وجنوب (لاؤون) ، ولكن بقي الطرفان في حالة دفاعية في أغلب هذه الجبهة .

وصلت قطعات رونشتد الى (بولون) يوم ٢٢/مايس و (كاليه) يوم ٢٣/منه، لهذا فان وصول القطعات الالمانية الى مضيق (دوفر) بين (أبيفيل) و (كاليه) خلال أربعة عشر يوماً حيث وصلت اليها دروع (كودريان) و (كليست) يعتبر معجزة عسكرية .

دعنا نستعرض نتيجة الصفحة الأولى لحملة الغرب بصورة مختصرة قبل أن نبدأ في إمعان النظر في قضية (دانكرك) الممتعة .

كانت منافذ الخلاص قد سُدّت بوجه القطعات البريطانية والفرنسية في منطقتي (ارتواز) و (فلاندرس) خلال الأيام من ٢٥/مايس الى حوالي ٤/حزيران إذ طوقت القطعات البريطانية والفرنسية من جميع الجهات تقريباً . سقطت

(دانكرك) يوم ٤/حزيران وتمكن الجيش البريطاني من التملص عبر القنال عائداً الى انكلترا تاركاً وراءه بطبيعة الحال القسم الأعظم من تجهيزاته الثقيلة ، وقد بلغ عدد الأسرى حوالي المليون من الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والبلجيكيين ، ويعود سبب ارتفاع هذا الرقم بصورة رئيسية الى استسلام هولندا وبلجيكا ، وقد غنم الالمان كميات هائلة من المواد الحربية .

قاتلت جميع قطعات الحلفاء بشجاعة ، وهذا ما يعترف به القادة الالمان برحابة صدر وعن طيبة خاطر ، وقد أظهر البريطانيون صلابة خاصة في هذه الحركة الدفاعية ، كما اظهروا ذلك خلال الحرب العالمية الأولى .

وبهذا تمّ إنجاز الصفحة الأولى من الحملة بنجاح ، من يوم ١٠/مايس الى يوم ٤/حزيران ، أي خلال حوالي (٢٥) يوماً فقط ، وقد أعطيت لقطعات رونشتد في هذه الصفحة الواجب الرئيس .

وقبل أن نتتبع مجرى حركات الجحفل (أ) في القسم الثاني من الحملة ينبغي لنا أن نمعن النظر في المعجزة الثالثة التي حدثت في (دانكرك) ، فقد لعبت قطعات رونشتد المدرعة هنا دوراً حاسماً ايضاً .

ناقش المستر تشرشل واللواء (فولر) والرئيس (ليدل هارت) وكثير من الكتاب العسكريين المعروفين معركة (دانكرك) ، كما كان للمؤلفين الالمان ما يقولونه ايضاً ! كيف وقف هتلر والفرق المدرعة الالمانية الضخمة التي طوقت (دانكرك) من جهاتها الثلاث موقف المتفرج من الجيش البريطاني الذي كان يجري إركابه بمختلف وسائل الأركاب دون أن يقوموا بالهجوم عليه لأسر القسم الأعظم من هذا الجيش ؟

سيبقى هذا السؤال ممتعاً جداً للعالم ، ولكن دعنا نستعد الى الذاكرة تفاصيل هذه التجربة التي مرّت ، ودعنا نصف ما الذي فكّر فيه رونشتد وطبقه بنفسه .

أوضح هتلر سنة (١٩٢٣) في الجزء الأول من كتابه : (كفاحي) : « إنه معجب بالامبراطورية البريطانية ، وراغب في توطيد اركان تفاهم معها ! » . وفي سنة (١٩٣٧) أبدل اللغة الفرنسية كلغة رئيسية في المدارس العليا الالمانية باللغة الانكليزية ، وفي السنة نفسها صرح من مأواه الجبلي في حديث شخصي له مع اللواء فون (ريشناو) الذي كان موضع ثقته حينذاك : « بأنه يرى ان تحالف المانيا مع انكلترا اجدى عليها من تحالفها مع ايطاليا » .

ونضيف الى ما تقدم ما حدث في الناحية العسكرية لتأكيد شعور هتلر الطيب نحو بريطانيا ، تلك هي الفترة الطويلة التي مرت بين انتهاء الحملة البولندية وابتداء الحملة في الغرب يوم ١٠ / مايس (١٩٤٠) ، وكذلك حركة القطعات وإصدار الاوامر اليها بالتوقف ، وتكرار هذه الاوامر عدة مرات دون مبرر ، كما رفض هتلر في ذلك الوقت قصف المدن الانكليزية حتى في حالة قصف القوة الجوية البريطانية للمدن الالمانية !!!

لقد ساد بصورة واضحة اعتقاد بين رجال الجيش غير المحترفين للسياسة ، هو ان هتلر يرغب في اجتناب كلما من شأنه اغاظة انكلترا . وعندما كانت فرق رونشتد المدرعة وقوات اخرى من جحفل جيش (بوك) المتقدمة من الشرق تقترب تدريجياً من (دانكرك) في نهاية مايس ، وكانت القطعات البريطانية حينذاك على الرغم من مقاومتها تتحمل ضغطاً شديداً يدفعها للتجمع القسري في منطقة هذه القلعة البحرية (دانكرك) التي طُوّقت تماماً من البر ولم يعد مفتوحاً أمامها سوى مسلك القنال .

لقد ارتأى كافة القواد العسكريين ومن بينهم (رونشتد) و (كلوكا) و (كليست) و (كودريان)، الهجوم على (دانكرك) لاجبار القوات البريطانية الموجودة في فرنسا على التسليم .

كان عدد من فرق فون (كليست) المدرعة قد شرعت بالاقتراب من الغرب حين صدر امر التوقف الذي أثار دهشة الجميع .

صدر هذا الأمر من مقر هيئة ركن الجيش الالماني تليفونياً الى رونشتد بناء على وصايا هتلر شخصياً ، وقد تأيدت هذه المخابرة التليفونية ببرقيــة ، فاحتج بطبيعة الحال كل من رونشتد ورئيس هيئة ركنه على هـــذا الأمر الذي يمكن اعتباره من الناحية العسكرية غامضاً كل الغموض؛ ولكن هتلر أصر على تنفيذه رغم ذلك الاحتجاج .

لقــد نص الامر على ألا تتجاوز الفرق المدرعة في تقدمهـــا حدود مدى المدفعية المتوسطة ، على أن تُستثنى من ذلك فعاليات الاستطلاع . لهـذا أصدر رونشتد أمره بالتقــدم ضمن مدى مدافع ذات عيار ١٠ سنتمترات أي حوالي (٨–١٠) اميال من (دانكرك) ، فـلم تندفع الى الامــام باتجاه هـذه القلعة سوى الدوريات المدرعة .

إجتاح الغضب فون (كلوكا) وفون (كليست) و (كودريان) ، لأنهم لم يفهموا اي معنى لهذا الامر ، وقد شاهدوا كيف كان الجيش البريطاني مضيّقــاً عليه بشدة في منطقة (دانكرك) !!! وقد أيــد الاستطلاع الجوي موقف القطعات البريطانية الخطـير ، كما اكتُشِفت المحاولات الاولى للجيش البريطاني للتملص عبر القنال مستعيناً بكافة انواع الوسائط . وقد افادت تقارير الاسطول الجوي الثالث بقيــادة الجنرال (اسبرل) والذي كان يتعاون مع جحفل جيش رونشتد ، بان كافة الطرق المحيطة (بدانكرك) مزدحمة بالسيارات والتجهيزات والمدخرات !!!

لم يكن لدى الدروع الالمانية — مع ذلك — في هــذه الايام المثيرة سوى ان تقنع بالمراقبة والنظر ، بينما كان البريطانيون يُنقلون ليلاً ونهاراً عبر القنال دون

تدخل مجد بأي وجه من الوجوه [1] .

لقد كان ذلك معجزة .

قدّم هتلر الاسباب التالية لتبرير اوامره هذه ، وهي :

١ – الارض المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة لاستخدام الدروع نظراً لروابيها الكثيرة وتربتها المشبعة بالرطوبة .

٢ – كان عدد الدروع قد تضاءل خلال مجرى الحركات في الحملة ، مما أثار الشكوك حول استطاعتها انجاز الصفحة الثانية باتجاه جنوبي فرنسا بكفاءة .

كان جواب رونشتد والقادة الآخرين على هذين السببين ما يلي :

١ – صحيح ان المنطقة المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة تماماً للدروع ، نظراً لتربتها المشبعة بالرطوبة ، ولكن هذه الدروع نفسها قد نجحت بالعمل في بلاد اكثر صعوبة من منطقة (دانكرك) بكثير خلال الحملة البولندية . ففي غرب (وارشو) تقع (بوستاكام بينوفيسكا) التي كانت صعبة جداً بالنسبة للدروع ، كما تمكنت الدروع اجتياز مستنقعات (نيرو) في الشمال وأهوار (غاليسيا) الشرقية بسهولة ... فلماذا إذاً تتعطل هذه الدروع نفسها في ظروف اسهل مما مر بها سابقاً هناك ؟...

٢ – كان على جحفل جيش رونشتد ان يقدم تقريراً في كل مساء الى هيئة ركن المقر العام عن عدد الدروع المتيسرة ، لأن هتلر اراد ان يكون على علم

---

(١) هذه هي حقيقة تمكين الجيش البريطاني من التملص عبر القنال الى الجزر البريطانية . أما البريطانيون فقد كتبوا العديد من المؤلفات يسبغون بها نعوت البطولة على جيشهم في التملص من (دانكرك) ، ولو أراد الالمان لما استطاع جندي بريطاني واحد من العبور سالماً .
(المعرب)

بوقف هذه الدروع يومياً . وبطبيعة الحال كان عدد الدروع القادرة على العمل قد قلّ من جراء التقدم السريع وخسائر المعركة ، ولكن اغلب هذه الخسائر لم تكن خسائر نهائية ، لأنها ناشئة عن عطل فني وقتي يمكن غالباً اصلاحه خلال اربع وعشرين ساعة .

وعندما اقتربت الفرق المدرعة من (دانكرك) كانت دروعها قد ازدادت الى درجة لا يستهان بها .

ومن جهة اخرى كان هناك سبب آخر،فقد قيل: ان مشير الجو (كورنك) قد اقترح على هتلر ان يتم استسلام البريطانيين على يد القوة الجوية الالمانية لا على يد الجيش ، ويبدو ان هذا محتمل جداً ، لأن (كورنك) قد يكون اراد اكتساب الفخر لقوته الجوية ...

ولكن حقيقة الموقف إن الاسطولين الجويين الثاني (كسرلنك) والثالث (سبيرل) لم يكن لديها القنابل اللازمة لقصف البواخر كأهداف قصفاً مؤثراً اذ لم يتيسر لديهم غير عدد قليل من القنابل ذات الشظايا،فاضطروا الى استعمال القنابل المصممة ضد بنايات السمنت في بعض الأحيان ، فهي مناسبة للهجوم على تحصينات دائمية ولا جدوى فيها ضد السفن الصغيرة . ومع ذلك فلا بد ان يكون هتلر مطلعاً على هذه الحقيقة . ان العقيد (كولر) القدير جداً رئيس قسم الحركات للاسطول الجوي الثالث في ذلك الوقت اخبر بنفسه جحفل الجيش عن حقيقة موقف القنابل عند القوة الجوية ، فلا عجب اذا ساد رأي في هيئة ركن رونشتد بان اوامر هتلر تلك لم تكن مبنية على اسس عسكرية فحسب ، بل ان آمالاً سياسية سريعة لعبت دورها في اصدار تلك الاوامر ، ولا نستطيع ان نفترض هنا غير رغبة هتلر الشخصية في مساعدة بريطانيا .

يمتلك الجيش البريطاني الآن امراً صادراً عن جحفل الجيش (آ) فيه ما ينم

على أن رونشتد هو الذي أصدر أمر التوقف، ولقد شاع في وقت ما بأن الغرض من الوصايا التي صدرت الى الفرق المدرعة لقطع الاشتباك هو لاجراء تصليحات في الدروع ، وهذا صحيح ؛ ولكنه كان قد صدر في وقت بعيد عن أيام (دانكرك) ، فقد صدر من بداية الحملة حين لم يكن هناك من يعرف بأن مثل هذا القرار سينفذ بالقرب من (دانكرك) !!

ولم يكن رونشتد من أولئك الذين يعجزون عن إدراك قيمة مثل هذه الفرصة العسكرية النادرة ، ولكن ينبغي ألا نتغاضى عن نظام الحكم في الدولة الاشتراكية الوطنية ، إذ ليس في وسع أي قائد أن يتخذ مثل هذا القرار المشؤوم على مسؤوليته بدون موافقة هتلر، وقد يؤدي البحث التاريخي ودراسة كل حركة من الحركات يوماً ما الى جلاء أكثر للغز (دانكرك) . كان رونشتد في ذلك الوقت مقتنعاً ، بأن كلا العوامل العسكرية والسياسية قد اقنعت هتلر بأن يصدر قرار التوقف .

وكان لهتلر أيضاً الفطنة العسكرية الكافية لإدراك موقف القطعات البريطانية اليائس ، وقد يبدو هذا اللغز أكثر متعة على ضوء الملحوظات التي أبداها هتلر بمناسبة زيارته لمقر رونشتد ، ففي ذلك الوقت صرح بأنه راض كل الرضا عما تم من حركات بسرعة لا تُصدّق ، ووصف الأعمال التي جرت بأنها معجزة خارقة وأضاف قائلاً : « انه قد يحصل على صلح مع إنكلترا وفرنسا في غضون ستة أسابيع » وبعد ذلك لخص وضع إنكلترا بصورة مختصرة ، فوصفها بأنها قوة عالمية ينبغي أن تبقى في التاريخ بقاء الكنيسة الكاثوليكية ، واستمر يقول : « انه لا يعلق أهمية خاصة على المستعمرات ، إذ ليست لديه ملايين من الالمان ليعيشوا فيها ، فما المستعمرات في نظره إلا مسألة اعتبار ليس إلا » ...!

حقاً لقد صرح يومذاك أنه ربما يعرض مشروع تحالف مع إنكلترا ، كما أنه حاضر لمساعدة بريطانيا بقوته الجوية وبأسطوله في حالة حدوث مشاكل لهم في

العالم ... كما ادعى هتلر بـأن المانيا ستكون القوة القائدة لأوروبا ، بينما تكون إنكلترا القوة السائدة في العالم وفي البحار . وقـد عبر عن هذه الأفكار بشكل من الرضا والاقتناع جعلت رونشتد يقول بعد أن غادر هتلر : « إن كان لا يطمع في شيء آخر ، فإننا سنحظى بالسلم ... » ..

٦

النصر في فرنسا

في الوقت الذي كان فيه القتـــال في (ارتواز) و (فلاندرس) يقترب من نهايته في بداية شهر حزيران ، بدأ التحشد العظيم للجيش الالماني بكامله في الغرب لخوض القسم الثاني من الحملة التي كانت تستهدف إنهاء الحرب في فرنسا ، وللوصول الى هذه النتيجة ، كان من الضروري قهر الجيش الفرنسي واحتلال فرنسا .

يمتد خط الدفاع الطويل باتجـــاه الجنوب كما يلي تقريباً : (آبيفيل) – (آميانس) – (سواسون) – (نهر ايسن) – (سيدان) – الحدود الالمانية التي تتاخم منطقة الألزاس واللورين حتى شمال (بازل) .

قُسّمت هذه الجبهة الطويلة بكاملها الى ثلاثة قواطع :

نقل جحفل الجيش (ب) بقيـــادة (فون بوك) والقسم الأكبر من القوات المدرعة بقيادة (كليست) من (ابيفيل) الى جوار (لافير) .

وكان جحفل الجيش (أ) بقيادة (فون رونشتد) مع بضعة جيوش وفيلق (كودريان) المدرع يحتلون مناطق مجاورة لشرق جحفل الجيش (ب) من جوار (لافير) حتى قرب (مونتميدي) .

وخصص جحفل الجيش (جـ) بقيـــادة فون (ليب) للمنطقة الكائنة من

(مونتميدي) وعلى امتداد خط (ماجينو) و (الراين) الأعلى حتى شمال (بازل) .

وكانت الغاية العامة الهجوم بجحفلي الجيشين (أ) و (ب) والهجوم في الوقت ذاته بجحفل الجيش (ب) نحو الجنوب والغرب للوصول الى حدود فرنسا الجنوبية في (البرانيس) والبحر الابيض المتوسط، وكان الهدف الرئيسي لجحفل الجيش (ب) هو القيام بهجوم تطويقي على باريس ومن ثم الاستمرار باتجاه (تورس) و (بوردو) ، وكان على جحفل جيش رونشتد ان يتقدم باتجاه خط (ديجون) ووادي (الرون) الى (ليون) و (مارسيليا) ، ويكون هذا الخط محور تقدمه المركزي ، بينما كان على جحفل الجيش (ج) احتلال الالزاس واللورين من الشمال والشرق .

لم يجر الزحف عمداً على طول هذه الجبهة الهائلة في نفس اليوم .

كان قد تقرر القيام بهجوم الجحفل (ب) يوم ٥ حزيران ، وبهجوم جحفل رونشتد يوم ٩ حزيران ، وجحفل (ج) يوم ١٤ حزيران ، وكان القتال شديداً على طول الجبهة كلها خلال الأيام القليلة الاولى ، فقد كان ضرورياً جداً اختراق خط (فيغان) الدفاعي الممتد من مصب (السوم) الى قرب (سيدان) والمؤلف من تحصينات خلف نهري (السوم) و (الايسن) ، ومن قلاع قديمة منعزلة ، كما كان ضرورياً التغلب على خط (ماجينو) و (الراين) الأعلى بين (سيدان) حتى الحدود السويسرية .

ولم يتمكن (بيك) من النجاح في عبور (السوم) الا بعد قتال شديد ، وكانت المعارك الأولية التي خاضها (ليب) ضد خط (ماجينو) قاسية ايضاً .

وعلى كل فقد تمّ قهر كافة تحصينات الميدان والتحصينات الدائمية خلال ثمان واربعين ساعة من قتال عنيف بمعاونة القوة الجوية .

وصادف جيش جحفل رونشتد مقاومـات محلية عنيفة في أماكن كثيرة ولا سيما على الايسن ، ولكنه نجح في اختراق جبهته كلهـا خلال وقت قصير نسبياً .

لقد تمّ انجاز القسم الثاني من الحملة بدون جهد يذكر بعـد نجاح الجيوش الالمانية في انجاز عملية الاختراق في الغرب .

وكان الجيش الفرنسي مشتبكاً في صراع لا أمل له فيـه ... لم يكن بامكانه سحب جزء من قوات خط (ماجينو) ، لأن ذلك يؤدي الى ضعف الدفاع عن هذا الخط ؛ كما لم يتمكن من الاحتفاظ به ، لأن جحفل جيش رونشتد استولى على خط (مـاجينو) بكامله من الجـانب والخلف باندفاعه نحو الغرب عبر (سيدأن) .

من الممكن التطرق بإيجاز الى الخطوط الرئيسية لمجرى حركات الصفحـة الأخيرة : وصلت قطعات رونشتد (ريمس) يوم ١١ حزيران، ووصلت (شالون – سير – مارن) يوم ١٢ حزيران ، غير ان جحفل (كودريان) المدرع اندفع مخترقاً الجبهة المتداعية متجهاً نحو الجنوب الشرقي .

وافق رونشتد على استعمال ثلاث كلمـات رمزية استعيرت من مصطلحات كرة القدم لتسهيل حركات حرب الصاعقة والاستغناء عن الأوامر التفصيلية ، مثال ذلك : كلمة (نصف الوقت) ، وأعطيت هذه الكلمات الى كودريان بالجهاز اللاسلكي فور وصول دروعه الى منطقة (لانكرس) .

وكانت الكلمة الاولى الرمزية تدل على « استدر شرقاً نحو (بلفورت) لمنع الفرنسيين من الانسحاب من الالزاس » .

وتدل الكلمة الثانية الرمزية على : « استمر في التقدم على خط مستقيم باتجاه

الجنوب نحو (ليون – مارسيليا) لتحطيم جبهـة الألب الفرنسية من الخلف ، المحتلة لغرض الدفاع ضد ايطاليا » ...

وتدل الكلمة الثـالثة الرمزية على : « استدر نحو الجنوب الغربي باتجاه (بوردو) لتدمير تراجع الفرنسيين امام جحفل الجيش – ب – » .

وهكذا تمكن رونشتد ان يوجه القطعات المدرعة وفقاً لمـا يتطلبه الموقف السوقي الرئيس بأقل ما يمكن من (استعمال اللاسلكي) ، وعند وصول كودريان الى (لانكرس) ، استلم بهذا الاسلوب أمراً للتقدم نحو الجنوب الى (ليون) . أما نحو (بيسان كون) فلم يوجه غير مفارز مستقلة لسد منافذ (بير كاندي) تجاه تراجع الفرنسيين من (بلفورت) . وصلت هذه القطعات الحدود السويسرية وفي نفس اليوم احتل الفيلق المدرع بقيادة فون (كليست) مدينة (ديجون) .

يمكن إدراك درجة السرعة الهائلة والثقة العـالية التي تميز بها هذا الزحف بسرد القصة التالية :

كان قطار فخم سريع لا يزال يسير في تلك الأيام باتجـاه (ليون) يحمل ضباطاً فرنسيين مجازين بصحبتهم زوجاتهم ، فتوقف هذا القطار من جراء تقدم وحدات الاستطلاع الالمانية تقدماً سريعاً وسط حيرة ودهشة المسافرين .

تمكنت جحافل الجيوش الثلاثة وهي تتقدم جنباً الى جنب على طول الجبهة كلهـا من ان تصل (روين) يوم ٩ حزيران و (دييب) يوم ١٢ حزيران ، و (ريمس) يوم ١١ حزيران ، و (شالون – سير – مارن) يوم ١٢ حزيران و (الهافر) يوم ١٣ حزيران، وباريس يوم ١٤ حزيران، و (كولمار) و (فردون) يوم ١٥ حزيران، ولم تنجح محاولات الفرنسيين لجمع صفوف المقاومة على (اللوار) لعدم تيسر الوقت اللازم لديهم لبناء جبهة جديدة .

وهكذا تضاءلت هـذه الحملة تدريجياً ، فأصبحت اشتباكات معزولة عن

باقي الجبهة، ولكن بقيت هناك معارك صغرى في بضع نقاط . لقد اصبح الجيش الفرنسي قوة غير متماسكة تتهاوى يوماً بعد يوم ، وكثيراً ما فوجئت الأرتال الفرنسية الطويلة المتراجعة واللاجئون بتقدم الفرق المدرعة الالمـــانية على نفس الطرق دون ان يكترث بهم الالمان ... وعلى هذا الشكل انتهى القتال .

ودخلت ايطاليا الحرب يوم ١٠ حزيران ، وبعـد استقالة وزارة (رينو) الفرنسية يوم ١٦ حزيران ، فتحمل مارشال فرنسا المشهور (بيتان) المسؤولية الشاقة في موقف يائس جداً ، وهو شاعر بتبعة هـذه المسؤولية الجسيمة ، تلك المسؤولية هي عقد هدنة مع المانيا ، وقد تم عقدها يوم ٢٢ حزيران .

وتمكن الالمان خلال ذلك من عبور (اللوار) واحتلال (شاربوغ) و (ليمانس) و (نانس) يوم ١٨ حزيران، و (بريست) و (أبينال) و (تول) و (لونافيل) و (استراسبورغ) يوم ١٩ حزيران ، واستولوا على (ليون) يوم ٢٠ حزيران ، وفي يوم ٢٢ حزيران انتهى القتال في (الالزاس) و (اللورين) .

وتوقفت كافة الاعمال العدائية في الدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الواحـــدة ظهراً من يوم ٢٥ حزيران .

وكان الايطاليون قـد حشدوا قواتهم في الالب على الحـــدود الفرنسية – الايطالية للاندفاع الى الأمـــام على محور (مونت بلانك – مينتون) نحو (سافوى) حتى (الرون) ، ولكن هـــذه المحاولة فشلت تجاه التحصينات الفرنسيـة في أعالي الألب ، كما فشلت محاولاتهم في مواجهة الشجاعة البطوليـة لقطعات الألب الفرنسية الشهيرة وهي التي عرفت باسم : (الفيلق المختـار) ، وقد اقترح الايطاليون انزال قطعات ايطالية من الجو خلف مغاوير الألب لتسهيل هذا الهجوم ، ولكن القتال سنة ١٩٤٠ كان يتسم بمزايا قتال الفروسية الشريف لهذا رفض هذا القرار كل من القائد العام الالماني وزميله الايطالي ، بحجـة ان

تنفيذ غير شريف ويتنافى مع حرب الفروسية ، وان اصبح امر تطبيقه فيما بعد من الأمور الاعتيادية في الحرب .

وتلقى رونشتد وصايا من مقر رئاسة أركان الجيش للتقدم بتشكيلات آلية وبالفرقة الجبلية الاولى من (الرون) متجهاً نحو الشرق الى الوديان الجبلية تجاه مؤخرة مغاوير الألب لكسر شوكة المقاومة الفرنسية في الألب ، ولكن عليه ألا يتقدم بسرعة فائقة .

وكانت لا تزال هناك اشتباكات صغرى ، غير ان مغاوير الألب الشجعان ، تخلوا ايضاً عن هذه الجبهة العقيمة .

نقل كليست وتشكيلات آلية قويةمن إمرة الجحفل (ب) الى إمرة جحفل جيش رونشتد الذي جمع تحت قيادته مرة اخرى قبيل انتهـــاء الحركات فيلق القطعات المدرعـة بالاضافـــة الى جيوش المشاة ، وقد نقل مقر رونشتد الى (شالون — سير — مـــارن) اولاً ثم الى (اوكسير) في الايام الاخيرة من الحملة .

ابتدأت حرب الصاعقـة هذه في الغرب يوم ١٠ مـــايس وانتهت يوم ٢٥ حزيران ، وقد اندحر الجيش الفرنسي لأن تحضيراته وتنظيمـه كانا من الطراز القديم ، ولأن قيادة الحلفاء الغربيين كانت لا تزال مشبعة بآراء وتجارب اسلوبية ترجع الى الحرب العالمية الاولى ، ومع ذلك فان رونشتد وقطعاتـه اعترفوا كل الاعتراف بشجاعة خصومهم القدماء .

توالت في مقر رونشتد في (اوكسير) الحوادث التي تحيي آمال الجنود في قرب حلول ايام السلم . مثال ذلك: جرى عرض عسكري كبير في(الشانزليزية) بمدينة باريس ، وكان على رونشتد ان يوفد ضابط ركن من مقره وعـــدداً من رجاله لحضور هذا الاحتفال ، كما تلقى عدد من الفرق المدرعة في جنوب فرنسا

اوامر من المقر بالتحشد في باريس للاشتراك في هذا العرض !

كما وصلت وصايا من قائد الجيش العام في برلين حول إلغاء وتسريح عـــدد كبير من فرق المشاة التي شكلت حديثاً في بداية الحرب !

واخيراً استدعيت فرق عديدة آلية ومشاة من فرنسا الى المانيا !

أظهرت هذه الحقائق ان هتلر يؤمل حلول السلم !

كانت الكلمة الرمزية : (أسد البحر) تعني في الجيش الألماني غزو انكلترا، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذه الخطة وبين الآمال في الصلح ؟ ان العارفين بهتلر يدركون أنه اراد إحداث تأثيرات خارجية بترديد هذه الخطة ، لأنــه لو اراد حقاً تطبيق خطة (أسد البحر) لوجب ان تنجز الاستعدادات اللازمـة قبل ابتداء الحملة بكاملها في الغرب .

ولم يبد ما يشير الى تطبيق هذه الخطة ، كما لم يتطرق هتلر بشيء عنهـــا لرونشتد خلال الحرب في فرنسا . ومن الواضح انــه لا يمكن زج جيشين عبر القنال الانكليزية بوسائط عبور مرتجلة للغاية نتيجة للدوافع الآنية المحضة ولغرض احداث تأثيرات خارجية فقط .

ولو اراد هتلر الهجوم على بريطانيا حقاً ، لمـا سمح بتملص الجيش البريطاني من (دانكرك) الى الجزر البريطانية في نهاية مايس ، ليجده بعدئذ هنـــاك مدافعاً ! واخيراً لقد كانت هناك قطعات متيسرة للعبور الى انكلترا فوراً في نهاية مايس ، كما كانت تتيسر فرق كثيرة جـداً لاستخدامها في القسم الثاني من حملة فرنسا ، إذ لم تشترك في القتال من عشرة الى اثنتي عشرة فرقة من جحفل الجيش (آ) ، بل بقيت احتياطاً للجحفل تعقب قطعاته الأمامية. لذلك اعتقد رونشتد بأن الأوامر الصادرة حديثاً بشأن حركة : (أسد البحر) ليست غير خدعة سياسية ، وسنرى كيف تطورت هذه القضية .

صدر الامر الى رونشتد وهيئة ركن الجحفل (آ) لاتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ خطة : (أسد البحر) ، وقد نقلت هيئة الركن من (اوكسير) الى فندق هنري الرابع في (سنت جرمان) قرب باريس .

مهدت الأوامر الصادرة من مقر هيئة ركن الجيش (براوشتش) و (هلدر) بالدرجة الأولى كما يلي :

الانزال في إنكلترا على جبهة واسعة بين (دوفر) ونهاية الجزيرة البريطانية الجنوبي ، وقدروا أن الساحل البلجيكي الفرنسي من (انتويرب) الى (بريست) يصلح أن يكون قاعدة لاستحضارات الانزال . كانت الأوامر تقضي بأنشاء رؤوس جسور كبيرة في البدء على الساحل البريطاني الجنوبي ، ومن ثم يجري الاندفاع الى الأمام باتجاه الشمال ، وقد تقرر أن يجري احتلال لندن بقوات ضعيفة ، بينما يستمر الهجوم الرئيسي غرباً تاركاً العاصمة .

وكانت منابع الأسطول الالماني أضعف شأناً من تحمل أعباء مثل هذه الخطة . لقد كانت البحرية الالمانية صغيرة ولكنها كانت كفؤة ومبدعة ، إلا أنه لم يكن في استطاعتها أبداً مجاراة البحرية البريطانية بقوتها ، ولو نفذت هذه الخطة ، لكان من الواجب إغلاق القنال من (دوفر) الى (كاليه) ، وفي الغرب بين نهاية أرض الجزيرة البريطانية من جنوبها الغربي وبين (بريست) كي يتعذر على الأسطول البريطاني إعاقة إجراء العبور من هاتين الجهتين . ولذلك كان من الضروري زرع (ألغام العمق) في البحر في هذين الموضعين ، غير ان عدد الألغام المتيسرة لهذا الغرض كان قليلاً جداً ، كما اصبح بعضها مستهلكاً لا يصلح للاستعمال .

وجاء دور خطة ثانية ، بنيت على ضرورة تقصير خط الانزال على الخط الكائن شمال خط (دوفر - بورت سموث) ، لامكان تأمين حماية قوية لكلا الجناحين .

انتخبت موانىء (نوتردام) (دوفر) لتكون قواعد لهذه الخطة المقتضبة، وكانت موانىء هولندا وبلجيكا ضرورية لانزال الفرق المدرعة السريع ، وكان ينبغي لأجــل العبور من (نوتردام) و (انتويرب) الى (دوفر) احتضان الساحل البلجيكي في الجناح الأيمن ، ومن ثم الاستدارة نحو (دوفر) .

ولم يهتم رونشتد ورئيس هيئة ركنه بحركة . (أسد البحر) هــذه اهتماماً جدياً ، كما لم يهتم بها ضباط الركن الآخرون ، وقــد ظهر ذلك جلياً من امتناع رونشتد عن حضور التمارين البحرية الــتي اشترك فيها الجيشان بكل حرص ، وحتى هتلر نفسه لم يسأل رونشتد عن استحضاراته لهــذه الخطة ، مع ان هتلر كان يحاول عادة ان يجعل نفسه ملماً بكل شيء ...

جرت كافة التمارين بالاشتراك مع ضباط من القوة الجويــة والبحرية ، وكان الشعور السائد بين الجميع بــأن هذه الخطة لن تطبق ! لذلك لم ينهمك فيها اي واحد من هيئة الركن انهماكاً غير اعتيادي .

وجرى ترفيع عدد من القادة الأقدمين في شهر تموز ، فأصبح رونشتد برتبة مشير .

وتقــدم هتلر بعرض للصلح مرة اخرى في خطابه الذي القاه في الرايخشتاغ يوم ١٩ تموز (١٩٤٠) ، وسمعنا في باريس عن محادثات للصلح بواسطة السويد ودوق ألبا ، كما كان معروفاً وجود اختلافات في الرأي بــين المحيطين بهتلر .. فقد أراد هتلرعدم قصف المدن البريطانية والاكتفاء بقصف الأهداف العسكرية المهمة : كأرصفة الميناء في مصب التايمس . ولكن كورنك أرادها حرباً جوية بكل معنى الكلمة .. وعندما عــاد المشير رونشتد من برلين في تموز ، اخبرنا بأن هتلر صرّح له في حديث شخصي جرى بينهما ، بأنه لا ينوي تنفيذ خطة : (أسد البحر) ... لذلك فــان حدس رونشتد المبكر عن هذه الخطة كان

صحيحاً ، وكانت نتيجة كل ذلك ان اصبحت الرغبة ضعيفة في العمل من اجلها بين ضباط الركن .

والآن سأتطرق الى وصف مجرى الحوادث التي جرت بعد ذلك .

بدأت (لعبة حرب[1]) اخرى على الخرائط في آب او في مستهل ايلول في (سنت جرمان) ، ومع هذا لم يعتقد اي احد بتطبيق خطة : (أسد البحر).

والحقيقة ان الاوامر اخذت تتوارد حول ترك هذا المشروع الخيالي ، فقد اعيدت السفن الى اتجاهات مختلفة ثانية ، وتخلينا عن العمل بكامله .

ينبغي ان نؤكد هنا ، بان رونشتد كجندي اعتبر امر تنفيذ خطة : (أسد البحر) غير ممكن .

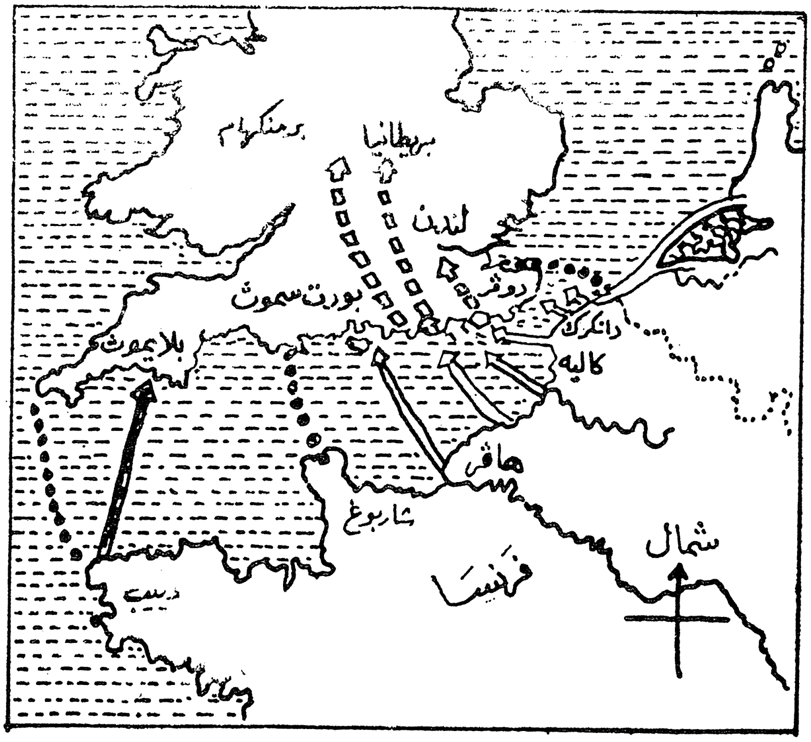
والذين درسوا إمكانية وسائط النقل المتيسرة المزمع نقل القوات الالمانية فيها الى انكلترا ، يعرفون بان هذه الوسائط غير كافية ابداً لمثل هذا الواجب . وحتى في حالة نجاح الانزال ، سيبقى المقاتلون الالمان ودروعهم تعزلهم القنال عن القارة .

وهل بالامكان ان تقف القوات البحرية والجوية البريطانيين موقف المتفرج ؟ الحقيقة ان رونشتد كان مصيباً عندما وصف خطة (أسد البحر)، بانها مجازفة ، كما ان هتلر نفسه اخبر رونشتد بانه يشعر بالقوة في البر وبالضعف في البحر ، فقال : « ولا يوجد جسر على البحر » وكان نص كلام هتلر : « أنا بطل في البر ، ولكنني جبان في الماء ... » ..

---

(١) لعبة الحرب : نوع من التمارين لتطبيق خطة عسكرية ، مع استخدام الوسائط السلكية واللاسلكية واصدار الاوامر والقيام بكل تفاصيل تطبيق الخطة على الخرائط وبدون استخدام القطعات .

(المعرب)



خطة أسد البحر

الهجوم بالمرور من لندن وتركها الى الغرب

الهجوم ورؤوس الجسر

حقول الغام

الخطة الاولى وهي غير عملية بالنسبة للبحرية الالمانية لان القاعدة كانت واسعة جداً

كانت الأشهر التاليـة لهدنة يوم ٢٥ حزيران مليئـــة بالاسترخاء لكل من القطعات وهيئـــة الركن ، ولقد خلقت فرنسا وأمال السلم فترة هادئة سارة للجميع ولمقر رونشتد ايضاً في (سانت جرمان) .

سكنت هيئة الركن كما ذكرت سابقاً في فندق (هنري الرابع) الواقع في نهاية الممر الطويل الشهير (لسنت جرمان) ، وكان منظر باريس واضحاً للعين من هناك ، وكانت أغلبية دوائر هيئة الركن تطل على نهر (السين) وعلى مدينة النور .

لقد كنا جميعاً سعداء بالهدنة وبوجودنا في باريس وبالأمل في حلول الصلح .

دُرس تاريخ باريس وتاريخ فرنسا بشوق عظيم ، وكان الجنود وضباط الصف والضباط والموظفون العسكريون الآخرون يشاهدون في زيارة الاماكن الهامـة في العاصمة التاريخيـة يحملون في أيديهم كتب الدلالة او الكتب التي ابتاعوهـا عن التاريخ السياسي والثقافي في فرنسا ، ولا حاجة للقول بأن الجـانب المرح من الحياة كان سائداً بين الضباط الشباب ، اذ اثبتت المطاعم الفرنسية بأنهـا لا تقل اغراء عن الملاهي ، كما اعطي الغرام ما يستحقه من اعتبار !!!

لذلك صدمنا نفسياً ، عندما صرّح القائد العـام بأن مقرنا ليس في محله المناسب ، وان محله الصحيح في منطقة الغابات قرب (أميانس) ليكون قريباً من الساحل ، ولقد افسح رونشتد المجال لهذا القلق ان يعمل عمله مدة اربـع وعشرين ساعة ، ثم لم يذكر بعد ذلك ما يشير الى فكرة الذهاب الى الغابات .

ومهما يكن الأمر ،فقد انشأ معسكر على شكل كوخ في غابة صغيرة بالقرب من (أميانس) ، وزود بوسائط المخابرة اللازمة ، ليكون مقراً لهيئـة الركن عند مغادرتها باريس ، وبذلك كان من المحتمل ان تتحرك الى (أميانس) في أية لحظة ،وقد تأكد في تموز بأنه لم يعد هناك أمل في تطبيق خطة : (أسد البحر) ،

فبقي المقر في سانت جرمان .

لم يزر رونشتد المسارح او اي نوع من محلات الانس ، كما لم يزر باريس خلال الفترة التي أعقبت الهدنة إلا نادراً ، وقد قضى ايامه هناك في صحبة رئيس هيئة ركنه وضابط خفر مقره في (الفيلا) القريبة من فندق هنري الرابع ، وفيها يلتقي يومياً القائد العام ورئيس هيئة ركنه ورئيس قسم الحركات في مقره ، وضابط الركن الثاني والمساعد ، الساعة الرابعة والنصف مساء لتناول شاي بسيط .

لم يكن صاحب (الفيلا) موجوداً ، غير ان وكيله أمّن الاحتياجات الضرورية ، وكان هناك بالاضافة الى ذلك حصانان وحمار وبضعة كلاب تأنس بحفلة الشاي .

في هذه الأيام الطيبة التي شملت الجميع بطبيعتها ، اجمع الضباط الشباب على الفكرة التالية : كانت خريطتان لباريس معلقتين في غرفة ضابط الخفر ، وكان على كل من يزور باريس ان يؤشر تجاربه في المدينة على هاتين الخريطتين : اولى الخريطتين كانت ذات نقط زرقاء ، والثانية كانت ذات نقط حمراء ، وفي كلتيهما نقاط ذات ارقام ، فالنقاط الزرقاء تشير الى المحلات التي يتسنى فيها تناول طعام فاخر بصورة خاصة ، أما النقاط الحمراء فتدل على ملاعب الهوى .

ويوم زار رونشتد الحصيف هذه الغرفة ، تطلع الى هاتين الخريطتين ممعناً ، بينما كان الضباط الشباب واقفين الى جانبه ، ولكنه لم يتفوه الا بهذا التعليق المقتضب الذي له معان كثيرة :

« ويحكم ! أليست خريطتكم الحمراء مليئة تقريباً » .

كان هؤلاء الشباب قد أقاموا منظاراً مكبراً للمدفعية على الشرفة ، يمكن بوساطته رؤية باريس كلها مكبرة ثماني عشرة مرة . وبطبيعة الحال كان في

الامكان تنظيم هذا المنظار على مديات قريبة جـداً كنهر السين مثلاً الذي يجري بالقرب من (سانت جرمان) ، وكان على النهر مسبح مكشوف وفيه نرى أبهى ملابس السباحة ، أما من تحتوي هــذه الملابس فلم يكن يعلم الراصد ذلك ، الا ان تكبير الحجم ثماني عشرة مرة كان يؤدي الى رؤية أجلى ، وغالباً ما استفاد ضباط الصف والجنود المنسوبون الى المقر من هذا المنظار لغرض (الاستطلاع) ، وقد يكون تقرير هذا الاستطلاع : ان كسوة الاستحمام الزرقاء غـير موجودة اليوم !

أرى أن حادثة صغيرة كانت ممتعة حدثت في كنيسة (ريمس) ؛ فقـد كان الدكتور المؤرخ نجل رونشتد الوحيد الذي توفي مأسوفاً عليه من الجميع عــام ١٩٤٨ ، والذي كان ضابط صف في الجيش الالماني كان كثيراً ما يزور والده خلال هــذه الفترة السلمية . ونظراً لاعجابه الشديد بمختلف انواع الفنون ، فقد أراد زيارة كنيستي (كارترس) و (ريمس) ، وكان رونشتد يعتقد جازماً بأن السيارات العسكرية هي للاستعمال العسكري فقط لا لزيارة النصب الفنية ، ولكن ابنه الدكتور في الفلسفة ورئيس العرفاء فون رونشتد يعلم كيف يسوس والده ! وهكذا اقلتنا سيارة في يوم من الأيام من (سنت جرمان) الى (ريمس) وعند وصولنا فحص رونشتد أكياس الرمل المكدسة حـول مدخل الكنيسة أولاً ، فقد أقامت السلطات الالمانية وسائل الدفاع حول كافــة النصب القيمة لحمايتها من الغارات الجوية، وبعد ذلك دخلنا الكنيسة وفيها تمثال (الجان دارك) كما هو معروف ؛ وقــد وصف نجل رونشتد جمال هذا التمثال هامساً ، وكان يوجد ايضاً خارج الكنيسة تمثال حديث لهـا يمثلها وهي ممتطية صهوة جواد ، فعبر المشير رونشتد عن رأيه في التمثال الأخــير قبل أن يفوه أحدنا بكلمة عنه قائلاً : « إن التمثال الوحيد القيم ، هو الذي في داخل الكنيسة » ... لقــد أدرك البون الشاسع بين التمثالين بلمحة خاطفة واحدة .

ظل الأمل في الصلح يراود أفكار الناس في الفترة بين ٢٥/حزيران الى آب ،

وكان هناك كثير من الأشياء الغامضة على العسكريين ، ولكنها كانت تثير فيهم آمالاً واسعة في الصلح . تراخت التدابير الصارمة التي طبقت في باريس بادىء ذي بدء ، فمن الواضح أن القطعات كانت تذوب شوقاً لرؤية باريس بعد إعلان الهدنة ، وكان هناك قلق مستحوذ على القيادة حول الضبط المتين للقطعات ، لذلك جرى تعيين اللواء فون (بريسن) المشهور بخشونته وصرامته قائداً عسكرياً لباريس ، وكان هذا اللواء قد جرح في الحرب البولندية ، ومنذ ذلك الوقت كان معروفاً بأنه قائد فرقة على جانب عظيم من الصرامة . كانت التدابير المتخذة تجاه هيئات الركن الالمانية والقطعات شديدة للغاية لصيانة الضبط والنظام ، وحتى ضباط الركن الأقدمون المزودون بوثائق من القائد العسكري هذا ، لم يكن ليسمح لهم بالذهاب الى باريس إلا بعد استحصال موافقة خاصة على ذهابهم ، على أن يمكثوا في باريس مدة قليلة ، ثم يغادرونها قبل حلول الظلام . ولكن سرعان ما تراخت هذه التدابير ، اذ عدلت في تموز اكثر هذه الأوامر الصارمة ، ومن ثم تطورت العلاقات الوثيقة بين الالمان وسكان باريس بسرعة هائلة جداً ، ولم يدر بخلد أحد بأن يحدّ من هذه العلاقات الودية القائمة بين السكان والقطعات الالمانية ، وما أسرع ما عثر عشاق الرياضة على رفقاء فرنسيين ، وابتدأت الدعوات المتقابلة ؛ كما تعارف هواة الفنون على الطبقة المثقفة من الفرنسيين في (اللوفر) او في (سيفرس) كما أصبح للضباط وضباط الصف والجنود خدينات من البنات . وبعد الهدنة ببضعة أسابيع ، ابتدأت الزيارات لحديقة الحيوانات في (فينسنس) التي كان قد انشأها حديثاً (هاكن بيك) . ان اسم مدير هذه الحديقة يغيب عن الذاكرة، ولكن كان هناك ضابط احتياط مدفعي في مقر رونشتد ذا علاقة وثيقة بعائلة (هاكن بيك) ، وفور وصول هذا الضابط الى (سنت جرمان) ، اجرى مفاوضات كثيرة مع المدير الفرنسي حول تبادل نوعين اثنين من حيوانات فصيلة (الكركدن) النادرة ، وقد وجد رونشتد في هذه الصفقة متعة عظيمة .

وكان الانسجام يسود كافة هيئة ركن رونشتد من الضباط وضباط الصف والجنود ، ذلك الانسجام الذي يدل على فهم رونشتد العميق للنفس البشرية ، الفهم الذي يمتاز به ويعد من أعظم خصاله .

وازداد الشعور من شهر الى آخر ، بأن السلم آتية بعد زمن طويل ، وقد انتشرت الاشاعات التي أشارت الى توسط السويد واسبانيا لاحلال السلام اعتباراً من آب ، كما اشتدت وطأة الحرب الجوية ضد الأهداف العسكرية الهامة في بريطانيا ، وازدادت خسائر المانيا في الطائرات ، وقد صرح الطيارون العائدون من الغارات الجوية على بلاد العدو ، بأن نيران مقاومة الطائرات في ازدياد مطرد ، كما ذكروا في تقاريرهم عن حدوث معارك جوية عنيفة ضد المقاتلات البريطانية ، أما ما كان يهيء هتلر من خطط ، فلم يكن يعلمه رونشتد ولا هيئة ركنه ، وقد أشيع بحدوث مشادات حادة بين هتلر وكورنك حول طراز الحرب في الجو : كورنك يريد قصف المدن البريطانية ، لأن البريطانيين سبق لهم قصف المدن الالمانية ، وهتلر لا يريد ذلك ، مما يدل على أن النزوة الطائشة للتعاون مع انكلترا كانت لا تزال تراود هتلر !!!

وحتى ذلك الوقت لم تتخذ أي تدابير للدفاع الجوي في (سانت جرمان) ، وقد صمّم رونشتد على ترك (الفلا) فأثثت له غرفتان في ملحق الفندق ، وكان في إمكانه من محله الجديد السير على الأقدام في غابات (سانت جرمان) وحيداً وبغير حراسة ما ، وبرفقة ضابط الخفر الرئيس فون (سالفياتي) الشهير بالمبارزة على الخيل ، ولكن فعالية استطلاع العدو الجوية ازدادت من شهر الى آخر ودأب الطيارون البريطانيون على ترصد (سانت جرمان) باستمرار ، لذلك فكرت هيئة ركن رونشتد أن تؤمن بعض الحماية الضرورية ، وفعلاً تأمنت تدابير الحماية في حديقة مجاورة للفندق ، فانشأت ملاجيء عميقة بالقرب من سفح مرتفع من الأرض .

كانت تدابير رونشتد لحمايـــة نفسه اعتيادية للغاية ، وكان يثيره صوت الحفارات التي تعمل لانشاء الملاجىء ، كما لم يكن يحب دخول الملاجىء عند سماع صفارات الانذار بالغارات الجوية ... لقد كان بأمكان البريطانيين تدمير المقر بكامله حينذاك لو أرادوا تدميره .

ومهما يكن الأمر ، فقد ظهرت أخيراً فائدة انشاء الملاجىء ، فسرعان ما أغارت الطائرات البريطانية على المقر من فندق هنري الرابع وكانت الغـــارة شديدة للغاية ، فأصبح كثير من الأبنيـة غير قابـل للسكنى ، ولكن الحظ واكب هيئة الركن في هذه الغارة ، اذ كانت الخسائر طفيفة ، على الرغم مـن عنف هذه الغارة .

ولم يكن لرونشتد غير حماية قليلة ضد اعمـال التخريب والغارات الأرضية وغيرها ، شأنه في ذلك شأن حمايته ضد الغارات الجوية ، فلم تكن هيئة الركن موزعة الى اقسام معزولة عن بعضها ، ولم تكن في المقر عوائق ولا موانـع ولا نطاقات من الاسلاك الشائكة ، وحتى لم يكن هناك حارس عدا جنديين طاعنين في السن يقومان بواجب الدورية عند حلول المساء .

لقد عاش الالمان والفرنسيون بسلام في كثير من الأحيان ، ولم يخل المحلات اصحابها إلا نادراً ، وقد كان في وسع أي إنسان فرنسياً كان أو المانياً أن يغدو ويروح في أي وقت الى فندق هنري الرابع ، ولم يحدث ابداً أن تضايق أحـد لاي سبب يمت الى التحديد مـن التمتع بحريته الكاملة ، ولم يتبدل أي شيء في هذه الناحية بين سنتي (١٩٤٢ – ١٩٤٤) بالرغم من تزايد الخطر وتزايد التوتر في البلاد تدريجياً بسبب تبدل الموقف ، اذ اصبح خطيراً بالنسبة للألمان ؛ وكلما اقترب الصيف من نهايته ، ازداد اعتقاد رونشتد بأن هتلر لا يستطيع الحصول على السلم .

كان الجيش الالماني في الغرب يجهل الموقف السياسي ، بل كان يجهل حتى

تطورات القضايا العسكرية في الشرق .

كنا قد تركنا الحديث عن بولندا بعد انتهاء الحرب هناك في نهـــاية تشرين الثاني سنة (١٩٤٩) ، ومن بعد ذلك لم يعرف احد الشكل الذي أصبحت عليه العلاقات الروسية الالمانية ، بعد تقسيم بولندا بين الطرفين . لقد علمتنا التجارب في الصفحة الثانية من الحرب البولندية ، بأن من الصعب تدبير التعامل مع الروس ، فقد كان هناك دائماً احتكاك واختلاف ناجم عن قضايا تافهة للغـــاية ، كامتلاك ثكنة على جسر نهر (البك) او استعمال جسر ما على نهر (اسان) بالقرب من (بريز نيسل) .

والآن ما الذي حدث على الحدود الشرقية من تشرين الثاني (١٩٣٩) حتى نهـاية صيف سنة (١٩٤٠) ؟ لم يكن يعلم ذلك أحد في الغرب الا القليل ... لقد سبق بيان الجهل بالحوادث السياسية ...

وفي ربيع سنة (١٩٤٠) ، وفي بداية حرب الصاعقة في النرويج يوم ٩/نيسان ، وقبل هـذا التاريخ ، كان رونشتد يلاحظ رحيل الفرقتين الجبليتين النمساويتين الثانية والثالثة من منطقته دون ان يعلم لما والى أين تذهبان! ولم تعلم هيئة الركن والقطعات ان قوات الحلفاء كان يجري إركابها بعـــد احتلال النرويج مباشرة لمساعدة فنلندا التي توصلت روسيا الى عقد صلح معهـا ثانية يوم ١٢/مارت عام (١٩٤٠) الا من الصحافة والدعاية والاشاعات .

لقد اشتبكت القوات الالمانية مع القطعات البريطانيـة في النرويج اكثر من مرة ، كما حدث في (اندالسنس) و (هارستان) ، ولم يعلم القـادة العسكريون في الجهات الاخرى شيئاً حول هذه الحملة الا معلومات قليلة تعادل معلوماتهم عن الحرب بين فنلندا وروسيا ، تلك الحرب التي انحاز فيها الجنود الالمان بعاطفتهم الى جانب فنلندا .

تظهر هذه الظروف الشاذة التي شرحناها باختصار هنا ، والتي لا يكاد يتصورها

أحد في البلدان الديمقراطية ، كيف كان يدّبر أمر حرمان حتى اكبر القـادة في البلاد الدكتاتورية من الاطلاع على المواقف السياسية !!...

لقد حمل هذا الجهل القائد العام ورئيس أركان الجيش على تقـديم مقترحات سوقية ، كان مصير أكثرها الرفض من هتلر ، لأنهما كانا يعملان وهمـا على جهل تام بالنيات السياسية التي تستند عليها الخطوط السوقية الى حد بعيد !!

لم يجر التطرق الى المسألة الروسية في الغرب الا نادراً خـلال أشهر الصيف من سنة (١٩٤٠) ، كما كنا نجهل الموقف في الشرق تماماً ، فقد افترضنا فيما بيننا أن كل شيء يجري هناك بنظام وفقاً للاتفاقية المعقودة بين الطرفين ، وفي ذلك الوقت لم يكن بين هيئة الركن والقطعات من يحلم بحرب ضد روسيا .

وربما أسرّ هتلر ذلك في نفسه منذ زمن طويل ، وربمـا سبق له التنويه عن نياته هذه لهيئة ركنه الخاصة او لرئيس أركان الجيش ، ولكن رونشتد شخصياً لم يُحط علماً بأي شيء عن ذلك ، ومع هذا فقد بدا بأن شيئاً مـا قد يكون معلوماً عن الحرب ضد روسيا لدى ضبـاط القوة الجوية والبحرية ، كما أصبح واضحاً أن كورنك القائد العام للقوة الجوية أوثق صلة بهتلر من رؤساء الجيش ، وأن ضابطاً ما في القوة الجوية او البحرية خلال شهري آب وأيلول عام (١٩٤٠)، كان يستطيع التلميح بأن شيئاً ما قد يحدث في الشرق عام (١٩٤١) .

نقل مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) من الغرب باتجـاه الشرق ، ومن ثم نقل الى (وارشو) ، وقد زار المشير فون (كلوكا) مقر جحفل الجيش (أ) في (سانت جرمان) قبل رحيله، وتحادث لمدة طويلة مع رئيس هيئة الأركان... ان كافة الامارات كانت تدل على أن شيئاً ما سيحدث في الشرق .

ولقد نُشرت بعض التقارير في الصحف في هـذه الأيام ، بأن الروس أخذوا يظهرون اتجاهات معادية ضد الالمان ، ويضاعفون المشاكل ، ويزيدون بالتدريج

في عدد قطعاتهم شرق خط تقسيم بولندا ، كما أشيع بأن العلاقات قد تردّت بين روسيا وبريطانيا من أجل فنلندا، كما تنبأ بعض الناس بنشوب حرب بين روسيا وبريطانيا ...

انه لا يمكن تفهم الموقف حينذاك الا بوصف حالة الشك والجهل التي عاش فيها القادة العسكريون باستثناء ضباط مقر هتلر ... وحتى رونشتد نفسه لم يكن يعلم شيئاً ذا أهمية عن الموقف السياسي ، فهو جندي لا تثير في نفسه الحوادث السياسية الا قليلاً من المتعة .

ولم يتصل رونشتد أبداً بهتلر هاتفياً كما كان يفعل (روممل) و (كلوكا) وكثير من القادة العسكريين ، ومن أجل ذلك لم يحدث ابداً ان استدعاه هتلر الى الهاتف .

لقد كانت هناك طبعاً مناقشات شخصية، ولكنها كانت تحدث حينما يريدها هتلر فقط .

ولم يجر اتصال هاتفي بين هتلر ورونشتد في أي موقف .. لقد كانت المحادثات بينهما تجري بوساطة (كايتل) و (جودل) .

٧

الحرب في روسيا

ذكرنا سابقاً ان قادة جحافل الجيوش وقـادة الجيوش لم يزودوا بأي معلومات واضحة من هتلر عن واجباتهم المقبلة في الجبهة الشرقية . ان هـذا الصمت مبـدأ أساسي لكل دكتاتور ، ولكن من المعروف ان رجال الدولة والسياسيين في الدول الديمقراطية لا يخبرون دائماً قادتهم العسكريين بخططهم إلا في المرحلة الاخيرة ، وحتى في ذلك الوقت لا يفصحون عن الدوافع الخفيـة ، وبعبارة اخرى ان الجندي آلة بيد السياسيين، فهم وحدهم يقودون ويسيطرون وليس على قادة الجيش العقلاء الا ان يعتبروا انفسهم جنوداً يقتصر واجبهم على الناحية العسكرية فحسب !

ان رئيس الوزراء والبرلمـان في البلاد الديمقراطيـة يزودون العسكريين بمعلومات اكثر مما هو الحال في البلاد الدكتـاتورية ، كما تكون لآراء العسكريين هناك اهمية خاصة ، اذ تدرس آراؤهم وتمحص بعناية ، لذلك فان العلاقات بين السياسيين والقادة العسكريين تكون اوثق في البلاد الديمقراطية .

وهكذا كانت الامور تحت ظل حكم هتلر تختلف تماماً عما هي عليه في البلاد الديمقراطية .

ازدادت في نهاية سنة (١٩٤٠) التقارير التي تشير الى حرب اجماعيـة ضد

روسيا ، وقد اشير في مقدمة الاوامر الصادرة عن هيئـة ركن مقر الجيش بأن الاستعدادات ضد روسيا دفاعية محضة ، نظراً لاحتمال قيام الروس بالهجوم على الالمان .

وفي بداية سنة (١٩٤١) نقلت فرق اخرى الى الشرق لا سيا الى بروسيـا الشرقية وبولندا ومقاطعة (بوزنان) .

ولم تكن هذه القطعات منظمة لأغراض الهجوم بأي وجـــه من الوجوه ، كما عبئت على مسافة بعيدة في الخلف منتشرة في منـاطق شاسعة تشغل نفسها بالتدريب .

وكانت هناك اجازات .. وكانت ظروف الخدمة سلمية تقريباً ، ولم يكن في اقصى الجبهة على خط التقسيم الروسي — الالمـــاني سوى ثلاث او اربـع فرق بالاضافة الى فرقة الخيالة الاولى بين الكربات والبلطيق !...

وكانت الجبهة بقيادة فون (كلوكا) الذي جعل مقره (الجيش الرابـع) في وارشو .

لقد ساد هدوء مطلق خلال شتـاء سنة (١٩٤٠ - ١٩٤١) على الحدود ، وحتى بداية الحرب في ٢٢/ حزيران سنة (١٩٤١) كانت روسيا لا تزال صديقة لالمانيا .

وكانت القطارات تسير بانتظام مارة بمحطات السكك الحديدية في الحدود حامـــلة البضائع بصورة اعتيادية ، ولم يحدث لمنتسبي السكك الحديدية غير صعوبات قليلة ، وكان القطار الدولي الذي يسير من برلين الى موسكو مستمراً في مسيره ، ولم يتوقف الا قبل اربـع ساعات من بدء الحركات العدائية .

ووصلت فرق اخرى في شهر كانون الثاني عام (١٩٤١) قادمة من الغرب،

ولكنها عبئت على مسافـــة بعيدة في الخلف ، حيث استقرت هناك على نمط الحاميات .

ولم يكن هناك قيادة عليا في هذه المنطقـة غير مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) وبعد ذلك استلم رونشتد امراً يقضي بذهابه الى (برسلاو)في سيلزيا مستصحباً هيئة ركنه الشخصية الصغيرة ، وقد اصدر هتلر امر هـذه الحركة بصورة سرية .

وانتشرت في سنة (١٩٤١) الأخبار التي تفيـد بأن الروس عازمون على الهجوم لا على المانيا فحسب بل على اوروبا بكاملها.. وقد اشار هتلر الىضخامة التسليح الروسي والى عدد الفرق الروسية الهائلة، كما اشار الى الحرب الفنلندية، فاستدل من ذلك على ان الروس لا يمكن ان يقوموا باستعدادات كبرى كهذه الا لغرض القيام بهجوم مباغت ضد المانيا ... وقد اعاد هتلر الى الذاكرة خطة (لنين) الذي كان قد صرح بأن هدف الفكرة الشيوعية هو الانقلاب العالمي ، ذلك الهـدف الذي لا يمكن ان يتحقق الا بالقوة ، ولهـذا انشأ الجيش الاحمر بسرعة جنونية .

وقال هتلر : « انـــه لا يستطيع الانتظار طويلاً ، لئلا يكمل الروس استحضاراتهم » ، وقد توقع خطراً داهماً من الشرق ضد سلامة المانيا وأوروبا .

كما توقع قيام الروس بالهجوم في سنة (١٩٤١) .

وتلقى الجيش الرابع في الربيع معلومات سرية من ضابط (لتواني) سابق في (كفنو) تفيد بأن الروس يقومون بإجراء تمـارين تستهدف احتلال بروسيا الشرقية من اتجاهين ، كما ان الحرب ضد المانيا تنـاقش بصراحة تامة في مطاعم الضباط الروس ، وقد ظهر التحامل ضد المانيا بوضوح في الأفلام الروسية ، كما وقعت بيد الالمان تقارير من مصادر تؤيد هذا التحامل، وأيدت خرائطالموقف

العسكري المؤشر عليها المعلومات الواردة من روسيا شهراً بعد آخر ازدياد عدد القطعات الروسية في (غاليسيا) .

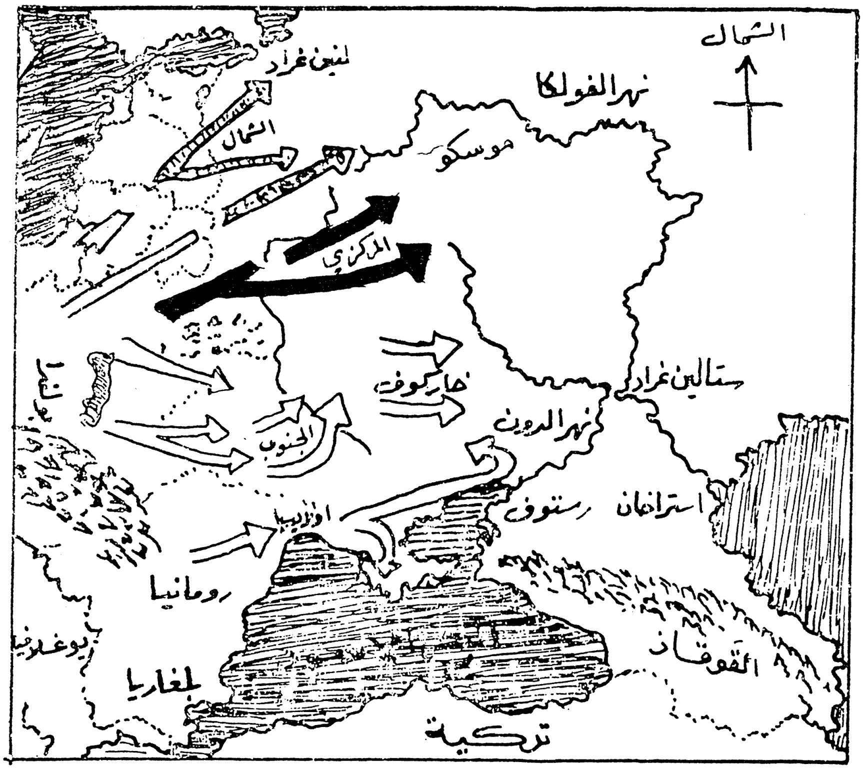
عارض رونشتد الحرب ضد روسيا منذ البداية ، فقد حصل على معلومات لا يستهان بها عن الشرق لا سيما البلاد الروسية : طبيعة البــلاد ، والجندي الروسي ، ومشاكل الجو ، والمسافات اللانهائية ، والطرق الرديئة . لذلك فقد سأل هتلر عما اذا كان مدركاً للمجازفات التي سيقدم عليها بالهجوم على روسيا؟ . . وقد ابدى القائد العام (براوشتش) ورئيس اركان الجيش (هلدر) شكوكهما المؤلمة بهذا الصدد كما فعل رونشتد .

لم يحارب هتلر اثناء الحرب العالمية الأولى في الجبهة الشرقية مطلقاً .

لقد كان رونشتد يعتقد بأن الروس لو كان في نيتهم حقاً التعرض على المانيا، لفعلوا ذلك اثناء اشتباك الجيش الالماني كله في الحرب ضد الغرب ، لذلك اعتقد رونشتد بأن خير ضمان لسلامة المانيا هو في تقوية دفاعات الحدود وافساح المجال للروس للقيام بالهجوم ان ارادوا ...

لقد كان كثير من الضباط قــد سبق لهم معرفة الروس خلال الحرب العالمية الاولى ، اذ اكتشفوا قوة شكيمتهم واستعدادهم الفطري للتضحيـــة الشخصية ضمن حشودهم وعدم اكتراثهم بالخسائر ، وكانوا يعرفون ان هذه البلاد الغامضة تستطيع إعداد الملايين من الجنود ، وكانوا قد خبروا في سني (١٩١٤–١٩١٨) المساحات الشاسعة والمسافات غير المحدودة والمناخ القـــاسي والسبل الرمليـة والطرق الموحلة والغابات الضخمة والمستنقعات ...

صحيح ان جندياً المانيـــاً كان يقابله خمسة الى عشرة من الروس في الحرب العالمية الاولى ، ومع ذلك انتزع النصر . بيد ان الاخطار الهائلة التي سيتعرض لها الالمان ، كانت معروفة حق المعرفة كذلك ، في حين ان السلم لم يكن قــد



روسيا سنة ١٩٤١



جحفل جيش الجنوب (رونشتد) — جحفل الجيش المركزي (بوك) — جحفل جيش الشمال (ليب)

اصبحت في متناول اليد في الغرب حينذاك .

ويلي هذا السؤال العظيم الاهمية : هل إن الجيش الروسي الحالي احسن أم أردأ مما كان عليه ايام القيصر في سني (١٩١٤–١٩١٨) ؟

لقد كان معروفاً بان نظام موسكو السياسي قد وُطد بشدة متناهية تفوق في ضراوتها الشدة ايام القيصر ، وكان معلوماً ان الجيش الاحمر جرى تنظيمه بشكل يختلف تماماً عن جيش روسيا الامبراطورية ، ولم يكن هناك شك في ان المعدات الحربية في الجيش الروسي الحديث احدث بكثير من تلك التي كانت على عهد القيصر .

وكانت تقارير الملحق العسكري الالماني في موسكو الذي عرف الروس سنين طوالاً تدور حول قضايا على جانب عظيم من الاهمية ، ولكن هتلر وكثيراً من بطانته لم يعيروا تلك التقارير ما تستحقه من اهتمام، بل لم يصدقوها ! وفهموا روسيا كما فهمها نابليون من قبل ... لقد كان هناك نواحي تشابه واضحة بين نابليون الاول وبين هتلر ، اذ كلاهما ينزع الى الهجوم .

خشي هتلر من تعرّض بريطاني من اليونان باتجاه الشمال نحو الدانوب كما فعل الحلفاء في البلقان عام (١٩١٨) ، لأن تطور هجوم كهذا يؤدي الى تهديد مؤخرة الجبهة الشرقية الالمانية في الجنوب ، لذلك عزم على احتلال البلقان وكافة اليونان لاحباط نيات البريطانيين ، فأرسل المشير (كليست) الى هناك لهذا الغرض .

ورفع كثير من اليوغوسلافيين راية العصيان ضد قوات المحور في نهاية مارت عام (١٩٤١) ، وكان هذا العصيان مفاجأة كاملة لهتلر . ثم أعقب ذلك حرب قصيرة سريعة في البلقان بقيادة (ليست) وفون (كليست) ، وقد استخدمت في تلك الحرب الفرق المدرعة بالاضافة الى المشاة والتشكيلات الجبلية ، وبذلك انتهت هذه الحرب بالنصر بعد بضعة أسابيع .

ولكن هذه الوحدات الالمانية ولا سيا تشكيلات فون (كليست) المدرعة خصصت جميعها للحرب في روسيا ، فنقلت بالقطارات وبالسيارات من اوروبا الجنوبية الشرقية الى الشمال ثانيــة خلف خط الحدود الروسية ، حيث استغرق نقلهم وقتــاً طويلاً ، وكان من الضروري فضلاً عن ذلك ، ادخـــال الدروع والعجلات الى المعامل لغرض الفحص العام والتصليح لكي تكون قادرة على الخدمة ثانية .

وقرّر هتلر ان تبدأ الحرب ضد روسيا في منتصف مايس سنة (١٩٤١) ، ثم تأجل هذا الموعد شهراً كاملا ، ولم تكن الحرب البلقانية نفسها السبب الرئيس لهذا التأجيل ، بل كان السبب هو مباغتة هتلر بالانقلاب الحكومي الذي جرى في بلغراد ، لأن الدانوب والمواصلات مع رومانيا الحليفة التي تخترق يوغوسلافيا كانت حيوية لأغراض التموين ولمرور القطعات الالمانية وقطعات المحور الاخرى منها الى جنوب الجبهة الشرقية ... ومهما يكن الامر فهناك عامل لا يقلّ أثراً عما ذكرنا ، وهو رداءة الأحوال الجوية عام (١٩٤١) ، فقد أدّى هذا العامل الى تأجيل الحرب الروسية ايضاً .

ومن المعلوم أن الحركات السوقية الكبيرة السريعة كانت تلاقي عراقيل كثيرة شرق خط (سان - بك) حتى أواخر مايس ، فقد غمرت الارض بالفيضانات الواسعة ، واستطاعت طائرة استطلاع مشاهدة البحيرات الكثيرة وسعة المياه وتشعباتها في البلاد الشرقية ، إذ كانت الارض رخوة مليئة بالمستنقعات كما كانت الطرق مغمورة بالأوحال .

وشهر مايس يتميز عادة بتبدلات في الأحوال الجوية ، إذ ينحسر الماء وتلاقي الحركة صعوبات أقل ، غير أن سنة (١٩٤١) كانت سنة استثنائية ، ففي نهـاية حزيران كان نهر (البك) وهو نهر بولنــدي على مقربة من (برست لوتفسك) في حالة فيضان تعلو ضفافه الأمواه .

وبعد ان قرر هتلر ان يسبق الهجوم الروسي الذي تخيله بهجوم يقوم به هو ضد روسيا على الرغم من تحذيرات رونشتد والقادة العسكريين الأقدمين الآخرين ، فكرت حينذاك القيادة الالمانية على ضوء الحقائق التالية :

كان القلق ناشئاً بصورة رئيسية من تيسر قوات كبيرة عند الطرفين : روسيا والمانيا ، فلدى الالمان حوالي (١٢٠) فرقة من مختلف الصنوف ، ولدى روسيا حوالي (١٥٠) فرقة ، بيد ان المعلومات المتعلقة بالروس كانت محدودة للغاية ، فلم يجر استطلاع جوي ، وليس بامكان هذا الاستطلاع لو جرى ان يحدد مقدار قوة القطعات الروسية .

وبمقارنة الموقف الالماني في الجبهة الروسية بالموقف الالماني في الغرب سنة (١٩٤٠) ، يتضح ان الالمان وقوات المحور معها لم يكونوا متفوقين في الشرق تفوقهم في الغرب ، إذ في الغرب بين البحر الشمالي والحدود السويسرية تحشد عدد هائل من الفرق تعقبها قوات احتياطية قوية للغاية موزعة عمقاً على جبهة غير واسعة ؛ أما في الشرق فقد امتدت الجبهة سنة (١٩٤١) من البحر الأسود الى بحر البلطيق ، ونظرة الى خارطة اوروبا ، تظهر أن الجبهة الالمانية ستزداد عرضاً كلما ازداد التقدم نحو الشرق .

كان من الواضح أن الحركات ينبغي ألا ترسم خططها على غرار خطط نابليون الأول في سنة (١٨١٢) ، فقد استمر الروس حينذاك على التراجع ، وعبثاً حاول نابليون ان يلتقي بهم في معركة حاسمة . كان نابليون ناجحاً في البداية في (سمولنك) و (بورودينو) ولكنه لم ينل نصراً حاسماً ، إذ أبيد جيشه عندما حل الشتاء وهو متوغل في مجاهل روسيا .

تذكر جميع قادة المانيا عام (١٩٤١) هذه المغامرة الفرنسية الفاشلة ، لذلك استهدفت كافة الحسابات والتدابير عند وضع الخطط كسر شوكة الروس نهائياً

في غرب (الدنيبر) و (دفينا) لوضع نهاية سريعة للحرب ، وكان قد أدرك جيداً بأن الحرب قد تصبح حرجة لا نهاية لها اذا تعذر إبقاء الروس في غرب هذا الخط ، لأنهم سيدأبون عند ذاك على الانسحاب نحو الشرق .

وفضلاً عن ذلك ، فان أقصى خط يمكن ان تصله خطوط التموين هو خط (الدنيبر) و (دفينا) ، اذ يمكن تموين القطعات لغاية هذا الخط بدون انقطاع؛ ولكن بعد الوصول الى هذا الخط يتحتم إجراء توقف سوقي لغرض تحسين خطوط المواصلات ، لذلك كانت الخطة بالنسبة للفرق المدرعة هي الاختراق سريعاً باتجاه الشرق ، على ان تعقبها في التقدم جيوش المشاة ، ويكون بين الدروع والمشاة اتصال وثيق ، على ان يجري تطويق الروس اينما صودفوا لقطع خط تراجعهم نحو الشرق . ليس في الامكان تطبيق هذه الخطة بنجاح ، الا اذا بقي الروس في مواضعهم غرب (الدنيبر) لا بل ينبغي وجود القسم الاعظم من الجيش الروسي غرب (الدنيبر) و (الدفينا) كذلك .

ولكن كيف يتسنى النجاح لهذه الخطة ، والجيش الروسي الذي يبلغ تعداده الملايين لما يتم نفيره حتى الآن ولما يحتشد على حدود روسيا الغربية غير جزء قليل منه .

قد يمكن التغلب على هذا الجزء القليل من الجيش الاحمر المحتشد غرب (الدنيبر) ، ولكن ليس من السهل القضاء على القسم الاعظم من الجيش الاحمر بعد انجاز تحشده .

لقد اصطرعت وجهات النظر لوضع خطة سوقية للحرب في روسيا على جبهة واسعة تمتد بين البحر الاسود وبين البلطيق .

فما هي وجهة نظر الاقتصاد السياسي ؟ لقد كان هتلر يرى في موسكو اكبر عدو للعالم ، وقد اعتبر هذه المدينة مركزاً سياسياً وفلسفياً وتجارياً وفنياً

للقوى الشيوعية . وكما كانت موسكو المركز السياسي ، فإن المصالح الاقتصادية تركزت لأسباب واضحة في القسم الروسي الخصيب الواقع جنوبي روسيا ، فهناك مقاطعة (الأوكرين) الغنية المغطاة بحقول الحبوب الممتازة ... وهناك ايضاً منطقة الارض السوداء ، كما يقع في الجنوب حوض (الدونيتز) وفيه الصناعات الروسية الثقيلة ، وأبعد من ذلك في الجنوب تلوح مرتفعات القفقاس وآبار النفط .

ولا شك في ان الخبراء الاقتصاديين الالمان أثاروا انتباه هتلر الى الثروة الضخمة في جنوب روسيا ، فاعتبر هذه المنطقة هدفاً سوقية... وقد قيل له : لا يمكن الاستمرار في الحرب ما لم يتم احتلال (الأوكرين) وحوض (الدونيتز) ونفط القفقاس !!!

إننا نعلم بأن السياسة والاقتصاد أثرا على خطة الحركات ، وهذا ما يحدث دائماً في العصر الحديث ..

فما هي وجهة النظر العسكرية ؟ لقد برزت نظريات شتى لكل منها محاسن ومساوىء ، وفي هذا الكتاب سنهتم بوجهة نظر رونشتد .

إنه لم يتصور أن مركز الثقل كان في جحفل جيشه في (الجنوب) كما تصور الكثيرون، فهو يعتقد مستوحياً اعتقاده هذا من الوجهة العسكرية البحتة، أن مركز الثقل يجب ان يكون في الشمال اي في جحفل جيش الشمال (فون ليب) ، وقد اعتبر منطقة (لنين غراد) الهدف الاول للحركات ، فالاندفاع في هذا الاتجاه يؤدي الى الاتصال بالفنلنديين الشجعان سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، كما يؤدي هذا الاندفاع الى حرمان الروس من البلطيق نهائياً .

وقد تصوّر رونشتد أن الصفحة الثانية للحركات هي القيام بهجوم رئيسي في اتجاه الجنوب الشرقي نحو موسكو .

وقد نتساءل ما جدوى هذه البحوث العسكرية البحتة ؟ إنهـا تظهر الآراء العسكرية مجردة عن التأثيرات الاقتصادية والسياسية ، تلك العوامل التي سببت في كثير من الأحيان عدم انجاز رجال الجيش ما كان في استطاعتهم انجازه ، اذ اضطرتهم مرغمين ان يكونوا آلات في ايدي السياسيين والاقتصاديين .

عُرف رونشتد بأنه من اشد خصوم المغامرة الروسية، فقد أيّد فكرة البقاء في حالة الدفاع في مواضع مستحضرة ، ولكنه أذعن باخلاص واستقامة عندما اصدرت السياسة العليا قرارها ، وكان من الواضح عنـده ان الحرب ضد روسيا حرب طويلة ، وأن صراعاً مثل هذا لا ينتهي بحرب صاعقة خلال بضعة اشهر ، بل بمرور وقت قد يطول الى سنين عديدة .

لقد كان رونشتد يمتلك معلومات ممتازة عن الشرق ، لذلك كان متأكداً من أن مثل هذا الواجب لا يمكن انجازه الا من الشمال الى الجنوب اي من (لنينغراد) الى موسكو ومن ثم الى الجنوب ، ولكن لا فائدة ترجى من هـذه الخطة مـا لم تنجز المراحل الأولى منها بنجاح ، فـاذا تبين خلال السنة الأولى بأن المغامرين توغلوا اكثر من اللزوم، فان رأي رونشتد في هذه الحالة يقضي بالكف والانسحاب الى مواضع مستحضرة بعيدة في الغرب .

كان ترتيب القطعات النهائي كما رسمته القيادة العليا كما يلي :

تشكلت ثلاثة جحافل جيوش :.

١ — جحفل جيش الجنوب : بقيادة فون رونشتد ورئيس هيئة ركنه اللواء المشاة فون (سودنستيرن) ، وهو مؤلف من حوالي خمس فرق مدرعة وثلاث فرق آلية وخمس وثلاثين فرقة مشاة ، وقد بلغ المجموع العام للعجلات المدرعة في هذه القوة حوالي (٦٠٠) عجلة .

كان العدو متفوقاً بقواته المدرعة تفوقاً لا يستهان بـــه ، اذ تبلغ عجلاته

المدرعة حوالي (٢٠٠٠) عجلة حسب تقدير الالمان ، غير أنها كانت من طراز قديم .

وكان هـــدف رونشتد السوقي هو خط (أوديسا) – (كييف) ومن ثم منطقة (الدونيتز) وأخيراً القفقاس ، وكان جناحه الأيمن مستنداً الى الحافـة الشمالية لجبال الكربات الغربيـــة غرب (برزميسل) ، وكان جناحه الأيسر مستنداً الى (البك) في مقاطعة (كلودوا) في الحافـة الجنوبية الغربية لمنطقة (بربيت) ، وكان الجيش السابع بقيادة فون (ستول بناكل) يؤلف الجنــاح الأيمن لجحفل الجيش ، وكان الجيش السادس بقيـــادة فون (روشناو) يؤلف الجناح الأيسر لجحفل الجيش ، وكان الجحفل المدرع الأول بقيادة فون (كليست) .

٢ – جحفل جيش المركز بقيادة المشير فون (بوك) ورئيس هيئـة ركنه اللواء فون (كريفن برك) ، وكان هذا الجحفل مركز الثقل ، لهـذا كان يضم حوالي خمسين فرقة من ضمنها تسع فرق مدرعة وسبع فرق آليـــة ؛ وكانت الفرق المدرعة والآلية مقسومة الى جحفلين مدرعين : الجحفل الثـــاني بقيادة (كودريان) ، والجحفل الثالث بقيـادة (هوث) ، وكانت موسكو الهدف السوقي لهذا الجحفل .

كان جحفل جيش المركز مؤلفـاً من جيشين بالاضافة الى الدروع : الجيش الرابع بقيـادة فون (كلوكا) في اليمين ، والجيش التاسع بقيـادة (ستروس) في اليسار .

٣ – جحفل جيش الشمال بقيادة المشير فون (ليب) ورئيس هيئـة ركنه اللواء (برنيك) ، وكان يضم الجحفل المدرع الرابع بقيـادة (هوبنر) وثلاث فرق مدرعة وثلاث فرق آلية ، فيكون بمجموع فرق هذا الجحفل ثلاثين فرقة ، وقد كانت قوة العدو في منطقة هذا الجحفل متكافئة تقريباً مع القوات الالمانية

وكان الجيش السادس عشر بقيادة (بوج) في اليمين ، والجيش الثـامن عشر بقيادة (كوهلر) في اليسار ، وكانت (لنين غراد) والى جنوبها الهدف السوقي لهذا الجحفل .

يتضح من ذلك أن الجيش الالماني في الجبهة الشرقيـة جرت تعبيته جنباً الى جنب على شكل كردوس ضخم يمتد من الكربات حتى البلطيق .

يبدو عدد الفرق التي ذكرناها كبيراً جداً في هذه الأيام ، ولكن ينبغي ان نتذكر أن مائة فرقة في سنة (١٩٤١) لم تكن شيئاً كثيراً جـداً ضد عدو كالروس تعوّدوا ان تكون الملايين تعداداً لجنودهم !!...

تختلف الفكرة العددية في الشرق كل الاختلاف عما هي عليه في الغرب الذي ألف الأعداد الصغيرة نسبياً .

كانت قطعات حليفة من رومانيـا بقيادة رئيس دولة رومانيـا المشير (انطونيسكو) في جنوب جحفل رونشتد ، وكان مع هذه القطعـات الجيش الالماني الحادي عشر بقيادة فون (اسكوبرت)، غير ان هذه القطعات الرومانية والالمانية لم توضع تحت قيادة فون رونشتد المباشرة تقديراً لأنطونيسكو .

لقد علمتنا جميع الحروب ما ينتشر بين الأحلاف من نفرة قومية وما تحتاجه إدارة العلاقات بين الأحلاف من حكمة وسداد .

كانت رومانيا في الشرق حليفة مهمة ، وكان المشير انطونيسكو الرئيس الأعلى للدولة الرومانية ، وقد جرى الاتفـاق بين برلين وبخارست على ان يتولى انطونيسكو في أقصى الجنوب من الجبهة الشرقية قيادة مستقلة ، ولكنه يكون خاضعاً لوصايا رونشتد السوقية .

كانت القطعات التـالية تحت تصرف رونشتد في بداية الحرب ضد روسيا :

الجيشان السابع والسادس والجحفل المدرع الاول ؛ كما كانت القطعات الايطالية التالية تحت قيادته : الفيلق الايطالي الثالث بقيـادة اللواء (ميس) مع فرقتين مشاة والفرقة الخفيفة ، كما كان تحت قيادته من الهنكاريين فيلق هنكاري ، ومن السلوفاكيين الفرقة السلوفاكية الآلية ، ومن الكرواتيين كتيبة واحدة .

كما توحدت في أقصى الجنوب قيـادة الجيش الالماني الحادي عشر والجيوش الرومانية تحت لواء المشير فون رونشتد .

لم يكن بوسع أي قائد الماني آخر حل هذه المعضلة النفسية لكل هذه الأمم أحسن ممـا فعل رونشتد ، الرجل العالمي الذي يمتلك سجايا عالمية من الحكمة وفهماً عظيماً لادارة الأمم ، ونذكر على سبيل المثـال : أنه كان من الضروري عدم اختلاط القطعات الرومانية بالقطعات الهنكارية ، لأن هذين الشعبين كانا حينذاك متناحرين .

كان جناحا جحفل جيش الجنوب مكشوفين، وقد سبق لرونشتد قبل بداية الحرب ان أشار الى خطورة ذلك .

وكان على الجيش السابع في الجنوب ان يتقدم مخترقاً (غاليسيا) متجهاً من الغرب الى الشرق ، غير أنه كان هناك ما لا يقل عن خمس وعشرين فرقة روسية في أقصى الجنوب على حدود الكربات في الغرب من هنكاريا ، فمـا الذي ستعمله هذه الفرق الروسية ؟؟

لقد كان على رونشتد ان يفترض بأن هذه الفرق ستقوم بالهجوم على جناحه الأيمن عندما يتقدم من الجبال متجهاً نحو الشمال ، لذلك طلب توحيد القيـادة في رومانيـا ، كما طلب قوات اكثر في جنوب قاطعه لكي يعمل على تطويق هذه القطعات الروسية . وقد علمنا أن الجيش الالماني الحادي عشر كان في رومانيـا للتعاون مع الرومانيين ، ولكن ارتباط هذه القوات برونشتد كان واهناً الى

درجة لأسباب سياسية .

اقترح رونشتد على القيادة العليـــا استخدام قطعات قوية لا سيا من الفرق الجبليــة في الكربات ضد تلك الخمس والعشرين فرقة الروسية ، ولكن رفض اقتراحه ، لذلك أصدر المشير رسالة برقية كاذبة لتضليل الروس ، وربمـــا كان لهذا العمل التضليلي أثر فعال في انسحاب القطعـات الروسية نحـو الشرق بصورة غير متوقعة .

تقع منطقة مستنقعات (روكنتو) في شمال جحفل جيش الجنوب وتدعى هذه المنطقة ايضاً باسم منطقة (بربيت)،وتمتد هذه المنطقة شرق نهر (البك) بين منبعه و (بريست ليتوفسك) والى (الدنيبر) على كلا جانبي (كييف)والى الخلف منها. ان مساحة هذه المنطقة بقدر مساحة (بافاريا) على وجه التقريب، وكان عرضها من الغرب الى الشرق ثلاثمائة ميل تقريباً .

وكان الاعتقاد السائد قبل سنة (١٩١٤) بأنه من المستبعد قيـــام قطعات غربية بحركات واسعة في هذه المنطقة ، لأنهـا مغطاة بالغابات والمستنقعات التي لا تستطيع القطعات عبورها،مما ادى الى ابعاد هذه المنطقة من خطط الحركات لأنها تعتبر بحق عارضاً طبيعياً لحماية الجناح .

ولكن هذه المعلومات الناقصة بالجغرافيا العسكرية ، ظهر بطلانها في الحرب العالمية الاولى،اذ تحرك وقاتل كل من القطعات الألمانية والروسية في هذه المنطقة سنة (١٩١٥) وما بعـدها ، وهكذا فان الجبهة كانت تمتـــد من الشمال الى الجنوب مارة من وسط المستنقعات ، ولم يكن في هذه المنطقة اراض منخفضـة تعرقل المرور فحسب ، بل كانت فيها غابات عظيمة وأنهار تجري الى(البربيت) من كلا الجانبين يسكنها عدد قليل من السكان ، ولا يوجد فيها غير بضعة أمكنة صغيرة انشأت بمواد بسيطة رديئة حتى بالقياس الى المستوى الروسي .

وكان يتحرك قطار رديء من (بريست ليتوفسك) الى كومـــل) ومن (كومل) الى (كييف) ، كما كان يتحرك قطار آخر من الشمال الى الجنوب من (برانوويس) مخترقاً (لوميز) حتى (راونوا) ، وكانت هذه الوسائط تافهـة للغاية بالنسبة الى منطقة مساحتها ثلاثون ألف ميل مربع .

أما شبكـة الطرق ، فلم تكن اقل رداءة من ذلك ، كما كانت اغلب جسور الأنهار من الخشب ، لذلك فانها غير قابلة لمرور الدروع والعجلات الثقيلة .

وكان هناك كثير من السهول المليئة بالمستنقعات لا سيما بالقرب من الميـاه ، وكانت الى جانب ذلك مساحات شاسعة من الأراضي الخاليـة من المستنقعات والغابات .

كل ذلك يؤدي الى عرقلة الحركات السريعة ، ومع هذا،لم تكن هذه بالنسبة للقطعات الروسية موانع خطيرة ، لأن من السهل عليهم عبورها من اي مكان بفيلق كامل ، ويمكن اعتبارها منطقة دفاعية ممتـازة للروس يستطيعون ان يشنوا منها هجوماً على جناح القطعات المتقدمة نحو الشرق من أي اتجاه يريدونه وفي الحرب الروسية البولندية عام (١٩٢٠) ، اجتاز الروس والبولنديون هذه المنطقة من جميع الجهات حيناً بعد حين .

كان رونشتد يعرف ما يجاور هذه المنطقـة منذ الحرب العالميـــة الاولى ؛ لذلك لفت انتباه القيادة الالمانية العليا الى امكان مرور قطعات لا يستهان بهـا من هذه المنطقة دون ان تقدر القيادة الألمانية العليا هذه اللفتة ما تستحقه،فنتج عن ذلك مهاجمة الجيش السادس الالماني الذي كان جنـاح جيش رونشتد الايسر بقوات روسية قوية بعد خروجه من هذه المنطقة وتعويقه هناك مدة طويلة .

ليس في الامكان وصف الحركات السيارة المتقلبة بأسهاب هنا، بل سنكتفي بسرد الحوادث الرئيسية باختصار .

نشبت في الايام القليلة الأولى التي اعقبت اجتياز الحدود الفاصلة معـــارك شديدة في نقاط منعزلة فقط ، وبصورة عامة كانت الحركات سريعة ، ولم تكن المقاومات الروسية شديدة كما توقعنا ، وقد ايد ذلك مـا قدره رونشتد من ان الروس لم يكونوا متهيئين للقيام بهجوم سنة (١٩٤١) .

هنـاك دلائل كثيرة من ضمنهـا البرقيات المسترقة اثبتت لكلا الجحفلين الشماليين بأن الروس في الايام الأولى اخذوا على غرة ، ولكن سرعان مـا تبدل الموقف ، فازدادت ضراوة القتال على طول الجبهة من اسبوع لآخر .

لقد تبين أن قلق رونشتد على جنوبه كان في غير محله ، فقد تراجعت الفرق الروسية الخمس والعشرون من الكربات باتجاه الشرق بـــدلاً من أن تنقض على الجناح الجنوبي لجحفل الجيش ، ممـا أثار دهشة رونشتد واعتبر الانسحاب شيئاً شبيهاً بالمعجزات .

واشتد القتال عنفاً في جبهة الجيش الالماني السادس الذي كان في اليسار والذي كان عليه أن يندفع الى الأمـــام جنوب مستنقعات (بربيت) متجهاً نحو (كييف) ، فهاجمته القطعات الروسية بشدة متزايدة يوماً بعد يوم من الشمال أثناء حركته هذه ، لذلك اضطر دائمـــاً الى أن يزجّ بقطعات قوية ، وبذلك أصبح جناحه الأيسر يطول ويضعف باستمرار ، مما أدى الى تضعضع قوة اندفاعه نحو الشرق ، وأخيراً بقي جيش رونشتد متوقفاً زمناً طويلاً في الحافة الجنوبية من (البربيت) .

ولكي نجعل الحوادث أكثر وضوحاً ، ينبغي أن نذكر بأن الجناح الأيمـــن للجيش الرابع الذي كان بقيادة فون (كلوكا) أي الجيش الأيمـــن من جيوش جحفل الجيش المركزي قـــد نجح من غير شك في تقدم القطعات من خلال مستنقعات (كنتو) ، ولكن هذه القطعات كانت ضعيفة .

لقد كانت فرقة الخيالة الالمانية أول من جاس بحرية في خلال هذه المنطقة ، ولكن قوتها كانت غير كافية ، فسحبت ثانية بعد بضعة أيام باتجاه الشمال على طريق (برست ليتوفيسك) – (برانويس) العام ، ودفع الجيش الرابع بدلاً عن هذه الكتيبة فيلق مشاة مؤلف من فرقتين في البداية ثم أضيفت اليه فرقة أخرى فأصبح مؤلفاً من ثلاث فرق ، فقد دفع هذا الفيلق للتخلل من بين هذه المنطقة الواسعة مجتازاً (منسك) الى (كومل) و (موستير) ، إلا أن الخريطة تظهر أن ثلاث فرق لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لهذه الامتدادات الشاسعة من البلاد ، غير أن هذا الاندفاع الالماني لم يزعج الروس في الحافة الجنوبية لمنطقة الغابة ، لأن المسافة بين الفيلق الالماني المذكور وبين قوات الروس كانت بعيدة جداً ، كما أن نهر (بربيت) كان يفصل بين الجانبين .

وصلت الوحدات الأمامية لجحفل جيش الجنوب منطقة غرب (كييف) في منتصف تموز عام (١٩٤١) ، وفي بداية آب اندحر الروس اندحاراً حاسماً في معركة (أومان) وقد بلغت خسائرهم من الأسرى فقط مائة ألف جندي .

وقد تمكن الجيش الحادي عشر الالماني والجيوش الرومانية في جنوب جحفل جيش رونشتد من الاستيلاء على (بسرابيا) وأحاطت بـ (أوديسا) التي سقطت بيد القطعات الحليفة في منتصف تشرين الاول .

كان العدو لا ينفك يناضل للاحتفاظ ببضعة رؤوس جسور على الضفاف الغربية ، بيد أن (دنيبروتبروفسك) وهو أهمها أمكن احتلاله في نهاية آب .

تلت هذه الأحداث معركة (كييف) الكبرى التي تعاونت فيها أقسام من جحفلي جيشي الجنوب والمركز ، اذ نجحا في تطويق أربعة جيوش روسية ، وقد استمرت هذه المعركة الكبرى حتى نهاية أيلول (سبتمبر) وفيها استطاع جحفل جيش الجنوب أسر أكثر من ستمائة ألف أسير روسي، وبعد قتال عنيف تم احتلال مدينة (كييف) يوم ١٩ تشرين الثاني .

كان الروس قد زرعوا ألغاماً كثيرة في المدينة ، فاستمرت القنابل الموقوتة في الانفجار زمناً طويلاً بعد سقوط (كييف) بيد الألمان، وقد تكبدت القوات الألمانية خسائر بالغة من جراء ذلك ...

وما كادت هذه المعركة تبلغ نهايتها حتى واصل رونشتد هجومه على (دنيبر) الاسفل الذي عبرته القطعات من نقاط كثيرة .

وفي معركة أخرى شمال بحر (آزوف) التي نشبت خلال النصف الأول من شهر تشرين الأول ، تمّ تطويق قوات روسية كبيرة وأسر مائة الف منها ، وفي ٢٥ تشرين أول أو حوالي هـــذا التأريخ استولت قطعات رونشتد على مدينة (خاركوف) المهمة واحتلت منطقة (الدونيتز) التي كانت حيوية جـداً للمجهود الحربي الروسي، والى الجنوب منهذه المنطقة احتل اللواء فون (مانشتاين) الذي أصبح قائـد الجيش الحادي عشر بعـــد وفاة اللواء (سجوبيرت) بالاشتراك مع القطعات الرومانية مداخل شبه جزيرة (القرم) بالقرب من (برى كوب) واستولى على (سمربول) في بداية تشرينالثاني وكان يقترب من قلعة (سواستبول) المهمة التي كان قد أكمل استحضاراته لتطويقها .

ومع ذلك اضطرت القوات الالمانية الى إخلاء شبه جزيرة (الكرج) ومدينة (روستوف) بعد قتـــال عنيف ضد قوات روسية متفوقة تفوقاً ساحقاً قامت بشن هجمات مقابلة .

ولكن ينبغي ألا نفكر في أن الحركات جرت دون حدوث أي مشاكل في منطقة رونشتد، فقد كان هناك تضارب شديد في الرأي بين هتلر والقادة الكبار لجحافل الجيوش الالمانية الثلاثة على الجبهة الشرقية كلها بين بحر (آزوف) وبحر البلطيق؛ غير أن هذا الاختلاف ليس غريباً ، لأن الاختلافات لا يمكن اجتنابها في مجال يحتمل وجهـات نظر عديدة كالقضايا السوقية ، ومثل هـــذه الآراء

المتضاربة لا مفرّ منها في جميع الحروب ، لأن القيادة ليست نظاماً حسابياً يخضع لقواعد ثابتة، ولكنها تخضع – مع الأسف – الى حد كبير لما تمليه الفطرة السليمة .

كان هناك تعاون وثيق بين جحافل الجيوش الثلاثة خلال الحركات الواسعة، لذلك فان معالجة كل قاطع على حدة يؤدي الى إعطاء صورة خاطئة : مثلاً ، بقي جحفل جيش المركز عاطلاً خلال أهم الاشهر من تموز الى ايلول ، ولم يكن ذلك لصعوبات التموين فحسب ، ولكن لاختلاف الآراء حول تقدمه الى مدى أبعد ، فقد ظهر رأي يحبذ التقدم نحو موسكو بينما ظهر رأي آخر يحبذ نقل مركز الثقل الى رونشتد في الجنوب .

ضاع وقت طويل قبل ابتداء الشتاء، وخلال تلك الأشهر، كان على رونشتد ان يحرك بضع فرق في اتجاه الشمال الى الجيش الثاني من جحفل جيشه بعد ان استقر الرأي اخيراً على الهجوم بمركز الثقل على موسكو التي كان الهجوم عليها من واجبات جحفل جيش المركز .

ولم يكن رونشتد يتفق وأوامر القيادة العليا التي كانت تطلب اليه الهجوم على (كريسك) في الشمال و (بولتافا) في الشمال الشرقي و (روستوف) في الجنوب ، لأن ذلك يؤدي الى تشتيت قطعاته، إذ تنشطر من المركز الى اتجاهات ثلاثة .

لقد أراد هتلر الكثير في التو والساعة، إذ أراد إحراز انتصارات عسكرية، وأراد السيطرة على المناطق الصناعية الهامة ، ولا يمكن دائماً الجمع بين هذين المطلبين .

حدث النزاع الاول بين رونشتد وبين هتلر في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤١) ، فقد تعرضت فرق فون (كليست) المدرعة لهجمات روسية مقابلة في منطقة (روستوف) كما ذكرنا آنفاً ، وكان الشتاء الروسي على الابواب،

فلفت رونشتد الانظار بصراحتـه المعهودة الى خطورة الموقف في (الدونيتز) طالباً اجراء انسحاب اختياري وتقصير الجبهة بالتراجع الى وراء نهر (ميوس)، ثم قدم تقريراً لهتلر أخبره فيـه : بأنه إن كان يرى غير رأيه ، فعليه ان يفتش عن قائد عام آخر !

ان اختلاف الرأي أدى الى استقالة رونشتد .

أصيب رونشتد بنوبة قلبية حين كان يسير في شارع (بولتـافا) في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) ، ومنذ ذلك اليوم ابتدأ مرضه ، وفي يوم ١٢ كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤١) غادر الجبهة الشرقية عائداً الى حياته المدنية في (كاسل) ، فاختير المشير فون (ريشناو) خلفاً وقتياً له، وقد وصف اللواء فون (سودنستيرن) الحصيف الماهر المهيب كثيراً الذي كان رئيساً لهيئة ركن جحفل الجنوب وقتذاك الحوادث التي أفضت الى استقالة رونشتد بما يلي: «عارض جحفل جيش الجنوب بكل قواه خلال شهري تشرين الاول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) تقدم دروع (كليست) نحو (روستوف) على(الدون) كما أمر هتلر ، وكالعادة كثر الأخذ والرد في البرقيات ومخابرات هاتفية لا تحصى ، وقد كلمت شخصياً (كايتل) هاتفيـاً مرات عديدة انصياعاً لأمر القائد العـام ، فوجدته غير مرتاب في قسوة شتاء روسيا ، لكنه كان جاهلاً بالظروف السائدة في الجبهة ، مقتنعاً بقابلية القطعات على إنجاز واجباتها ، وفوق هـذا أبان بثقة افكاراً تعبوية وسوقية غريبة !!!

« وكما هو معروف ، فقد جرى التقدم نحو (روستوف) ، ولكن النتيجة كانت وفقاً لما تنبأ به جحفل الجيش بالضبط ، فبعد نجـاح اولي عظيم ادى الى احتلال (روستوف) ، نقل الروس قوات قوية وزجوا بها في هجوم مقابل ضد الجناح الشمالي المكشوف لهذا التقدم الذي لا غـاية له ، وبذلك عرّضوا الالمـان الذين اقتحموا (روستوف) لخطر قطع خط الرجعة والانعزال .

« في هذا الوقت بدأ النزاع بين رونشتد وهيئة ركنه من جهة وبين مقر هتلر من جهة ثانية حول الوقت المناسب لانسحاب هذه الوحدات التي زج بها الى الامام على غير هدى وبصيرة ... ثم تتالت التقارير والاتصالات البرقية والهاتفية دون جدوى .

« وفي احدى أماسي تشرين الثاني (نوفمبر) الأخيرة، سطّر رونشتد بخط يده جملة في التقرير اليومي المحتوي على مقترحات اخرى ملحة بسحب قطعات (روستوف) ، تفيد بما يلي : أرجو ملتمساً ان أستبدل بقائد آخر يتمتع بالثقة الضرورية من القيادة العليا ! والواقع ان المشير فون (كليست) قائد الدروع أفصح عن موافقته حينذاك على انسحاب هذه القوات الى ما وراء جبهة (ميوس) .

« وعندما قلت لرونشتد وانا قلق أن هتلر قد يوافق على هذا الالتماس لوجود هذا الجو المتوتر ، أصرّ المشير على التمسك بقراره بوجوب بقاء الفقرة التي أدرجها في التقرير .

« وفي الساعة الواحدة صباحاً جاءت الموافقة بإعفائه من قيادته وإناطة قيادة جحفل جيشه موقتاً بالمشير فون (رشناو) ، ولكن (رشناو) أفاد هاتفياً ظهر اليوم التالي بأنه لا مقترحات لديه يقدمها حول الاستمرار في الحركات غير ما قدم سلفه ، ثم استلم الموافقة على انسحاب قطعات (روستوف) الى جبهة (ميوس) .

« وبعد بضعة ايام ، وأعتقد أن ذلك كان يوم ٣/كانون الاول (ديسمبر) طار هتلر الى مقر (كليست) في تاكان روك) ، وفي طريق عودته اضطره الجو الرديء الى الهبوط ، فأمضى ليلته في (بولتافا) حيث كان مقر جحفل الجيش.. وفي الساعة الخامسة او الخامسة والنصف مساء شرحت الموقف لهتلر فانتهزت الفرصة لوصف الحوادث التي تتابعت خلال الأسابيع المنصرمة بصراحة تامة ،

وخلال إفاضتي في الحديث تطرقت الى مخابراتي الهاتفيـة المختلفة مع (كايتل) تلك التي أجريتها تنفيذاً لأوامر القائد العام ، كما تطرقت ايضاً الى التماس ملحف أرسلته برقياً الى (جودل) .

« بهت المستمعون جميعاً بمـا فيهم (رشناو) ورئيس شعبة الحركات لجحفل الجيش و (شمندل) و (أنكل) وآخرون من بطانة هتلر، فرد هتلر بالكلمات التالية : « ثق ايها القائد اني غضبان وآسف إذ لم أحط علماً بالحوادث التي ذكرتها من أي احـد كان » . فكان جوابي على ذلك : اني واثق تماماً يا زعيمي بأنك لم تسمع اي شيء عن ذلك ... ثم استطرد هتلر : أين المشير فون رونشتد ؟ وكان هذا ينتظر في غرفة اخرى وفقاً للوصايا . وفي تلك الغرفة عاد الوئام من بعـد الخصام ، وقد وصف لي رونشتد هذا المشهد بعد انتهائه مباشرة : إذ برأ هتلر نفسه متعللاً بعدم الالمام بالحقائق ، ورجا المشير بأن يعتني بصحته لكي يستردها بعد إجازة مرضية ولكي يضع خدمـاته الممتازة تحت تصرفه (تصرف هتلر) مرة اخرى » ...

وفي يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) أقل رونشتد بين الحسرات قطار خاص يصحبه حرس شرف ، بينما كانت الأجواق الموسيقية تعزف ، كما حضر لتوديعه جميـع الضباط الذين كانوا في (بولتافا) .

لقـد كان رونشتد مصيباً في تقديره للموقف بالقرب من (روستوف) ، وفي سنتي (١٩٤١ — ١٩٤٢) كانت جبهة (ميوس) التي اقترحها إحـدى القواطع القليلة التي صمدت للهجمات الروسية .

وكثيراً ما تحدث رونشتد عن حوادث هذه الفترة ، وفـيما يلي إحداهن بكلماته الخاصة :

« لقد فعلنا بعد احتلال الأوكرين كل مـا في وسعنا لأعادة الكنائس الى الأهلين ، وكانت هذه الكنائس قبل ذلك في أكثر الأنحاء قـد أزال عنها

الشيوعيون قدسيتها فأصبحت متاحف للفنون لا معابد لله ، وسرعان ما اخرج الأهلون إيقوناتهم وزخارف الكنائس التي كانوا قد أخفوها عن أعين الروس وأعادوا العبادة اليها . ولقد اعتدت وقتئذ أن احضر كنيسة (بولتافا) الصغيرة التي اقام سنة (١٧٠٩) بطرس الأكبر صلاة شكر فيها لانتصاره على (جارلس) السابع عاهل السويد .

« ولقد اعتدت دائماً في الشرق على التجول (اعزل كما هو شأني في الجبهة الغربية) ولم يكن ليرافقني غير ضابط الخفر الرئيس فون (سلفياتي) ، فلم يزعجني أحد ... كما هفت قلوب سكان الأوكرين نحونا معاشر العسكريين .

« كادت منطقتي تكون خلواً من الحزبيين الذين ينسبون الى حزب النازي حينذاك ، وقد نظر السكان الينا نظرتهم الى محرريهم ... وفي ذات مرة عندما كنت أسير في شوارع (أومان) انحنت أمامي فجأة امرأة ترتدي اسمالاً وقبلت معطفي ، وقد اجابتني عن تساؤلي الذاهل : عما تريده ؟ : ان لها فتاة بلغت الخامسة عشرة من العمر احبت ضابطاً المانياً حباً جعلها تترك والدتها وتذهب معه ، وان وحدة ضابط الصف هذا في مكان قصي شرقاً ! لقد التمستني تلك الوالدة أن اعيد اليها ابنتها ، ولم يكن مطلبها يسيراً في منطقة واسعة تضم عدداً كبيراً من الجيوش ، كما أن هذه المرأة لم تكن تعرف الوحدة المقصودة ، ولكنني طلبت إجراء تحقيقات فورية في جميع الجيوش ؛ والواقع ان الانضباط العسكري [1] التابعين للقيادة تمكنوا من العثور عليها فأعادوها سالمة الى والدتها .

« كانت هذه الام امرأة متعلمة تعليماً جامعياً حاملة لقب دكتور ، وعندما استقلت في كانون الأول (ديسمبر) وغادرت (أومان) احضرت لي تلك الفتاة

---

(١) الانضباط : هم الشرطة العسكرية ، وكلمة : الانضباط العسكري اصطلاح يطلق على صنف الشرطة العسكرية (M. P) في العراق .

(المعرب)

طاقات من الورد الى المحطة ، كما أن والدتها أهدت اليّ غطاء مائـــدة اوكراني طرزته بنفسها » .

كان في اوكرانيا صعوبات عظيمة تعرقل التنقل ، فقد كانت الطرق الروسية باستثناء عدد قليل منها رديئة جـــداً ، وفي اوكرانيا كانت الأرض السوداء الخصبة ذات تربة رخوة عميقة ، تغدو في موسم الأمطار مواحل بعيدة الغور ، وكانت العجلات ترتطم عميقاً في الوحل ، وحتى العجلات المسرفة [١] لم يكن في استطاعتها شق طريقها إلا بعد جهد واستهلاك زائد للوقود .

وفي صيف سنة (١٩٤١) دعـــا هتلر موسليني لزيارة الجبهة الشرقية معاً ، وقد فتش رئيس الدولة الايطالية القاطع المركزي (لبريست لتوفيسك) ، ومن ثم اتجه جنوباً نحو رونشتد ؛ وهنا أراد هتلر وموسليني بطبيعة الحـــال زيارة الفيلق الايطالي الذي كان يقاتل ضمن جحفل جيش الجنوب ، لذلـــك سافر الدكتاتوران مع بطانتيهما وبصحبتهما رونشتد الى الجبهة . ولقد هطل حينذاك مطر غزير لم يـــدم هطوله طويلاً احال الطرق التي كان عليهم اجتيازها الى مستنقعات ، فلم تتمكن السيارات أن تقطع غير عشرين ميلاً خلال ثماني ساعات ، إذ كانت السيارات تغطس في الاوحال التي كانت تبلغ الركب بصورة تزداد سوءاً كلما استمروا في التقدم .

لقـــد توقفت الفرق الايطالية حسب الأصول عن الفرق الالمانية ، اذ كان تقدمها بطيئاً جداً وفي فترات طويلة .

اجتاز موسليني وهتلر ورونشتد هـــذه القطعات ، وحصل الرئيسان على فكرة جلية عن حقيقة الجبهة الشرقية ، وأدركا أن اصدار الأوامر الخلابـــة من

---

(١) العجلات المسرفة : هي الدبابات التي حول عجلاتها سلسلة حديدية . وهـــذه السلسلة الحديدية يطلق عليها في العراق : سرفة .

الخرائط على بعد شاسع في الخلف لاجراء تقدم سريع أسهل بكثير من تنفيذها في الجبهة في خضم من الاوحال والامواه .

تأثر هتلر تأثراً عميقاً كما تـأثر موسليني بذلك ، فقال هتلر لموسليني : ههنا نشاهد مستنقعات بلادك في منطقة (بونتين) » ...

لهذا السبب ولأن هتلر كان دائماً يعارض في أي شكل من اشكال الانسحاب ، فقد اقتنع بأنه لا يجوز أبداً التفكير في مثـل مقترحات رونشتد الانقلابية ، ولكن كان من المستحيل الاستيلاء نهائياً على بـلاد مترامية الأطراف كروسيا خلال شهور قليلة دون الاكتراث بالمسافات وبمصاعب المواصلات وبالشتاء الخ .

وعندما تعذر قهر هـذه البلاد الشاسعة في سنة (١٩٤١) ، لم يبق هناك مسلك غير الانسحاب الى مواضع جيدة قـوية لاستئناف الحركات من جديد في سنة (١٩٤٢) والبحث بالوسائل السياسية عن مخرج من هذه المحنة .

كانت المساحات الشاسعة والمسافات المترامية والمواصلات الرديئـة والشتاء القارص افضل حلفاء روسيا .

ومن المهم الا يغيب عن البال بـأن الجيش الالماني عام (١٩٤١) كان لا يزال مؤلفاً من فرق مشاة محضة بصورة رئيسية ، اي فرق من الطراز القـديم ، تلك الفرق التي كان على رجالها التنقل مشياً على الأقدام ، وكانت الفرق الآلية تؤلف جزءاً صغيراً من المجموع العام ، غير ان قطع هـذه المسافة مشياً على الأقدام من (بريست لتوفيسك) الى موسكو مصحوباً بالقتال يوماً بعـد يوم يجعل الوصول امراً متعذراً .

لقد ادرك حلفاء المحور لا سيما الايطاليون والهنكاريون هذا الموقف بصورة جلية ، واوضحوه لحكوماتهم في روما وبودابست ، وكان التفاهم مـع رومانيا ايسر من التفاهم مـع الحلفاء الآخرين ، لأنهم يعرفون مشاكل الطرق في الشرق

لقرب الشبه بينها وبين طرقهم خاصة وان انطونيسكو نفسه كان رئيساً للدولة الرومانية .

ويمكن اثبات مـدى تفاهة إدراك هتلر وبعض الدوائر الصناعية للموقف العسكري ، من إلحاق هتلر بالوحدات المقاتلة الألمانية سنة (١٩٤١) مـا دعي : بـ (الويـة الزيت) وهي مفارز فنية خاصة غرضها استثمار اول منطقة للنفط ، وهكذا كان حسابهم بأن الجيش قـد ينجح في الفترة بين ٢٢/حزيران وبداية الشتاء في الوصول الى (باكو) في قفقاسيا الشرقية !!.

لقد كان ذلك مطلباً صعباً ...

وبقي رونشتد في (كاسل) حتى رجـاه هتلر ان يعود الى استلام القيادة في الجبهة الغربية .

٨

العودُ إلى الغرب

أعاد هتلر تعيين رونشتد قائداً عاماً في الغرب ، فبقي في منصبه هـذا من آذار (مارت) عام (١٩٤٢) حتى احالته على التقاعد ثانيـة في مستهل شهر تموز عام (١٩٤٤) .

لقد كانت هذه الفترة عصيبة على رونشتد ، لأن الحرب وصلت الى مرحلتها الصعبة المعقدة .

ولكي نتفهم دور رونشتد قائداً عاماً في الغرب بعد اقالتـــه من قيادته في روسيا تفهماً تاماً ، ينبغي ان أشير الى المذكرة الضافيـــة التي وضعها الفريق (زمرمان) الذي كان رئيس هيئة ركن الحركات للقـائد العام في الغرب عند استدعاء رونشتد الى منصبه الجديد .

لقد صنف الفريق (زمرمان) لرجال الجيش المتهنين تاريخاً للقيادة الغربية في سفر ضخم يحتوي (٢٣٠٠) صفحة خلال سني (١٩٤٥ – ١٩٤٨) بطلب من الشعبة الامريكية للتأريخ وبمساعدة عدد من المعاونين .

كان الفريق (زمرمان) ضابط ركن بارزاً يمتـاز بالحرص والعمل المثمر ، وكان قد أحيل على التقاعد في سنة (١٩١٨) بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ومنذ ذلك الوقت استطاع بكفاحه الشخصي وتحت ظروف شاقة ان ينشىء

دار النشر العسكرية الشهرية المسماة (اوفين ورت) وجعلها ذات سمعة ممتازة حتى سنة (١٩٣٩) .

وفي سنة (١٩٣٩) استدعي الى الخدمة ثانية عند اعلان النفير ، فأصبح رئيس ركن الحركات ، وبقي في منصبه هذا من سنة (١٩٤٠) الى مايس (١٩٤٥) ، اشغل خلالها منصب رئيس ركن الحركات للجيش الأول بقيادة فون (ويتزلبن) ، ثم رئيساً لركن الحركات للقائد العام في الغرب .

لقد كان معروفاً منذ أمد طويل في مقر القيادة الغربية العامة ، ان القائد العام سيجري تبديله قريباً ؛ اذ لم يكن المشير فون (ويتزلبن) قوي الجسم لاعتلال صحته .

وسادت فكرة في الدوائر العليا ، هي ان تدابير السلم في الغرب ينبغي ان تتطور الى تدابير حربية ، فالفترة الطويلة التي تلت الهدنة يوم ٢٥ حزيران (١٩٤٠) حتى بداية (١٩٤٢) ، افضت بطبيعة الحال الى طراز من الحياة يختلف عما هو عليه في الجبهة الشرقية .

ولا شك في وجود حالة الحرب لازدياد فعالية القوة الجوية البريطانية والمغاوير (الكوماندو) البريطانيين ، ولكن على العموم كانت الحالة سلماً حقيقياً . وبدأت المقاومة الفرنسية بالانتشار هنا وهناك،غير انها كانت بدائية !

أما في روسيا فقد تعذّر الحصول على نصر سريع كما املنا ، وبالعكس ابتدأ القادة العسكريون والسياسيون يشعرون بخطورة الحالة في الشرق وبأن الروس لم يهنوا وهناً خطيراً في الرجال او المواد .

ولقد كانت الآمال في الحصول على نصر سريع وسلم مبكر في الشرق خطأً فظيعاً ، اذ ازدادت قوة روسيا العسكرية وتضاعفت ارادتها على القتال ، ومع هذا فقد طلبوا انجاز عملية اخضاع الروس في سنة (١٩٤٢) .

وكان المفروض ان ينجز هذا الطلب بتعرضات جديدة تقوم بهـا القوات الالمانية في الجبهة الشرقية جنوباً باتجاه (الدون) والقفقاس ، ولكن هل ستبقى انكلترا متفرجـة تنتظر سحق الروس ، أم ستقوم بالانزال في الغرب والهجوم باعتبارها حليفة للروس ؟ وهل كانت الجبهة الغربية مهيـأة للدفاع ضد الانزال والهجوم .

لا بد ان هـذه الافكار دفعت هتلر ومستشاريه الى تعيين رونشتد الكفؤ المعروف بقابلياته الفائقة قائداً عامـاً للغرب ، كما عين هتلر اللواء (زيتزلر) رئيساً لهيئة أركان القائد العام في الغرب وهو ضابط معروف بابداعه واندفاعه.

وفي آذار (١٩٤٢) وصل رونشتد الى باريس،فأطلعه رئيس هيئة ركنه على الموقف العام ، فلاحظ ارتباكاً في شبكة القيادة،مما يؤدي الى ضياع المسؤولية! لذلك تحتم على هيئة الركن ان ترتب نفسها لتنسجم مع شخصية القائـد العام الجديد .

قلما كان رونشتد يتلقى تقارير رؤساء الشعب الكبيرة مباشرة ، اذ كانت له طريقته الخاصة في العمل؛ فهو يفضل العمل منفرداً يشاركه رئيس هيئة ركنه ، وكان هادئـاً للغاية ، وكان يسطر جميع القرارات بايجاز شديد ، ولم يكن يميل الى المناقشات الطويلة، وكان يحب ان يترك حرية تامة لرئيس هيئة ركنه ولضباط الركن الآخرين في تبليغ الأوامر التي يصدرها ؛ وكان يريـد التمسك المطلق بأفكاره العامة دون ان يزعج نفسه بالتفاصيل .

لقد كان رونشتد ينتمي الى مدرسة (مولتكه ــ شليفن) القديمة لهيئـة الركن ، هذه المدرسة التي تمنح هيئات الركن استقلالاً وحرية تامين في العمل .

ولما وجد رونشتد في الغرب هيئـة ركن جديدة غير معروفة ، كان من البديهي ان يجري تبدلات كبيرة فيها . وصل رئيس هيئـة الركن الجديد من

الشرق ، اذ كان حتى ذلك الوقت رئيساً لهيئة ركن جيش فون (كليست) المدرع وهو في غاية الحيوية والاندفاع . وحالما وصل المشير رونشتد الى الغرب في آذار عام (١٩٤٢) ، كشف النقاب بنفسه عن انطباعاته الاولى التي يمكن اعتبارها اساساً لدراسته للموقف كما وجده حينذاك ، وسألخص النقاط الهامة للموقف :

١ – كان القتال مريراً في الشرق وسط الثلوج والجليد ، وغالباً ما تكون درجة الحرارة تحت الصفر بما يتراوح بين (٣٥–٤١) درجة مئوية ضد عدو ضار غير هياب ، يضاف الى ذلك الشقاء من اللحن المكرر الناجم عن سعة روسيا اللانهائية وما يتركه من اثر نفسي في الجندي الاعتيادي .

اما الغرب فيسوده الهدوء ويغمره السلم والمرح في كل ناحية من نواحي الحياة ، وفيه أماكن سكنى ممتازة للقطعات ولهيئات الركن الذين يتمتعون بمسرات شتى واجازات كثيرة .

والآن شاركت امريكا في الحرب حليفة لروسيا وبريطانيا ، ومن المنتظر ان تؤثر قوتها قريباً .

٢ – كان على الفرق الالمانية في الغرب ان تكون على أهبة الاستعداد للحركة الى الجبهة الشرقية ، اذ كانت الحاجة ماسة هناك دوماً الى قطعات جديدة ، ولكن كيف يتسنى لهذه القطعات ان تعود نفسها وهي في الغرب على قسوة الحياة في الشرق .

أصدر رونشتد عدداً من الاوامر الثابتة الجديدة ، أراد بها تبديل الحالة الراهنة للقطعات ، وقد اكد بصراحة بأنه لا يلوم القطعات وهيئات الركن على نعومة الحياة في الغرب ، اذ ليس في الامكان جعلها قاسية بطرق غير طبيعية ، وهل في المقدور نقل شتاء روسيا الى ربوع باريس و (نيس) عنوة ؟

كانت المشاهد الخلابة تحيط بالقطعات من كل جانب في الغرب ، ولم يكن في الاستطاعة تبديلها .

٣ – من المهم ان نذكر بعض آراء رونشتد عن سياسة المانيا تجاه فرنسا بكلماته الخاصة : « لو ان المارشال الرشيد (بيتان) لم يعمل على ايقاف الحرب عام (١٩٤٠) لحرم هتلر فرنسا من استقلالها وجعلها محمية ، فقد بقيت حكومة فرنسية على الاقل .

« لقد كان رأيي منذ البدء وأبداً ، ان ما سمي : (اوروبا الجديدة) لن يكون عملياً بدون حكومة فرنسية مستقلة ،لذلك حاولتُ دائماً بكل امكانياتي ان اساعد المارشال (بيتان) الذي اكنّ له خالص التقدير ، كما حاولت حمل هتلر والآخرين على ان يصرحوا في النهاية تصريحاً مفاده : ان فرنسا ستحتل بعد ان تضع الحرب اوزارها المركز الذي يليق بها ؛ ولكن محاولتي هذه ذهبت ادراج الرياح .

« وفضلاً عن ذلك حاولت دائماً معاونة هذا المارشال العجوز في مجالات اخرى ، فقد حاولت مثلاً في اثناء الحرب ، ان يشرع في بناء قوة فرنسية جديدة ، وكان بعض ما دفعني الى ذلك عاطفتي نحو فرنسا ، ولكنني اردت ايضاً ان تقوم هذه القوة بمنع العصابات من الانبثاق في فرنسا ، تلك العصابات التي قد تكون عائقاً خطيراً لقطعاتي في حالة نشوب الحرب في النهاية ؛ ثم ان قيام هذه العصابات بالقتال يؤدي الى الحاق الضرر بالسكان الفرنسيين انفسهم ايضاً .

« اني اعترف بأن محاولاتي هذه منيت لسوء الحظ بالفشل لأسباب مختلفة خارجة عن طاقتي » ..

وينبغي الاشارة هنا الى ان عدداً ضخماً من التقارير والبرقيات

والمقترحات والعروض لصالح فرنسا قُدّمت الى هتلر ، وكل هذه الوثائق في حوزة الحلفاء اليوم صودرت بعد انهيار المانيا .

لقد كان ميل رونشتد الخاص نحو فرنسا منبثقاً عن شعوره اللاإرادي الصادر عن دمه الهكونوتي ، وسنرى ما فكر رونشتد بعمله وما استطاع إنجازه فعلاً على الرغم من انه جندي لا علاقة له بالسياسة .

٤ — كان موقف البحرية الالمانية في الغرب سنة (١٩٤٢) كما يلي :

اذا تكلمنا بصراحة ، فان عمل الجيش حينذاك كان مجرد مراقبة السواحل وحراسة مواضع البحرية المحصنة . ان كل شيء يحدث في البحر يعتبر حرباً بحرية ، فلا عمل للجيش الا اذا انزل العدو قطعاته في الساحل ، لذلك كانت اغلب البطريات الساحلية بما فيها تلك التي تعود للجيش ولكنها تحت سيطرة الأسطول في مواضع مغلوطة ؛ اذ كانت مكشوفة تماماً ومعبأة بشكل يشابه وضع المدافع في ابراج البواخر دون ان يكون لها تأثير مباشر على الساحل ، كما لم تكن قادرة على الرمي الا باتجاه البحر فحسب ؛ وليس في امكان هذه البطريات ان تؤمن ستر الساحل نفسه او الجبهة الامامية القريبة بالنار ، وقد سبق لرونشتد ان اقترح مرات تعديل هذه المواضع ، غير ان هتلر أبى ان يفعل شيئاً .

اصبح هتلر قائداً عاماً للقوات الالمانية الموحدة بعد تسريح القائد العام (براوشتش) في اواخر عام (١٩٤١)، وبذلك اصبح قائداً للجيش وللبحرية وللقوة الجوية ، لذلك فكثيراً ما اصدر قرارات ضد نفسه عند تقديم بعض الخدمات التماساً ما ، بيد ان البحرية والقوة الجوية كانتا لا تزالان لهما قائداهما العامان ، ولان هذين كانا قريبين من هتلر دائماً تقريباً ، فان تأثيرهما على هتلر بطبيعة الحال كان اكثر من تأثير الجيش المحروم من قائد عام .

لقد كان رأي رونشتد ان اقتراب سفن العدو من الساحل لغرض الانزال ، يجعل الحرب برية لا بحرية ، وكان يقارن ذلك بالحرب في الجبهة الشرقية قائلاً: انها لا تختلف في شيء عن الدبابات الروسية عندما تتدحرج على السهول متجهة الى مواضعنا مباشرة ، ولكن رغم ان هتلر لم يصدر قراراً جازماً كما ذكرنا حول البت في هذه المشكلة ، فان التعاون – فيما عدا ذلك – كان وثيقاً بين الجيش والقوتين البحرية والجوية .

وتردد في الاذهان السؤال الحيوي عن الغزو في الوقت الحاضر بجد واهتمام بالغين ، وكان لرونشتد جوابه الخاص عن هذا السؤال :

يمكن ان يجري الغزو في اي مكان ، ولكن اكبر الظن انه سيجري في ساحل القنال . صحيح ان الانزال هنا يؤدي الى لقاء العدو في امنع مواضعنا ، ولكن بعد نجاح الانزال سيكون الطريق اقصر للعدو واسرع ، ويؤدي بدون اعاقة الى الراين الأسفل ومنطقة الرور التي هي الهدف الواضح للحلفاء .

ولم يكن للالمان في سنة (١٩٤٢) قوات كبيرة في البلجيك او على طوار الجدار الغربي او في الراين وطبعاً كان هناك السين والنورماندي ، على الرغم من ان البحرية تعتقد ان الانزال في هاتين المنطقتين غير ملائم ، لضرورة اجرائه خلال المد العالي . ان هدف هذا الانزال هو باريس ، والذي يسيطر على باريس يسيطر على فرنسا كلها ؛ كما يمكنه منها الاستمرار في التقدم في الجناح الايمن من (ترير) عبر (آخن) من كلا الجانبين باتجاه منطقة (الرور) الى المانيا الشمالية ، وفي هذه الحالة يمكن إزالة اية حامية المانية ساحلية لا تزال صامدة في القنال بسهولة من الخلف ، كما يمكن بهذه الطريقة القضاء على قواعد (اسلحة النصر) التي كانت في طريق الانشاء .

لقد آمن هتلر بالقيمة الحاسمة للتحصينات الدائمة المشيدة من الحديد

والسمنت ، وقد اوحى اليه هذا الاعتقاد بكل الاساليب التي طبقها في الغرب، فارتاح كثيراً بانشاء الجدار الغربي على الحدود الالمانية .

وبدأ القلق يساور هتلر عن الغرب في سنة (١٩٤٢) بعد ان تعذر التغلب على الروس ، ولذلك أكب بفعـــالية متزايدة على انشاء : (جدار الأطلسي) الذي صمم على اساس تأليفه من الدفاعات الساحلية القوية نسبياً في هوينـدا من جزيرة (تسل) الى (انتويرب) ومن تحصينات تمتـــد من (اوستند) مارة خلال (كالية) و (بولون) و (دييب) و (الهافر) ، وقد تقرر اعطاء أهمية خاصة الى قاطع (اوستندوكالية – ابيفيل) ، فهنا كان القتال أضيق ما يكون وانكلترا في أقرب محل ؛ فكان هذا القاطع في رأي هتلر اكثر خطراً من ناحية الانزال من القواطع الاخرى .

صدرت الأوامر بالبدء بانشاء التحصينات في سنة (١٩٤٢) غير ان انجازاتها كانت بطيئة الى أن حل الخريف ، فعقد مؤتمر في برلين اشترك فيه ضباط ركن وضباط هندسة ومهندسون من منظمة (تود) ، وكانت هذه المنظمة مؤلفة من مدنيين فنيين نظمهم المهندس (تود) مؤسسة لانجاز التعهـدات الكبرى ، وكان لأفرادها بزاتهم الخاصة شأنها في ذلك شأن سائر المؤسسات المدنية .

ولم يكن هتلر يثق كثيراً بصنف هندسة الجيش ، فكان يعتقد ان مهندسي الجيش يشتغلون ببطء عظيم وبدقة اكثر من اللازم ، لهذا السبب كلّف منظمة (تود) ببناء جدار الاطلسي .

لقد سمح بلا شك للقـــائد العام وللجيوش المرابطة على الساحل ، ان تعين مواضع خطوط التحصينات من الناحية التعبوية ، ولكن ليس لهـا ان تقول شيئاً عن عملية الانشاءات من الناحية الفنية .

وبالطبع كان للبحرية في الدرجة الاولى وللقوة الجوية في الدرجة الثانية آراء

مختلفة اخرى ، وكثيراً ما حاق بوحدات الجيش المرابطة على الساحل عاقبة هذا الاختلاف ، وسأتحدث فيما بعـــد بشيء من الاسهاب عن جدار الاطلسي عندما سأتطرق بالبحث الى عامي (١٩٤٣ و ١٩٤٤) .

يتعذر فهم اعمال رونشتد فيالغرب عام (١٩٤٢) ، ما لم نحط علماً بالأسس التي بنى عليها اعماله . كان في الغرب عدد من القيـادات يعمل كل منها منفرداً لعدم وجود وصايا خاصة من هتلر لديها ، وكان منها ما يلي :

أ – القائد العام في الغرب (فون رونشتد) .

ب – القائد العام للاسطول الجوي الثالث (سبيرل) .

ج – القائد العام لجحفل البحرية الغربي (كرانكل) .

د – القائد العسكري في فرنسا (فون ستول بناكل) .

هـ – القائد العسكري في بلجيكا وشمال فرنسا (فون فولكنهاوسن) .

وبالاضافة الى ذلك ، كان هناك سلطة منظمة (تود) المدنيـة ، والسفارة الالمانية في باريس ، والحكومة الفرنسية في (فيشي) ؛ وكان مجموع ذلك يؤلف خليطاً كبيراً من كل ما يمكن من انواع السلطات ؛ ولتنسيق اعمال جميع المقرات لغرض الدفاع ، أصدر هتلر في ربيع (١٩٤٢) عندما وصل الى رونشتد وصايا الفوهرر الرقم (٤٠) ، لبيان الصلاحيـــات الرسمية ، ولكن لم يتحقق الغرض المنشود من هذه الوصايا الشاملة ؛ فما هو السبب ؟

أ – ليس من عادة الدكتاتوريات ، ان تمنح صلاحيات واسعة جداً لرجل واحد ؛ فالمبـدأ الأساسي لديها هو : (فرّق تَسُد) ، لذلك صيغت تلك الوصايا بطريقة أبعدت اي فرد في الغرب عن السلطة الكاملة ، وكانت العلاقات بين القادة قد حُددت بفقرات وجمل صيغت معقدة

متداخلة ، فأصبحت مهمة القيـــادة العليا صعبة جـداً إن لم تكن مستحيلة .

ب – أصبح هتلر عام (١٩٤٢) قائداً عـاماً للجيش ، وكان (كورنك) قائداً عـــاماً للقوة الجوية و (ريدر) قائداً عاماً للبحرية ثم خلفه (دونتس) ، وكان هؤلاء القــادة دائماً في تماس شديد مع هتلر ، لهذا كان في استطاعتهم التعبير عن سياساتهم ومطاليبهم بدرجة أشد تأثيراً من الجيش ، لأن هتلر نفسه كان قائداً عاماً للجيش !

نصت الوصايا الدفاعية الرقم (٤٠) للفوهرر على ما يلي :

١ – ان رونشتد القائد العام في الغرب هو صاحب السلطة التعبوية والسوقية العليا فقط ؛ واجبه : الدفاع ضد غزو السواحل ، وليس من صلاحيته إصدار الأوامر للبحرية والقوة الجوية إلا ضمن هـــذا النطاق الضيق . لهذا لم يكن في مركز يشبه مركز ايزنهاور ، ولكنه كان الأول بـــين زملائه القادة في الغرب المساوين له في سلطاتهم .

٢ – كان القائد العـــام للأسطول الجوي الثالث (سبيرل) مستقلاً استقلالاً مطلقاً وبمنزلة تعادل منزلة رونشتد ، فليس عليه ان ينفذ سوى الأوامر السوقية للدفاع عن الساحل ، امـا الحرب الجوية ضد بريطانيا والاستطلاع البعيد فوق الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت مسائل خاصة بالقوة الجوية ، ولم يكن رونشتد ليستطيع ان يصدر اوامر بشأنها للقوة الجوية .

٣ – كانت العلاقات مع جحفل البحرية الغربي مشابهة للعلاقات مـع القوة الجوية تماماً ، واكثر من ذلك كان قائدها العام معتبراً في منزلة مساوية لمنزلة قائد الجيش وقائد القوة الجوية ، ولم يكن من صلاحية القائد العـام في الغرب اصدار اوامر اليه باستثناء الأوامر التي تتعلق بالدفاع عن السواحل ، وقد كانت البحرية

لا الجيش هي التي تصدر الأوامر في الموانىء ، وكان القـــادة البحريون لمختلف شعب الموانىء بأمرة الجيش عندما تدعو الحاجة الى الدفـــاع عن السواحل فحسب . كذلك كان للبحرية بطرياتها الساحلية الخاصة وكانت قضايا رميها الفني وترتيبات احتلال مواضعها على غرار اساليب المدفعية البحرية التي تختلف عـن اساليب مدفعية الجيش . كانت البحرية ترى ان المدافع الساحلية معرضة لقصف مدافـع بوارج العـــدو ، وان المدافـع الساحلية يجب ان تقصف هي ايضاً البوارج المعادية قصفاً مباشراً ولكن البطريات الساحلية كانت بدون حمـاية على الساحل فيسهل اسكاتها سريعاً من الجو ومن البحر ، فطلبت حمايتها بتحصينات قوية من السمنت والحديد ، فكان نتيجة ذلـك انشاء مواضع ضخمة في رأس (كريس — ينز) صممت لمجابهة أشد انواع القصف .

ولكن الجيش كانت له طريقة أخرى تلائم الحرب في البر ، وذلـك بفش البطريات وعـدم وضع المدافع على خط واحد قريبة من بعضها ، بـل ترتيبها بقدمات وبفاصلات عميقة تناسب الارض ، وكانوا يستخدمون تعبية النـــار المركبة ، وكانت بطريات الجيش موضوعة بشكل تستطيع معه عند نزول العدو من ستر السواحل وجبهة البحر الأمامية التي هي أمامها على مـدى قصير ، ولم يكن ذلـك ممكناً او انه ممكن الى درجة محدودة بالنسبة الى بطريات البحرية الثقيلة ، اذ ليس بأمكان هذه البطريات إلا الرمي على مديات متوسطة وطويلة ، كل ذلك ادى كما هو واضح الى اختلافات في الآراء بين الجيش والبحرية

طلبت البحرية أن تسيطر على بطريات الساحل المنسوبة الى الجيش ، ولكن الجيش اراد ان يحتفظ بها ؛ وقـد طلب من هتلر ان يصدر قراراً للبت في ذلك فلم يفعل شيئاً ، فكانت النتيجة وجود ثلاثة انواع من المدفعية على الساحل : بطريات البحرية الساحلية في مواضع من الحديد والسمنت ، وبطريات الجيش التي هي بأمرة البحرية وكان قسم منها في مواضع من السمنت اما اكثرها فكان

في مواضع ميدان ، وأخيراً بطريات الجيش التي بقيت بإمرة الجيش وهي التي لم يتيسر لها بطبيعة الحال سوى القليل من الحديد والسمنت .

كانت نقاط إسناد (الغواصات) بحاجة الى تحصينات قوية من السمنت بسمك يتجاوز العشرة والخمس عشرة وحتى الثلاثين قدماً ، وكان ينبغي احاطة جميع مواضع البحرية والقوة الجوية المعرضة للعطب بكتل من التحصينات ، لذلك كاد ألا يبقى اي نوع من المواد لتقوية مواضع المشاة .

٤ – كان لكل من القائدين العسكريين في باريس وبروكسل مركز فريد ، فقد كانا حاكمين عسكريين ، اي انهما سلطتان محليتان ، وقد احتوت واجباتهما الشؤون الادارية للمنطقة المحتلة والعلاقات مع الحكومة الفرنسية او مع السلطات الفرنسية والبلجيكية حسب اختصاص كل منهما ، ولقد كانا وحدهما المسؤولين عن الامن الداخلي وتدابير الشرطة وكافة الشؤون السياسية ؛ كما أنهما لم يكونا مرؤوسين للقائد العام في الغرب بل انهما يخضعان مباشرة الى مقر الجيش الالماني اي لهتلر ، وفي نفس الوقت كانا يستلمان الاوامر من مدير المسيرة للجيش ومن وكلاء هتلر ، وكثيراً ما كانا يستلمان اوامر مباشرة من هتلر من اجل خدمات الشرطة التي تعمل بإمرتهم ، تلك الاوامر التي لا يعلم عنها القائد العام اي شيء في كثير من الاحيان .

لذلك فان رونشتد لم يكن ليستطيع اصدار الاوامر الى هذين القائدين عدا ما له علاقة بالدفاع السوقي عن السواحل ضد الغزاة .

لقد كان للقائدين العسكريين تشكيلاتهما الخاصة ايضاً وهي التي تتألف من مري المناطق ووكلاء آمري المناطق ومن شرطتهم الخاصة ومن قطعات الأمن الخاصة بها ، هذه التشكيلات التي كانت خارجة عن سلطة القائد العام في الغرب .

٥ – كان الساحل الهولندي يخضع لقيادة رونشتد ايضاً ، اذ كان مسؤولاً عنه سوقياً ، وفي هذه الحالة طُبق نظام يختلف عما سبق ؛ فلم يكن في هولندا قائد عسكري كما في فرنسا وبلجيكا ، ولكن هنـاك وكيل للرايخ الذي يتلقى الأوامر رأساً من هتلر، وكان فيها ايضاً قائد للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة (اللواء الطيار كرستيان سن) وهو الذي كانت بإمرته جميع القطعات المرابطة في هولندا من الجيش والبحرية والقوة الجوية ؛ ولقد كان هـذا القائد مرؤوساً للمقر العام للجيش الالماني ، أمـا للقيادة الغربية فكان مرؤوساً لهـا فيما يتعلق بالدفاعات الساحلية فقط .

٦ – كما كانت السفارة الالمانية ومنظمة (تود) المسؤولة عن انشاء تحصينات الساحل ، وكثير من السلطات الاخرى مرتبطة بسلطات الرايخ العليا دون ان ترتبط برونشتد .

٧ – وكان فيلق الصاعقة المدرع يتلقى الاوامر من القائد العام في الغرب فيما يتعلق بالاستخدام التعبوي فقط،أما في المجالات الاخرى فكان مستقلاً استقلالاً مشابهاً لاستقلال القطعات الآنفة الذكر .

٨ – وكان من أسوأ مظاهر هذا التوزيع الغريب للسلطات ، ان القيـادة العامة الغربيـة وهي السلطة المسؤولة الوحيدة عن دفاعات الساحل ، لم تكن تملك السلطة القانونية ، وكان ملحقاً بهيئـة الركن ، ولكنه كان بدون محكمة ؛ أمـا سلطة القضاء في الجيش ، فكانت تنحصر في الفرق والفيـالق ، وكانت الجيوش ذات صلاحية محكمة عليا بالنسبة لفرقها وفيالقها ؛ فكان جحفل الجيش والقيادة الغربية العامة بغير صلاحية حكم. وكان القادة العامون في جحفل الجيش والقيادة العامة الغربية مجردين من صفة القضاء ؛ وهكذا عندما تحدث ضرورة لاتخاذ اجراءات انضباطية في وحدة مرؤوسة من الجيش ، فان القيادة الغربية لا يكون لها دخل في الموضوع، لأن المسألة حينذاك تكون من اختصاص القادة

العامين للجيش فحسب .

كذلك لم يكن لرونشتد اي نفوذ على البحريـة والقوة الجويـة وقطعات الصاعقة وقوات الامن التابعة للقادة العسكريين او للقائد العام للجيش الالماني في هولندا ؛ لأن جميع هذه الوحدات والتشكيلات المنسوبة للجيش الالماني لها صلاحياتها القضائية الخاصة بها .

وفيما يلي مثال غريب لذلك : لو أن الضرورة تطلبت اتخـاذ اجراءات انضباطية في هيئـة ركن رونشتد نفسه ، لكان ذلك من اختصاص محكمة خارجة عن صلاحيته ، ولربما تطلّب الامر احالتها الى أحد القادة العسكريين؛ لهذا لم يكن بوسع رونشتد ان يمارس السلطة الانضباطية حتى على هيئة ركنه الخاصة ، فلم يكن رونشتد وهيئة ركنه باعتبارهم قيادة غربية عامة غير قيادة عليا سوقية عسكرية محضة ، وحتى هـــذا لم يكن ليتعدى نطاق الدفاع عن الساحل !

لا بد وأن يذهل الشخص الاعتيادي عندما يطّـلع على تنظيم محيّر مربك كهذا !!

لم تحظ وصايا هتلر الرقم (٤٠) بالرضا من اي احـــد ، كما ادرك الجميع قصورها ، الا أن جهود جميع القادة كانت منصرفة الى منع خطر الغزو ، فعملوا يداً واحدة لهـــذا الغرض على الرغم من حدوث بعض التنافر بينهم في بعض الأحيان ؛ وكانوا جميعاً يشعرون بفضل رونشتد الذي عمل على اجتناب التنافر والتصادم بين القادة المرؤوسين،ولعلّ أي قائد آخر لم يكن في وسعه النجاح في ظروف شاذة كهذه ، وسيتضح مـــدى الصعوبة والازعاج الكبيرين في القيادة العامة السوقية الغربية حينذاك .

كانت الأعصاب مكدودة باستمرار ومتوترة ، يضاف الى ذلـــك وجود سلطات كثيرة من نوع واحـــد ، ووجود سلطات اخرى تتلقى اوامرها من

الرايخ مباشرة ، وكثيراً مـــا تجاهلت سلطة معينة حق الصلاحيات المحدودة لرونشتد واتصلت مباشرة بمرجعها الأعلى في الرايخ ، ولربما كان هـــذا المرجع حينذاك يندفع لعرض ظلامته على هتلر الذي كان غالباً لا يصدر قراراً ولكنه يحكم بينهما كما تحكم (بينيا) راهبة أبولو .

يشمل قــاطع رونشتد الدفاعي خط الساحل التــالي : جزيرة تيسل (شمال هلدر) فلوشنك – اوستند – كاليه – بولون – دييب – الهافر – شاربورغ – سنت لو – بريست – لورنيت – لاروشيل – الحدود الاسبانية؛ وعندما وصل رونشتد الى الغرب سنة (١٩٤٢) لم يكن البحر الأبيض المتوسط قـد ادخل في خط الدفاع الالماني ، ولكنه كان ضمن منطقة الحكومة الفرنسية في (فيشي) .

وكان خط الدفاع عن بحر الشمال وحوض (دوفر) والأطلسي مقسّماً عـام (١٩٤٢) كما يلي :

أ – يدافع القائد العام للجيش الالماني في هولندا بقطعات الجيش والبحرية والقوة الجوية عن ساحل هولندا من جزيرة تيسل (داخل) حـــتى قرب (فلوشنك). وفي شمال المانيا كانت الدفاعات الالمانية للاسطول في (وهلمسهافن) على مقربة من ساحل بحر الشمال .

ب – الى الغرب من ذلك ، كان الجيش الخامس عشر اول مـــا نصادفه من حوالي (زيبروك) ممتداً نحو الجنوب الى (الهافر) ، لذلك فـــان هذا الجيش كان يدافع عن مصب (السين) . كان الجيش الخامس عشر أقوى الجيوش نسبياً، لأن الغزو كان متوقعاً على الأغلب بين (اوستند) و (الهافر) .

ج – كان الجيش السابع يتصل بالجيش الخامس عشر من حوالي منطقة (كان) الى مصب اللوار (داخل) ، ولذلك كانت تقع في منطقته شبها الجزيرتين الهامتين : (كوننتن) و (بريتاني) .

– كان الجيش الاول الضعيف يتصل بالجيش السابع في الجنوب من حوالي (لاروش) الى الحدود الاسبانية .

كانت قواطع هذه الجيوش الأربعة بأمرة رونشتد ، ولكن قائد الجيش الالماني في هولندا لم يكن يخضع لأوامر رونشتد عدا ما يختص منها بالدفاع عن الساحل .

وكان مقر الاسطول الجوي الثالث في قصر (لوكسمبرغ) في باريس ، وكانت تشكيلاته موزعة على فرنسا المحتلة وبلجيكا وهولندا .

وكان مقر جحفل البحرية في باريس ايضاً ، وكانت قواته الضعيفة من المدمرات وكاسحات الألغام والزوارق البخارية مبعثرة في مختلف الموانىء ، وقد أُنيط به بصورة خاصة امر العناية بـ (الغواصات) المرابطة والعائدة من واجباتها والتي كانت تستقر في ملاجىء هائلة من السمنت في (لوريانت) و (سنت نازير) وفي الموانىء الاخرى .

لقد بقي الغرب هادئاً حتى ذلك الوقت ، اما الشرق فكان يجري فيه قتال مرير ، وكانت فرق الجيش تتألف بصورة عامة من تشكيلات مزقتها الحرب في الشرق فنقلت الى الغرب لتعيد تماسكها وتنظيمها ، ومن وحدات ضعيفة اخرى ؛ وكانت الفرق تغدو الى الغرب وتروح الى الشرق في تبديل مستمر – لا سيما الفرق المدرعة. كل هذه التبديلات جعلت امر بناء الدفاعات الساحلية وإنشاء التحصينات اكثر صعوبة ، اذ يجري التبديل كل اسبوعين تقريباً ، وكان يقتضي بناء قواطع فرعية جديدة دون ان يتيسر نظام لخطة دائمية للدفاعات ، كما لم يكن بالامكان تغيير هذا الوضع خلال سنة (١٩٤٢) ، اذ كان الغرب معتبراً حينذاك ساحة ثانوية من ساحات الحرب ، وكان الشرق محتاجاً الى كافة القوات بل الى زهرتها .

قد يملّ القارىء اليوم من سرد الحوادث يوماً فيوماً كما حدثت خلال هذه الفترة ، لذلك سأكتفي باختيار بضع تجارب بارزة من حوادث هذا العام .

احداها على سبيل المثال الغارة على (دييب) التي كثيراً ما نوقشت وبُحثت. لقد كانت هذه الغـــارة مباغتة تامة ، في ليلة ١٩/١٨ آب ، غادرت قافلة المانية بحرية (الهافر) وأبحرت على طوار الساحل ثم عرجت على الشمال الشرقي؛ وحوالي الساعة الخامسة صباحاً وصلت هذه القافلة الى محاذاة (دييب). ارتفعت أصوات قصف شديد من البحر في الغرب من (دييب)، فأنذرت هذه الاصوات المدافعين عن الساحل ، فتهيـــأوا للعمل ، وكانت السفن الحربية البريطانية القادمة من الغرب قد اشتبكت بالقافلة الالمانية ، إذ هاجم البريطانيون سفن هذه القافلة بصورة مباغتة تماماً ، فتفرقت سفنها ؛ ولكن أغلبهـا وصل الى الميناء في ساحل فرنسا الغربي سالماً . لقد كان من حسن حظ الالمان أن كانت سفنهم غرب (دييب) في الوقت المناسب تماماً ، وهذا مما أضرّ بجهود العدو ونبّه الدفاعات الالمانية .

وصل التقرير الاول عن الغارة من الجيش الخامس عشر الى مقر رونشتد بعد حوالي الساعة ، وكان مضمونه ما يأتي : يحاول العدو الانزال بالقرب من (دييب) ، وقد نجح العدو بالانزال استنـاداً الى التقارير التي وصلتنا حتى الآن .

أصدر الفريق (زمرمان) الانذار حالاً عن ذلك لكافة القطعـات ، كما أخبر رئيس هيئة الركن اللواء (زيتزلر) رونشتد بذلك ، فوزعت الأوامر بسرعة ، ورفعت التقارير الى مقر الجيش الالمـاني ، كما ارسلت المعلومات الى الاسطول الجوي الثالث والى جحفل البحرية الغربي بالاضافة الى إخبار القائدين العسكريين في باريس وبروكسل ؛ وأُنذرت الجيوش المجـــاورة ايضاً لأن رونشتد لم يكن يعلم فيما اذا كان سيتلو هذا الانزال انزال في أماكن اخرى .

نزل البريطانيون على جبهة تتراوح بين العشرة والاثني عشر ميلاً ، فوجدوا هناك فرقة المشاة (٣٠٢) الالمانية التي قاتلت ببسالة ، ولكن هذه الفرقة لم تكن مجهزة بالاسلحة الحديثة ، لأنها كانت فرقة ساحلية ليست ذات كفاءة ممتازة .

وشرع الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي بالاستطلاع فوراً ، لمعرفة مقدار قوة العدو وفيما اذا كانت هناك تحركات معادية اخرى قادمة من انكلترا الجنوبية .

كان رونشتد يعارض دائماً الدفاع المستكن غير السيار ، فأصدر أوامره فوراً لانذار كافة الاحتياطات المتيسرة لغرض القيام بهجوم مقابل لقذف العدو ثانية الى البحر فوراً ، وكانت الفرقة المدرعة العاشرة على قدم الاستعداد بالقرب من (اميانس) وفرقة الصاعقة المدرعة الاولى في منطقة (روان) وبالاضافة الى هذه القوات الكبيرة قذف الجيش احتياطاته المحلية .

كانت الفرقة المدرعة في موضع مناسب جداً فزجت في القتال ، وبقيت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى بالقرب من (روان) متهيئة للاندفاع .

قصفت القوة الجوية الالمانية بواخر العدو ، كما جمع الاسطول كل وسائطه المتيسرة وزجّ بها في المعركة .

وفي الساعة التاسعة صباحاً اصبح واضحاً بأن الهجوم الرئيسي يستهدف (دييب) نفسها ، بينما لوحظ هجوم ثانوي نحو الجنوب الغربي .

قدّر رونشتد الموقف صباح يوم ١٩/آب بأن العدو قام بهجوم واسع النطاق ، ولكنه ليس انزالاً كبيراً ، وكان من الامور الممتازة بالنسبة لنا هو عدم قيام القوة الجوية البريطانية بهجوم مركز .

وفي خلال النهار اصبح الموقف اكثر وضوحاً ، فقد توقف الهجوم البريطاني في البر ودمر عدد من دباباته وهي لا تزال في البحر ، كما وصلت احتياطاتنا امام (دييب) .

كانت خسائر العدو فادحة ، وقد أمكن تمييز القطعات الكندية بصورة رئيسية . لقد تعذر الزج بـ (الغواصات) في المعركة ، لأن عمق الماء لم يكن كافياً لها ؛ وقد أمكن أسر عدد كبير من البريطانيين ، وقبيل العصر قام الالمان بهجوم مقابل من ثلاثة اتجاهات على العدو الذي كان لا يزال صامداً ، بينما استمر الأسطول الجوي الثالث بمشاغلة اسطول الانزال .

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ، اقتربت طلائع وحدات الفرقة المدرعة العاشرة التي كانت في (اميانس) من (دييب) ، ولكن لم يبق لمداخلة وحدات هذه الفرقة لزوم ، لأن الكنديين – ويظهر أنهم كانوا حوالي فرقة قد سبق ازاحتهم من البر وأصبح الساحل بكامله بيد الالمان ثانية . وقد استمرت فرقة المشاة الالمانية (٣٠٢) الباسلة الرديئة التجهيز على القتال ، وكان الأسطول الجوي الثالث – يسندها بصورة ممتازة .

كانت خسائر الالمان معتدلة ، ولكن قضي على بطرية ساحلية المانية ، وقد أبيد منتسبوها بكاملهم تقريباً ، وكانوا يتألفون من ثمانين جندياً .

وقاتل الكنديون بضراوة، غير أن الانزال سرعان ما انكشف، فضاعت المباغتة ، واتخذت لمجابهته كافة التدابير .

بلغت الخسائر الالمانية حوالي ثلاثمائة جندي ، أما العدو فبلغت خسائره سبعمائة قتيل في البر وحوالي ثلاثة آلاف أسير وثلاثين دبابة .

اهتم رونشتد بالدرجة الاولى بالقطعات التي امتازت على غيرها لصد هذا الانزال ، فكوفئت بالأوسمة وبالمعاملة الخاصة .

واهتم بالدرجة الثانية بالسكان الفرنسيين في منطقة القتال ؛ إذ لم يقتصروا على المعاملة الحسنة والاخلاص للقطعات الالمانية فحسب، بل ساهموا في العناية بالجرحى .

لقد قدم رونشتد شكره الخاص لهؤلاء السكان اعترافاً بأعمالهم ؛ بل لعله فعل ما لم يكن ليفعله القادة الآخرون في الحرب ، إذ اقترح على هتلر والحّ عليه أن يطلق سراح الأسرى الفرنسيين الذين أسرهم الالمان في الحرب والذين يمتون بصلة القربى الى اولئك السكان . إن أي جندي في الميدان لا يتصرّف تصرفاً يتسم بالفروسية أكثر مما فعله فون رونشتد .

وسرعان ما تحولت التجارب في (دييب) الى دروس ونتائج مفيدة طبقت في الجبهة الغربية بكاملها ، وكان رونشتد متأكداً كل التأكد بـــأن عمليات (دييب) ليست إلا ممارسة ، وأن الحظ السعيد قد لعب دوراً هاماً في نجاح الالمان فيها .

وفي نهاية ايلول (سبتمبر) عـــام (١٩٤٢) سرح هتلر رئيس أركان الجيش الفريق المجرب (هلدر) ، واختار الـــلواء (زيتزلر) رئيس هيئة ركن رونشتد خلفاً له ، فعينت خلفاً الى (زيتزلر) في القيادة الغربية ووصلت مقر رونشتد في سانت جرمان قادماً من الجبهة الشرقية في الأيام الأخيرة من ايلول عــــام (١٩٤٢) ، واستلمت من الـــلواء (زيتزلر) مهام منصبه ، فغادرنا الى الجبهة الشرقية بعد ذلك بأيام قليلة .

لقد سبق لي أن اشغلت منصب رئيس هيئة ركن حركات مقر رونشتد في الحرب البولندية عام (١٩٣٩) وفي الحمـــلة الغربية سنة (١٩٤٠) ، وكنا نتفق في كثير من ميولنا جنوداً وبشراً .

لقـــد تعذر تحقيق الأهداف الالمانية في الشرق بالوصول الى القفقاس

وستالين غراد ، وكان الجيش الالماني السادس قـــد اشتبك في قتال عنيف بالقرب من ستالين غراد يزداد ضراوة يوماً بعـــد يوم ، كما صرف النظر عن الهجوم الأصلي الذي كان يستهدف (لينين غراد) ، لأن الحاجـــة الملحة استنفدت الفرق المخصصة لهـــذا الفرض لاستخدامها في مناطق أخرى من الجبهة .

حقاً لقد حصلنا على انتصارات رائعة في الشرق سنة (١٩٤٢) ، ولكن هذه الانتصارات لم تكن حاسمة ، وعلى العكس من ذلـــك ازدادت فعالية الروس وازداد الشعور في نفوس الجنود الالمان بأنهم قد بلغوا غاية جهودهم إن لم يكونوا قد اجتازوا هذه المرحلة .

وفي شمال افريقيا اندفـــع رومل منتصراً حـــتى الحدود المصرية ، ولكنه غلب على أمره من بعـــد لنقص في التموين والقوة الجوية والدروع والعتاد والوقود ، بينما كان وراء البريطانيين مصادر هائلة لا تنضب من تلك المواد .

وقد حدث تبدل ملحوظ في الموقف نتيجة للتعرض المقابل الكبير الذي قام بـــه اللواء مونتكومري ، فكان رومل على الرغم من قيادته الممتـــازة ومقاومة قطعاته الباسلة ينسحب غرباً امـــام مطاردة الحلفاء من قاطع الى قاطع .

اسس في تونس خلال الخريف سنة (١٩٤٢) بعد هجوم انكلو امريكي على شمالي افريقيا رأس جسر بالقرب من الدار البيضاء لحماية الطريق البحري من صقلية، وفي بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) احتل الاميرال (دارلان) الذي كان قد فر من المشير بيتان شمال افريقيا بمؤازرة القطعات البريطانية والاميركية والفرنسية ، وهكذا ضاع شمـــال افريقيا فعلاً بالنسبة لحكومة فيشي .

ان بين الناس اليوم من يرى ان موقف المانيا بعد الهدنة الفرنسية في يوم

٢٥ حزيران (١٩٤٠) كان غير مفهوم ، وهؤلاء يتساءلون : لماذا لم تحتل المانيا فرنسا بكاملها مدة الحرب لغرض حماية سلامة المانيا نفسها ؟ ان هؤلاء الناس انفسهم قد دهشوا لموافقة هتلر على بقاء جيش صغير لحكومة فيشي بالاضافة الى وجود قوات فرنسية من الجيش والطيران في شمال افريقيا ، يضاف الى ذلك ان جزءاً لا يستهان به من الاسطول الفرنسي كان في (طولون) .

ينبغي ان ندرك بأن هتلر كان واثقاً حينذاك من بقاء (فيشي) موالية له طيلة الحرب ، ولكن بعد أن قام (دارلان) بعمله ضد المانيا ، استبان للقيادة الالمانية العليا الخطر الذي احدق بها في البحر الابيض المتوسط ؛ فرومل يتراجع من تونس ، بينما كانت القطعات الامريكية والبريطانية وقطعات (دارلان) الفرنسية في شمال افريقيا والاسطول الفرنسي في (طولون) بالاضافة الى وجود جيش فرنسي في منطقة حكومة فرنسا في (فيشي) .

كانت حكومة (فيشي) حينذاك مسيطرة على (البرانيس) والقسم الفرنسي من البحر الابيض المتوسط ، فماذا سينجم فيما لو نزل الفرنسيون الفارون الموجودون في شمال افريقيا مع قطعات الانزال الامريكية والبريطانية على ساحل البحر الابيض المتوسط ؟ هل سيبقى جيش حكومة بيتان موالياً ام سينضم الى قوات دارلان ؟

من كل هذا يستكشف وجهة النظر الالمانية استشفافاً كاملاً ، ويفسر لماذا امر هتلر بالتعجيل في احتلال فرنسا حالاً ولا سيما منطقة البحر الأبيض المتوسط ! وهكذا تم الآن ما سبق للمراقبين الاجانب اعتباره ضرورياً في سنة (١٩٤٠) ..

لم تلحق تدابير هتلر هذه اي ضرر بمركز الحكومة الفرنسية في جنوب

فرنسا ، فقد امر باحتلال هذه المنطقة سريعاً حتى البرانيس والبحر الابيض المتوسط والتي اصبحت نظراً للموقف الراهن وبصورة مفاجئة مهمة للغاية .

لقد امر هتلر بالاستعداد لتقدم سريع نحو فرنسا الجنوبية ، على ان يكمل هذا الاستعداد عند حلول شهر آب وذلك لمجابهة الموقف العسكري المتوتر ، ولم تكن هناك قطعات كثيرة متيسرة لهذا الواجب ، اذ ان الفرق الممتازة كانت تعمل في سواحل فرنسا وبلجيكا وهولندا ، ولم يبق لانجاز هذه الحركة غير فرق المستجدين من قوات الدفاع عن المانيا والتي كانت موجودة في فرنسا وبعض تشكيلات قطعات الامن التابعة لقائد باريس العسكري التي تتألف من جنود طاعنين في السن مسلحين بأسلحة خفيفة رديئة بدون مدفعية .

وألقي على عاتق جحفل البحرية الغربية واجب تدريب مفارز خاصة لاستخدامها بعد احتلال ساحل البحر الابيض المتوسط في الاستيلاء على الاسطول الفرنسي المرابط في (طولون) بأقل اصطدام ممكن ، وكان على الاسطول الجوي الثالث أن يتهيأ لاحتلال المطارات الكائنة في جنوب فرنسا بعد ابتداء التقدم .

كان قلق رونشتد الرئيس منحصراً في التفكير بالقطعات التي يمكن استخدامها للدفاع عن الساحل الطويل من الحدود بالقرب من (فندرس) الى الحدود الايطالية بالقرب من (منتون) ، وذلك بعد الاستيلاء على جنوبي فرنسا ، وقد امكن في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) اخماد الثورة التي اشتعلت في الجزائر ضد حكومة فيشي بسهولة ، كما امر هتلر في الشهر نفسه باحتلال فرنسا احتلالاً عسكرياً .

تحركت القطعات الالمانية الضعيفة غير الكفوءة ، وكان هدف رونشتد السوقي الواضح هو الاحتلال السريع للنقاط الهامة ، وهي الموانىء الكائنة

على البحر الابيض المتوسط .

يقع طريق التقدم الى فرنسا الجنوبية من الشمال على طوار وادي الرون ومن الغرب على طوار نهر الكارون ، لذلك فان خطي التقدم الرئيسيين كانا ظاهرين للعيان لا يخفيان على احد .

لقد جرى التقدم كما يلي :

أ – تحركت قطعات من الجيش الاول من (بوردو) مخترقة (طولوز) الى (ناربون) .

ب – تحرك جحفل (فيلبو) مخترقاً (ليون) الى مارسيليا وطولون ، تعاونه مفارز اخرى اتجهت نحو فيشي ، ولأجل الوصول الى الساحل على اسلوب حرب الصاعقة، استفادت القطعات من القطارات الموقوتة، فتحركت وحدات امامية صغيرة بهذه القطارات الى الساحل، وقد علق المشير رونشتد اهمية قصوى على الدخول الى فرنسا دون حادث ووزعت اوامر خاصة تحثّ القطعات على التمسك بالسلوك الحسن تجاه الاهلين والسلطات الفرنسية ، وأمر رونشتد بما يلي : « اجتنب ما يخلّ بالنظام ويؤدي الى الازعاج مهما كلفك الامر » ، كما امر القطعات الالمانية بأداء تحية الصداقة لكافة افراد الجيش الفرنسي الصغير الذي كان لا يزال موجوداً .

وبالاضافة الى ذلك ألقيت نشرات بوساطة القوة الجوية، كما علقت لافتات لتوضيح سبب التقدم للاهلين .

أُخبرت حكومة فيشي رسمياً بأمر التقدم ؛ وقبل بضع ساعات من الشروع في التقدم ، طلب رونشتد سيارته وتقدم امام قطعاته باعتباره قائدهم العام ، وقام بزيارة بيتان في فيشي زيارة رسمية ؛ وكانت هذه الزيارة بابداعه الذاتي لا بأمر من المراجع العليا ، وقد فعل ذلك لا تلطفاً منه نحو

مارشال فرنسا ، بل ليكون وجوده في فيشي قبل دخول القطعات الالمانية عاملاً مؤثراً يزيـل اي احتمال للتصادم بالقطعات الفرنسية قبـل ان يفرط الأمر .

وتمّ التقدم فعلاً دون اصطدام ، ولكن كانت هناك لحظات مُرّة عابرة لبعض الضباط الفرنسيين امكن التغلب عليها بالحسنى من كلا الجانبين .

لقد قدر كافة الالمان ذوو السلطة هذا الاتجاه الصحيح للجندي البـارز اللواء (دي لتردي تاسكن) وقد وصلت القطعات الالمانية مرسيليا بعـد اربع وعشرين ساعة من اجتيازها الحدود شمال ليون ، اذ لحقت بالقطارات السريعة حسب جدول التوقيت لخطة التقدم .

نتج عن احتلال جنوب فرنسا توسع عظيم لمنطقة القائد العام للغرب ، كما نتج عنه مسؤوليات اضافية اخرى، فكان ينبغي تنظيم ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي بكامله سريعاً وإعداده للدفاع ، ولكن لم يكن هناك سوى قلاع كبيرة قديمة ومرافىء بحرية ، وكان الساحل نفسه غير محمي . ان المهمة الشاقة كانت في تزويد هذه الجبهة البحرية الجديدة الواسعة بالقطعات اللازمة، ولم يكن ليتيسر حينذاك غـير قوات قليلة ؛ فهل سيسمح الحلفـاء لرونشتد بالتهيؤ ؟

كان ينبغي اخذ حقوق سيادة فرنسا في الجنوب بعين الاعتبـار ، وفي نفس الوقت الاهتمام بأمر حماية الساحل وجبهة البرانيس ، ولا يمكن التوفيق بـين هذين المطلبين الا بالتعاون الوثيق مع حكومة فيشي وحكام الأقاليم فيها . ولمـا كان التعاون السياسي من واجب الحاكم العسكري في باريس وليس من واجب رونشتد ، فقـد أوجد حاكم باريس العسكري منظمة لانجاز المطاليب العسكرية الالمانية من جهة والاحتفاظ بهيبـة مقام حكومة فيشي من جهة ثانية .

ان هذه التدابير كانت مضطربة أشد الاضطراب !...

ويمكن ان نتصور مدى ازدياد مشاكل رونشتد الناجمة عن توسع واجباته في جنوبي فرنسا ، ومع ذلك لم تكن هـــذه المشاكل كل شيء ، إذ لم تظهر تعقيدات اخرى هناك .

وكانت فرنسا الجنوبية شرقي الرون من الوجهـــة السياسية ضمن نفوذ الايطاليين ، لذلك لم يكن للقطعات الالمانية علاقة ما بهذه المنطقة ، ولكن برز السؤال التـــالي الآن : من يحتل منطقة مارسيليا — طولون — منتون ؟ وبعد مداولات طويلة بين برلين وبين روما ، اتفق السياسيون على وضع الجيش الايطالي الرابع في هذا القاطع من الساحل ، وكان هذا الجيش الآن قد عُبىء بين (منتون) و (اسبيزيا) ، فكان عليه الآن ان يمتـــد غرباً الى طولون ، وقد تقرر وضع هذا الجزء من الجيش الرابع الايطالي الذي سيحتل الساحل الفرنسي من(طولون) الى (منتون) بأمرة رونشتد من الناحية التعبوية فقط.

كان النصف الشرقي من المنطقـــة المحصور بين (منتون) و (اسبيزيا) بأمرة القيادة الايطالية العليا ، لذلك يمكن تصور مدى المشاكل التي لا بـــد وان حدثت في هذه المنطقة وحدها ، وكان الفريق (فرسلينو) قائداً عاماً للجيش الايطالي الرابع ، وكان رجلاً فعالاً وقائداً كفؤاً ، اما رئيس هيئة ركنه فكان اللواء الألمعي (ترابو تشي) .

لقد عبئت حوالي اربع او خمس فرق ايطاليـــة مع عدد من البطريات الساحلية على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي .

وبعـــد تغيير كثير للحدود الفاصلة ، جرى احتلال الساحل الجنوبي على وجه التقريب كما يلي :

أ — جحفل جيش اللواء (فيلبر) مع خليط مختلف من القطعـــات في

القاطع الممتد من الحدود الاسبانية بالقرب من (فندرس) الى (مارسيليا) (داخل) تتراوح قوة هذا الجحفل من اربع الى خمس فرق ضعيفة .

ب — القسم الغربي من الجيش الايطالي في القاطع الممتد من (طولون) الى (منتون) ، وقد وصلت الى مقر رونشتد هيئة ارتباط ايطالية قوية برئاسة اللواء (مارازاني) وهو ضابط ايطالي كفؤ من صنف الخيالة ، وكان قد سبق له قيادة الفرقة الايطالية الممتازة (ساليري) في الجبهة الشرقية عام (١٩٤١ — ١٩٤٢) وكان معروفاً لدى رونشتد ؛ وكان من ضمن أعضاء هيئة الارتباط العقيد (رافيولي) وهو ضابط جيد شغول ، والمقدم (سكنوريني) الذي يمتاز بالمرح الدائم ، وكانت هيئة الارتباط هذه مؤلفة من حوالي ثمانية ضباط برفقتهم عدد لا يستهان به من الاشخاص المرؤوسين ؛ وقد انضمت هذه الهيئة الى مقر القيادة الغربية بصفتها جزءاً منها ، وكانت العلاقات الشخصية معها علاقات صداقة وثيقة .

تلقى الجيش الرابع الايطالي أوامره من رونشتد في القضايا التعبوية الخاصة بالدفاع عن الساحل ، وكان هذا الجيش يستلم ايضاً أوامر اخرى من مرجعه في روما ، وكانت معالجة المشاكل التي لا بد من نشوئها تجري بصورة مرضية من رونشتد ذلك الرجل الذي امتاز بموهبة فذة مؤثرة في إدارة افراد الأمم الاخرى .

كتب اللواء (ترابوتشي) رئيس هيئة ركن الجيش الايطالي الرابع في رسالة مؤرخة في ١٠/كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٢) ومعنونة الى رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ما يلي : « عزيزي الجنرال . وصف قائدي المغرم بالسجع عند عودته من باريس القيادة الغربية بقوله : « انها ضمت عنصري القيادة المثالية : عنصر الخلق الكريم وعنصر الذكاء العظيم » ، وقد قصد بذلك بطبيعة الحال رونشتد وهيئة ركنه » .

وعند احتلال ساحل البحر الابيض المتوسط في تشرين الثـاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) تشكل نطاق خارجي حول القاعدة البحرية في (طولون)؛ وقد تم هذا دون أخذ شعور البحرية الفرنسية بنظر الاعتبـار ، إذ لا يليق بالأميرال الفرنسي ان يتلقى الأوامر من الالمان في مرفأ بحريته الخاص! لذلك ضمت الوحدات الفرنسية التي كانت في طولون الى الدفاعات الساحلية الالمانية الايطالية .

وقد قدم المارشال بيتان بعد هذا هدية لرونشتد معمولة بصورة فنية من غطاء برنزي لفوهة مدفع من اضخم مدافع البارجة البحرية المسماة (الالزاس).

أوشكت سنة (١٩٤٢) أن تنتهي ، وكانت منطقة قيادة المشير قـــد اتسعت ، إذ امتدت الجبهة الساحلية الألمانية الهولندية على طوار بحـر الشمال والقنال والأطلسي حـــتى الحدود في البرانيس ، واخيراً الروابي الكائنة على البحر الأبيض المتوسط ، وبالاضافة الى ذلك دفاعات الألب من (منتون) نحو الشمال وعبر (مونت سنيس) حتى الحدود السويسرية : وكان احتمال قيـــام الحلفاء بالغزو يزداد دوماً ، وبـدا بوضوح الخطر الذي يتعرض له المدافع في خطوط ثابتة مستكنة .

وعلى الرغم من بعض التجارب المرة التي نتجت عـن تصرف بعض أقسام الجيش الفرنسي ، فـــأن الفكرة السائدة كانت السماح لحكومة فيشي بجيش جديد حتى في وقت الحرب .

كان رونشتد جندياً حقاً لا تغيب عنه الدوافع الأنسانية لفرار القطعات الفرنسية من حكومة بيتان ، وكان يـدرك تماماً وجود الشعور الوطني العالي في الشعب الفرنسي ، فلم يفاجأ بانحياز القطعات الفرنسية الى الحلفاء ، كما سبق له أن تنبأ بان المقاومة الفرنسية ستنبعث يوماً ما من شمالي افريقيا .

لقد أمل رونشتد معاونة قيمة من القطعات الفرنسية التي تشغل دفاعات السواحل ، غير انه كان يرغب فوق ذلك في إرضاء المارشال بيتان ومساندة حكومة فيشي ، وبعد مناقشات تمهيدية طويلة مـــع مقر الجيش الالماني التي أبدت ارتيابها العظيم بجدوى معاونة الفرنسيين ، وافقت تلك القيادة على بدء الاستحضارات للتعاون الالماني – الفرنسي ؛ فالتحق العقيد (بون) وبصحبته عضوان من هيئة الهدنــــة في باريس بالقيادة العامة الغربية ، كما استشيرت حكومة فيشي والقائـــد الخيال (بريدو) نيابة عن المارشال بيتان من الجانب الفرنسي لهذا الغرض .

كانت المسألة تدور حول تشكيل بضع فرق تتألف من حوالي مائة ألف جندي فرنسي ، ولأجل أن يـــتم ذلك أخلت القوة الجوية الألمانية مراكز التدريب الصغيرة في جنوبي فرنسا ، غير أن تسليح هـــذه القوة كان صعباً نوعاً ما ، لأن الجيش الفرنسي على العموم كان مجهزاً باسلحة قديمة يرجع تاريخ بعضها الى الحرب العالمية الأولى ... لقد بذل رونشتد كل ما في وسعه لتجهيز هذا الجيش الجديد بأسلحة ألمانية أفضل من تلك التي بحوزته !

استمرت هذه المداولات بضعة أسابيع خلال شتاء (١٩٤٢ – ١٩٤٣) في باريس ، ولكن كل شيء انهار من بعد ذلك ، وقد نجم عن خيبة أمل هتلر الجديدة في شمالي إفريقيا ازدياد ريبته في تشكيل جيش فرنسي جديد زمن الحرب ؛ فأصدر امراً عاجلاً لالغاء كل الاعمال التمهيدية التي جرت لهـــذا الغرض ، فأسف رونشتد الذي كان قـــد أخبر بيتان بوجهة نظره لهذا القرار كثيراً ... وعزم هتلر على تسريح مـــا تبقى من قوات الدفاع الفرنسية وتجريدها من السلاح ، لأنه ارتاب في إخلاص هذه القطعات ، لهذا لم يجر في أي وقت من الأوقات إرغام حكومة فيشي على الدفاع عن الساحل جنباً الى جنب مع الألمان .

٩

المخاوف من الغزو

كانت ملحمة (ستالين غراد) تعكس ظلالها في النفوس ، وكان الجيش الالماني السادس قد وقع في الفخ بفضل اوامر هتلر السقيمة ، وكانت هـذه المأساة هي الحادثة الاولى التي احدثت تأثيراً مؤلماً في دائرة واسعة من الالمان، فقد اصبح واضحاً بأن الحرب في الشرق بدأت الآن فقط ، وكان الموقف في افريقيا لا يزال عصيباً .

دعنا نلقي نظرة على خارطة اوروبة : كانت الجبهة الالمانية بصورة عامة كما يلي : الساحل الغربي للنروج — الدانمارك — ساحل البحر الشمالي الالماني — هولندا — بلجيكا — سواحل فرنسا حتى الحدود الاسبانية بالقرب من(ابرون) والى اقصى من ذلك شرقاً ، وكانت حدود جبـال البرانيس تحرس ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي — دفاعات الساحل الايطالي — ساحة الحرب في شمالي افريقية — سواحل الادرياتيك — اليونان — البحر الأسود ، ومن ثم الجبهة الشرقية تجـاه الاتحاد السوفياتي وتمتـد من غرب القفقاس الى (لنين غراد) ،أضف الى ذلـك الفنلنديين في جبهتهم من (لنين غراد) حتى بحر الشمال !وليس من الضروري أن تكون جندياً ممتهناً لتدرك استحالة الاحتفاظ بهذه الجبهة التي تحتضن ثلثي أوروبة .

وكانت هناك مناطق شاسعة من الجبهة الغربية واوروبة الجنوبيـة بدون

قطعات كافية للدفاع عنها ، بل كان فيهـــا مفارز لحراستها ليس غير . لقد حدث في الحرب العالمية الثانية كما حدث في الحرب العالمية الاولى، ان توسعت جبهات المانيا تدريجياً وازدادت من جبهتين الى اربـع جبهات ، حتى ليمكن مقارنة المانيا بقلعة احيطت من جميـع جوانبها ؛ يضـاف الى ذلك ان نواقص التجهيزات والموارد الخام أصبحت ظاهرة للعيان ، بينما كانت موارد العـــالم الهائلة تحت تصرف الحلفاء .

وفي هــذا الوقت ازدادت غارات الحلفــاء الجوية باستمرار ، بينما نقصت قابلية القوة الجوية الالمانية .

كانت المانيا قد استنفدت غاية جهودها سياسياً وسوقياً عام (١٩٤٣) ، ثم اخذت أمورها بالتدني بطيئاً في بادىء الامر وسريعاً من بعـد ذلك ، ولم تكن منطقة القيادة الغربية الواسعة في أوروبة غير جزء من المجموع العام . ومن سنة (١٩٤٣) فصاعداً بــدأ الحلفاء الغربيون يقومون بأعمال الخداع والتضليل بفعاليات متزايدة ، فأين سيجري الغزو ؟ يحتمل ان يتم في هولندا او بين (كالية) و (هافر)، ولا فرق بين هذين المحلين من وجهة صلاحيتها للانزال،وكانت شبه جزيرة (نورماندى) وشبه جزيرة (بريتاني) الممتدتان بعيداً داخل البحر صالحتين ، فالبحر يحيطهما من الجانبين بصورة ممتازة .

ولم يكن رونشتد وقتذاك قـد فكر في الموانىء الاصطناعية ، وقـــد افترض هو ورئيس هيئة ركنـــه بأن الغزو قد يحدث على قطاع مفتوح من الساحل ، ولكن في النهـــاية يجب ان يكون هنـاك ميناء جيـد ، وكانت شاربورغ وبريست اول ما يلفت النظر...وربما يجري الانزال ايضاً بين مصب اللوار والحدود الاسبانيـة اي في (ليسلاندس LESLANDS) ، وكانت في هـــذا القــاطع الذي يبلغ طوله حوالي ثلاثمائـة ميل ثلاث فرق مشاة قليلة الكفاءة ،اي لكل فرقة من هذه الفرق الضعيفة حوالي مائة ميل ، ولم يكن

هذا دفاعاً بل ادامة مراقبة الساحل .

ولم يكن هناك احتمال لخطر يأتي من الاسبانيين باتجاه البرانيس ، غير انه انتشرت اشاعـات بأن الحلفاء قد يقومون بانزال في شبه جزيرة الاندلس ايضاً ، وكانت هناك بعد ذلك جبهة البحر الابيض المتوسط التي اشرنا اليها والتي كانت بدون تحصينات تقريباً ولا يوجد فيها سوى قوات ضعيفة لا قيمة لها من الوجهة العسكرية !

كان رئيس شعبة الحركات في هيئة ركن رونشتد المقدم الممتـاز (مير دترنك) يقدم كل يوم تقريباً نوعـاً جديداً من انواع الرسائل التحذيرية حول مناطق الغزو المحتملة يجمعها من مصادر خارجية وداخلية

ازدادت فعالية العدو الجوية في فرنسا ولا سيما في الليل ، وكثيراً مـا نقلت هـذه الطائرات الى مراكز حركـة المقاومة الفرنسية ضبـاطاً ووكلاء بريطانيين لأجل تنظيم هذه المقاومة ، كما ألقت كميـات ضخمة من الاسلحة وخاصة الغدارات .

لم تكن حركات المقاومـة الفرنسية ذات خطورة قبل سنة (١٩٤٢) ، فقد كان هناك اعضاء قلائل فتكوا بأفراد من الجيش الالماني قبل (١٩٤٢) ولكن لم يكن لهؤلاء تهديد سوقي ، امـا في سنة (١٩٤٣) فكانت الامور تختلف عن ذلك ، اذ نمت حركة المقاومة ، وظهرت بتنظيم متين ، وتطورت يوماً بعد يوم ، حتى اصبحت ثلاث مجموعات تتصـارع فيما بينهـا حول قضايا السياسة الداخلية ، وكثيراً ما طلب من حكومة فيشي اخمـاد هـذا الخطر المتزايد بوساطة الشرطة ، كما ازدادت اعمـال المغاوير المعادية ، وكانت هـذه الاعمال عبارة عن غـارات منظمة على الساحل ، تقوم بهـا قطعات المغاوير البريطانية ، فتدمر وتخرب وعلى الاكثر تقوم بالاستطلاعات .

بدت هذه الحوادث كافة في الغرب عام (١٩٤٣) ، فزادت في التوتر شدة .

وينبغي لي ان اشير الى ناحية اخرى ، وهي ان الشيوعية انتعشت من الغرب وازدادت فعاليات الشيوعيين اكثر من السابق بعد الاندحار في (ستالين غراد) ، وبدأت شعبة استخبارات العدو تعمل نشيطة، وقد علمنا بالتدريج بتكوين جمعية المانيا الحرة في روسيا واشترك ضباط المان اقدمون ممن اسرهم الروس ، وكان من بينهم اصحاب اسماء قديمة مثل (فون سيبرلتس) فكان هذا في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار بل هو خيانة قد تؤدي الى ضياع ارواح عدد كبير من الجنود الالمان في الجبهة الشرقية .

وبدأ الآن نوع جديد من دعاية الحلفاء في الغرب ، فكانت الرسائل اللاسلكية الاميركية – البريطانية تسمع في مقر رونشتد معلنة ضرورة تبجيل الضباط الالمان المشتركين في جمعية المانيا الحرة وتقديرهم تقديراً عظيماً، وكانوا يعرضون علينا نحن الذين كنا في الغرب هؤلاء الخونة باعتبارهم امثلة سامية لضباط ذوي سلوك يستحق التقدير .

كانت هذه الدعاية موجهة بصورة خاصة الى رونشتد وهيئة ركنه للفت في اعضادهم ، وكان تعليق رونشتد على ذلك : « تستثمر السياسة كل نوع من انواع الخيانة ، ولكنها لا تشرف الخونة » .

كانت دفاعات منطقة رونشتد الحقيقية واقعة على الساحل بطوار خط الشاطىء ، لذلك اقيمت التحصينات على حافات السواحل بكل الوسائل المتيسرة ، وستظهر فيما بعد جدوى هذه المواضيع التي كانت موضع شك رونشتد .

ان اي قائد عسكري متزن التفكير ، لا بد وان يمعن النظر في احتمال

اندحاره حتى وان كان في موقف ملائم ، وقـد بـدأ الموقف في الغرب سنة (١٩٤٣) خطيراً للغاية ، وكان القتال الشديد في افريقيـا واكثر منه في الجبهة الشرقية مصدر انهاك عظيم لكافة الرجال والمواد - تلك الطاقة التي لم يتحرك منها للغرب الا شيء قليل ، فقد كانت بعض الفرق في الغرب مؤلفة من رجال طاعنين في السن مسلحين بأسلحـة قديمة نسبياً ، وكانت قابليـة الحركة تنقص هذه الفرق التي لا يمكن نجاح التدابير الدفاعية بدونها، وكانت اغلب الفرق على الساحل مزودة بنقلية من الحيوانات، وكانت مدفعيتها نتيجة لذلك بطيئة الحركة .

وقد اقتضى الأمر التخلي شيئاً فشيئاً عن الفرق الجيدة لارسالها الى الشرق، وحلت محلهـا وحدات غير منظمـة وذات تدريب قصير لا يمكنها مجـاراة القطعـات الكفوءة ، واكثر من ذلك كانت الفرق المدرعـة والمشاة تنقل من الشرق الى الغرب مناوبة لتبقى هناك مدة قصيرة في الغرب ثم تعود ثانية الى الشرق .

كان من الضروري في مثل هـــذا الموقف التفكير في احضار مواضع خلفية يجري انتخابها وتهيئتها بعناية فائقة،وعلى سبيل المثال ، هيئت مواضع خلفية كثيرة بدقة خلال الحرب العالمية الاولى في الشرق وبصورة خاصـة في الغرب ، وقد كانت هذه المواضع بمثابة ضمان للقيادة الالمانية العليـا في حالة تبدل الموقف ، ولكن هتلر كان لا يوافق حتى على مجرد التفكير بمثل هـذه الاحتياطات التي كان احضارها ضرورياً للغاية من الناحية العسكرية ...

اعتقد هتلر بأن انشاء مثل هذه المواضع يؤدي الى الانسحاب قبل أوانه دون إبداء مقاومة شديدة ، ومنذ سنة (١٩٤٣) اتخذ لنفسه شعاراً هو : « اثبت في محلك ولا تتنازل عن شبر واحد من الارض » ، وكان في هـذا موت لكل وجه من أوجه القيادة الحقة ، التي ينبغي ان تعتمد على الحركة لا

على الجمود ، وطالما تدرب رونشتد والقادة الالمان الآخرون على هـذا المبدأ العسكري الموروث ، لأن الانجازات العسكرية الالمـانية السابقة اعتباراً من القرن الثامن عشر فصاعداً قد تحققت استناداً الى قابلية الحركة السوقية .

سبق للقيادة الالمانية العليا ان نظرت بعين الريبـة الى المقترحات الرامية الى إعداد مواضع خلفية كتدابير أمن ؛ غير انه كان هناك ايضاً عامل آخر هو خوف هتلر من ضياع (الهيبة) فيما اذا ُوجـــد في الغرب موضع آخر مهيـأ في الخلف ، وكان يعتقد ان مجرد انشاء دفاع كهذا ، قد يفقده سمعته : « بأنه لا يقهر » .

وعندما فشل هتلر في الحصول على سلم في سنة (١٩٤٠) ، اصبح ضرورياً في عام (١٩٤١) فصاعداً تهيئة الغرب للدفاع ، ولكن الدفاعات كما رأينـا لم تهيأ عام (١٩٤١) ، وحتى في مستهل عام (١٩٤٢) ؛ ولو شرع الالمان باعداد هذه الدفاعات منـــذ عام (١٩٤١) ، لكان بمقدورهم الدفاع عن الغرب عام (١٩٤٤) ولسهلت عليهم الحرب السيارة .

ولم يكن هتلر يكترث كثيراً بدفاعات الميدان، ولكنه كان يثق بالمواضع المستحضرة من السمنت والحديد ، وكان يعتقد ان هـــذه المواضع وحدها تستطيع الصمود تجـاه القصف الجوي وتجاه قنـابل المدفعية الثقيلة وهجمات الدروع ، ولكن كان عليه ان يفهم بأنه ليس هناك قطر في العـــالم بامكانه انشاء مثل هذه التحصينات على جبهة تمتد الى آلاف الاميال. ان التحصينات المغشوشة المنتخبة بعناية لا سيما اذا كانت منظمة بالعمق ، تكون دائمـاً ذات أهمية حتى عندما ُتنشأ على عجل في الميـدان بوسائط مرتجلة ، ويمكن تقوية التحصينات ذات الأهمية القصوى فقط بالسمنت والحديد .

لقد ظل امر استطلاع المواضع الدفاعية متأخراً جداً ، وبعد مضي الوقت المناسب ...

كانت مواضع مدفعية الساحل بصورة خاصة رديئة ، والواقع انها ينبغي ان تؤلف العمود الفقري للدفاع ، لذلك جرى تنسيقها من قبل سلطة واحدة، وقد سبق ان تحدثت عن الاختلافات في استخدام المدفعية بين الجيش والبحرية .

لقد كان في مقر رونشتد قائد للمدفعية يكافح مشاكل لا نهاية لها ، فقد كانت البحرية مقتنعة منذ أمد بعيد بأن لديها الخبرة الكبيرة في استخدام المدفعية ، إلا ان خبرتهم هذه كانت مقتصرة على استخدام المدفعية في الحرب البحرية ، بل انها مقتصرة على مشاغلة الاهداف البحرية السريعة الحركة في مديات طويلة ومتوسطة، اما الجيش الذي لا يعرف هذه الأساليب من الحرب البحرية ، فانه كان يفضل مشاغلة العدو على ساحل الماء مباشرة، لا سيما العدو الذي أتم نزوله .

كان من السهل تقسيم هذه الواجبات الى :

أ – البطريات الساحلية العائدة للبحرية : واجبها الرئيسي مشاغلة الاهداف البعيدة في البحر .

ب – البطريات الساحلية التي تعمل ضمن مديات قصيرة ضد العدو الذي أتم انزاله .

لكن الأمل في الوصول الى اتفاق يحدد الواجبات كان ضعيفاً جداً ، لتمسك الطرفين الشديد بآرائها حول استخدام المدفعية ، ولم يكن رونشتد بعد نشر وصايا الفوهرر الرقم (٤٠) بدرجة من القوة تمكنه من اعطاء القرار الجازم ، لأن البحرية التي كان قائدها بتماس شديد مع هتلر كانت ذات تأثير أقوى من تأثير الجيش .

أصدر هتلر أوامره سنة (١٩٤٢) متأثراً بمقترحات رجال المدفعية البحرية،

ومندفعاً تحت تأثير اعتقاده بجدوى التحصينات الضخمة ، بتركيب عـــدد كبير من البطريات الساحلية في مواضع محصنة ، فكانت نتيجة ذلـك أن أصبحت البطريات الحديثة ذات الأهمية العظيمة محدودة الفائدة في الحركات . كانت هناك مثـلاً بطريات من عيار (١٧) سنتمتراً مداها (١٨) ميـلاً تعذر الحصول على تأثيرها الناري الكامل ، لأنهـــا ُحبست في سجون من الحديد والسمنت .

وعلى ضوء الغزو الذي حدث عام (١٩٤٢)، في (دييب) ينبغي ان نوضح بأن رونشتد وأمثاله من القادة ، عارضوا المبالغة في قبر الأسلحة داخل كتل من السمنت والحديد، لان هذه الأسلحة يتعذر عليها العمل من داخل مواضعها هذه في الاتجاه المطلوب ، اي ضد العدو الذي اصبح على بعد بضعة آلاف من الياردات في الجبهة ، واكثر من هذا بعد نزوله على الساحل .

يمكن استنتاج الصعوبات الاخرى التي برزت في مجال المدفعية مما يلي : — كان في منطقة رونشتد عام (١٩٤٣) حوالي مائة وأربعين بطرية ساحلية من قطعات الجيش في مواضع مستحضرة دائمية ، وكان اغلب هذه البطريات من عيار (٥) و (١٠) سنتمترات ، ولم تكن من صنع الماني ، ولكنها من المدافع المستولى عليهـا من الفرنسيين والبولنديين والجيكوسلوفاكيين ، وكان هناك مدافع روسية عيار (١٢) و (١٥) سنتمتراً ، وفرنسية عيار (١٥) و (٢٢) سنتمتراً ، امـــا المدفعية ذات المدى القريب فقد تيسر منها خليط مختلف يتألف من (٣٤٠) مدفعاً عيارها من سنتمترين الى خمسة عشر سنتمتراً تعود الى مختلف الامم ، وكان قسم من أجهزة التمديد قديمـاً ، فكان من الصعوبة على المدفعية مشاغلة الاهداف المتحركة في المـاء ، ولكن البحرية من الجهة الثانية كانت تمتلك أحدث المدافع مزودة بأحدث أدوات التسديد .

وكان رونشتد منشغل الفكر دائماً بهذا الاضطراب ، ولكنه كان عاجزاً

عن السيطرة على الموقف ، لان جميع القرارات كانت لأولئك البعيدين ذوي التأثير الكبير من بطانة هتلر ، كما كان القلق يساور النفوس حول تموين هـذه المجموعة الدولية من الأسلحة بالعتاد .

وباستثناء القوة الجوية ، كانت فرق الدروع الاحتياطية أهم قوة متيسرة للدفاع عن الغرب ، فقد كانت هذه الفرق قوة القتال الكبرى ، وكانت ذات قابلية للحركة ، وبذلك كان بأمكانها أن تقوم بخدمة كبيرة في العمل مشتركة مع قوة جوية قوية .

عين في مقر رونشتد اللواء الشهير (كيرفون جوبن بيرك) قائداً للقطعات المدرعة ، وكان يشغل منصب الملحق العسكري في لندن قبل الحرب؛ فكان مستشاراً لرونشتدفي كل القضايا المتعلقة بالاستخدام السوقي والتعبوي للدروع كان فون (جوبن بيرك) واسع الاطـلاع وكفؤاً ، ولم تكن أفكار رونشتد ورئيس هيئة ركنه تتفق دائماً مع أفكاره .

وينبغي أن نقرر بأنـــه لم يتصور أحد بشكل واضح مدى تأثير القوة الجوية على الحركات السوقية الكبرى بعـد سنة (١٩٤٣) ، لأن الحرب الجوية كانت قد بدأت حينذاك فقط !!

وربما كان اللواء (فون جوبن بيرك) مصيباً ، ومـــع ذلك فليس للفرق المدرعة أهمية كبرى في نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه اذا تعذر تحريكها. لقد كانت هناك جبهة بحرية هائلة تمتد من جزيرة (تسل) الى (ايرون)، وجبهة أخرى تمتد من (فندرس) الى (منتون) ، وكان باستطاعة العـدو الانزال في أي مكان شاء .

ولا شك في إمكان تعبية الفرق المدرعة في مناطق الانزال المحتملة، ولكن وجود احتمالات كثيرة تجعل الانسان عاجزاً عن التأكد مـن نزول العدو في

الأمكنة المفروضة، اذ كلما كبرت منطقة الحركات ازدادت احتمالات الانزال في اماكن كثيرة منها !

وحينما يتعذر تحريك التشكيلات المدرعة سريعاً الى منطقة مهددة نتيجة للتفوق الجوي المعادي، فأن قيمة الدروع حينذاك تقتصر على المجال التعبوي فقط؛ وينبغي أن نشير هنا الى أن القائد العام للأسطول الجوي الثالث المشير (سبيرل) ، كان قد ادخل في حسابه وصول نجدات مهمة عندما يقع الغزو ، وكثيراً ما كان يخبر رونشتد وبيده قائمة بمقدار الأسراب التي يتسنى نقلها الى الغرب من ساحات الحرب الاخرى فيما اذا دعت الحاجة الى ذلك .

وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد ممكناً تأمين التفوق الجوي ، ولكن كان هناك على الأقل قوة جوية كافية تضمن تنقلات سوقية محدودة للتشكيلات المدرعة. لم يكن رونشتد و (سبيرل) في سنة (١٩٤٣) يعلمان بأن الامدادات الموعودة لن تأتي في سنة (١٩٤٤) نظراً للموقف الذي نشأ حينذاك .

سأعود الى وصف اختلافات الرأي مرة اخرى عندما اعالج استخدام جحفل الجيش (ب) بقيادة رومل في سنة (١٩٤٤)، وأكتفي هنا بمجرد التأكيد بأن وجهات نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه كانت تعتبر ان فرق الدروع الاحتياطية ضرورية لموقف خطير، ولكن القائد المسؤول عن منطقة واسعة كهذه في الغرب ينبغي ان يكون تحت تصرفه احتياط سوقي يستطيع استخدامه متى شاء وفاقاً للموقف العام ، وبدون هذا الاحتياط فلا رجاء في دفاع ناجح !!...

وعلى الرغم من التأثير الحاسم للقوة الجوية في الحرب ، فانها لا تستطيع وحدها كسب الحرب؛ اذ تدعو الحاجة دوماً الى قوات برية قوية أهمها الدروع على ألا نتناسى اهمية صنف المشاة المدرب تدريباً ممتازاً والمجهز بأحدث الاسلحة .

ولا يزال صنف المشاة ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه في الحرب ، على ان يكون آلياً مزوداً بأحدث الاسلحة ومدرباً ادق تدريب، وقد أكد رونشتد على ذلك دوماً ، ولم ينفك عن ترديده ابداً .

صاحبت سنة (١٩٤٣) نقطة التحول العسكري الكبرى ، فقد ولى عهد حرب الصاعقة لسني (١٩٣٩ – ١٩٤١) كما أدبر عهد الهجمات السوقية في الجبهة الشرقية وفي شمالي افريقيا . وقد اكرهت قوات المحور بما فيها اليابان على الدفاع بعد ان تم تطويقها سوقياً ، وفي سنة (١٩٤٣) بدأ التعرض الكبير للحلفاء ضد المحور، فاستُهِلّ بحرب جوية اشتدت بسرعة على اوروبة الوسطى ، فضلاً عن قيام قوة الحلفاء الجوية بالتعرض في الغرب ، وقد دأبت تشكيلات هائلة من الطائرات الامريكية والبريطانية على فعالياتها ، وكان تحليق مئات من هذه الطيور الفضية باستمرار على ارتفاع عال في الجو وبتشكيلات متقاربة ذا اثر بعيد على النفوس . وفضلاً على اكتساح البر بالقصف الجوي الذي استهدف المطارات والسكك الحديدية، كان هناك قصف الازعاج الذي ازدادت خطورته تدريجياً ، وكانت اهدافه بصورة رئيسية محركات القاطرات المتحركة او الواقفة ، وكانت كل انواع هذه الغارات تزداد يوماً بعد يوم .

أطرى رونشتد رجال السكك الحديدية الفرنسية الذين عكفوا على انجاز واجباتهم بحذق على الرغم من فداحة الخسائر ، ولهذا خُول رونشتد منحهم جوائز خاصة ، وأكثر من ذلك اصدر وصاياه باطلاق سراح اقرباء هؤلاء الرجال الموالين من الاسر الالماني الذين اسروا سنة (١٩٤٠) اكراماً لذويهم.

وعندما ازدادت الحرب الجوية عنفاً اعتبرها رونشتد الاستحضارات الأولية لغزو الحلفاء ، وكان القصف على المدن الصناعية وخطوط المواصلات لا يستهدف زعزعة ارادة المانيا على المقاومة فحسب ، بل يرمي الى تحديد

الانتاج واشاعة الفوضى في تشكيلات السكك الحديدية .

لا يتيسر البدء بالهجوم الحقيقي على قلعة اوروبة الوسطى، ما لم يبدُ ضعفها ملموساً نتيجة للحرب الجوية . لقد كان من واجب كافة التشكيلات في الغرب الاحتفاظ بسجل للهجمات الجوية يبين فيه متى وكيف وأين جرى القصف الجوي ويثبت ذلك على خرائط خاصة للحصول على صورة واضحة لمركز ثقل القصف الذي يستهدفه الحلفاء .

وكان الاسطول الجوي الالماني الثالث في سنة (١٩٤٣) قد تناقصت قواه نقصاً جلياً ، غير ان العدو لم يحصل بعد على السيادة الجوية المهيمنة ، كما كانت مطارات الطائرات المقاتلة القريبة من الساحل تتناقص تدريجياً ، لهذا اقتضى نقل المقاتلات الى اماكن اكثر بعداً في الخلف ، ومعنى ذلك ، ان الطائرات المقاتلة اكرهت على الذهاب الى داخل فرنسا ، فنقصت الفعاليات الجوية في الساحل ، وقد اصبح مدفع ضد الجو عيار (٨) سنتمترات (المدفع المضاد الذي يطلق عليه البريطانيون مدفع عيار ٨٨ ملمتراً) عاجزاً عن ايصال قذائفه الى تشكيلات العدو الجوية التي كانت تطير على ارتفاع أعلى من السابق ، كما لم يكن المدفع المضاد عيار (٨) و (١٢) سنتمتراً متيسراً إلا بكميات قليلة .

وكان اسطولنا البحري الصغير كفوءاً يقظاً، ولكن نجاح غواصاتنا تلاشى بمر السنين كما حدث في الحرب العالمية الاولى ، وكانت المانيا قد ارغمت على الدفاع في البحر ايضاً ، وفي هذا الوقت لم يبق لنا اسطول بالمعنى الصحيح .

وكانت فعالية الأسطول في منطقة البحرية الغربية تقتصر على حماية القوافل والدفاع الساحلي في البحار المنخفضة والاستطلاع المحدود ، وكانت القوافل تستجلب من اسبانيا المواد الخام التي كانت شحيحة في المانيا ، وكان

على هذه القوافل ان تسير بمحاذاة السواحل متنقلة بمراحل من ميناء الى ميناء حتى تصل هولندا ، وكانت معرّضة دوماً لهجمات الحلفاء الجوية والبحرية ، فاضطرت سفن جحفل البحرية الغربي الصغيرة القليلة العدد الى ترك واجباتها لتتفرغ لحماية هذه القوافل !

وقد قامت الغواصات التي كانت ممتازة للغاية بغارات مختلفة على سفن العدو ، غير ان هذه الغارات كانت على العموم كوخزات الابر في تأثيرها ! ولم يكن ليتسنى اجراء الاستطلاع البحري الا في منطقة محدودة ، لان العدد المناسب لمثل هذه الواجبات كان قليلا ، وقد حظيت الغواصات العائدة برعاية خاصة ، فكانت عند عودتها الى قواعدها في (بوردو) وفي(لاروشل) او (نازير) او اي قاعدة اخرى تودع في مانعات هائلة وتجري ادامتها واراحة نوتيتها ايضاً ، وكانت الغواصات اليابانية والايطالية تزور هذه القواعد لماماً !!

لقد كانت البحرية تمتلك سفناً قليلة واشخاصاً كثيرين،لذلك كاناستخدام منتسبيها في الدفاعات الارضية امراً لا مفر منه ، فنتج عن ذلك تدخل البحرية في واجبات الجيش على الساحل ؛ ولو كانت البحرية كبيرة كما كانت في الحرب العالمية الاولى ، لاعتبرت الدفاعات الساحلية مسألة ثانوية بالنسبة لواجباتها ، اما الآن فقد طبقت واجباتها بصورة مغلوطة .

بدت القلاع الساحلية مناظر مدهشة ، وكان هتلر يميل الى التحصينات ، فرقيعدداً كبيراً منالموانىء الساحلية فيمنطقة القيادة الغربية الى رتبة قلعة. لقد كان لكلمة (قلعة) تأثيراً يوحي اليه بالاطمئنان والثقة ، ولكن لم يكن لهذه الكلمة نفس التأثير على رونشتد الذي لم يعلق عليها غير اهمية قليلة . ان الترقية الى رتبة قلعة كما كنا ندعوه في مقر رونشتد متفكهين ، لم يكن في الحقيقة ليفيدنا كثيراً .

لقـد استنفد هتلر كثيراً من الوقت والجهود والمواد للاستمرار في انشاء قلاعه ، وكان رونشتد متأكداً من أن العدو ليس من الحماقـــة بحيث يهاجم قلعة هجوماً مباشراً من البحر ؛ اذ بامكانه الاستيلاء عليها بسهولة اكثر فيما اذا نزل في منطقة ساحلية مفتوحة خارج منطقة القلعة ، ومن ثم يهـــاجم القلعة من الخلف اي من جهة البر ، لأن نقاط الضعف في كل قلعـــة بحرية موجودة من اتجاه البر ، وقد سبق للعدو في سنة (١٩٤٣) أن طبق ذلك بقطعات المظليين .

من أين يمكن تأمين القطعات الكافية للدفاع عن هذه المناطق المحصنة ؟ حقاً لقد كان ينبغي وجود فرقة او فرقتين في القلاع الكبيرة، وفرقة واحدة في القلاع الصغيرة ، لكن رونشتد كان مضطراً الى القناعة بحاميات ضعيفة مؤلفة من بضعة افواج عند تيسرها لديه ! وكانت مدفعية الدفاع على الجبهة البرية الشاسعة قليلة ايضاً،لأن جميع البطريات تقريباً كانت مثبتة فيالتحصينات على اساس ان تكون قادرة على الرمي باتجاه الساحل فحسب،دون ان يكون في الامكان تغيير اتجاهها الى البر .

لقد سببت هذه القلاع قلقاً عظيماً للقيادة الغربية، لا سيما في سنة (١٩٤٤)، ولم تتحسن الامور عنـــدما بدأ هتلر بتعيين ضباط يعتمد عليهم كل الاعتماد بمناصب آمري القلاع ، وكان على هؤلاء الآمرين البؤساء ان يقسموا قسماً مكتوباً للاحتفاظ بالقلعة بكل ثمن ... وكان يرسل بهذا القسم المكتوب الى هتلر ، غير انه لم تكن لدى هؤلاء الآمرين القطعات الكافية التي تمكنهم من الاحتفاظ بقلاعهم ، ولم تكن القلاع إلا أبنية غير كاملة . وكان الآمر يفتقر الى السلطة المطلقة داخل قلعته ، إذ كان للآمر البحري ايضاً رأي في الدفاع عن القلعة !

ولم يكن لآمر القلعـــة سلطة مطلقة على البحرية والقوة الجوية ، ولكن

كان له ذلك على القطعات الاخرى فقط ، فعنـدما كانت الضرورة تدعو الى معـاقبة بعض افراد البحرية والقوة الجوية في قلعة ما ، فان ذلك لا يتم إلا بوساطة السلطة القضائية للبحرية او القوة الجوية ، لذلك فقد جُعل هـذا الآمر المسكين ضعيف النفوذ مهدداً دوماً بخطر إحالته على المحكمة العسكرية، ولأجل تقوية الحاميات الضعيفة جداً في هذه القلاع شكلت وحدات الانذار، غير أن منتسبي هذه الوحدات كانوا غالباً من عمال الموانىء المدنيين المصبوغين بالبزة العسكرية !!

لقد كان من المستحيل العمل في مثل هـذا الوضع الذي لم تعرف حقيقته بوضوح قبل عام (١٩٤٤) ، وكان رونشتد قد أخبر مراجعه بتقـارير شاملة صريحة عن صعوبة الموقف وتعذر السيطرة عليه ، ولكن دون جدوى .

ومن المناسب ان نذكر هنا ملحوظة عن علاقة هتلر ببيتان . لقـد وجه هتلر بعد احتلال جنوب فرنسا رسالة شخصية طويلة الى المارشال بيتـان ، شرح له فيها الاسباب التي دعته الى احتلال فرنسا بكاملها ، وقد ختمها بالجملة التـالية : « اذا كان لديك ايها المارشال أية رغبات او مشاكل ، فاذكرها للمشير فون رونشتد » .

والغريب في الامر هو عدم وصول اية نسخة من هذه الرسالة الى رونشتد، وقد حدث في شتاء (١٩٤٢ — ١٩٤٣) صدفة أن ذكر موظف من السفارة الالمانية هذه الرسالة لرونشتد عنـدما كان يطلعه على بعض المعلومات ، وقد ذهل الموظف المذكور عندما علم بأن القيادة الغربية لا تعرف شيئاً عن هـذه الرسالة .

لقد طلب المارشال بيتان نتيجة لما جاء في رسالة هتـلر هذه من رونشتد ان يقوم بزيارته رسمياً ، وعلى كل حال لم تتم هذه الزيارة .. ولكن بعد ايام استلم رونشتد نسخة من تلك الرسالة .

ونتج عن رسالة هتلر هذه في سنة (١٩٤٣) ، ان رونشتد اصبح يلتقي ببيتان اكثر من السابق ، كما نتج عنها ايضاً تبادل الرأي بين الرجلين عن امور تخص السياسيين لا رجال الجيش ، ورضي رونشتد الذي كان يكره السياسة كرهاً مطلقاً ان ينقل جوهر رغبات بيتان الى هتلر مع توصياته باتخاذ الاجراءات كلما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وكان بعد عودته الى مقره يرتب جميع النقاط ويرسلها برقياً الى القائد العام للجيش الالماني ، وكان اللواء البارون (فون نوبرون) يشغل منصب ضابط ارتباط في فيشي بين بيتان ورونشتد ، وقد اشترك في الاتصال ببيتان ، ومن الواضح أن الرسائل كانت متبادلة ايضاً بين بيتان ورونشتد بالاضافة الى الزيارات ، ونظراً لأن السفارة الالمانية هي المسؤولة عن السياسة الخارجية ، فكثيراً ما حدث تجاوز على المسؤوليات بين السياسي ورجل الجيش !

وعندما نتذكر بأن القائدين العسكريين في باريس وبروكسل كانا منهمكين كل الانهاك في السياسة ، وان هتلر وغيره من كبار رجال الحزب انتهجوا سياستهم الخاصة جاعلين السلطات الاخرى وراءهم ظهرياً، ندرك ان رونشتد حافظ على إعراضه عن السياسة ما استطاع ، ومع ذلك كان من المستحيل عليه منع ممثلي الفوهرر من الظهور على مسرح السياسة ، وكان هؤلاء عادة موظفين حزبيين ذوي مكانة رفيعة مزودين من هتلر بسلطات أعلى من السلطات المحلية الاخرى ، وكثيراً ما كان هؤلاء الموظفون يغلّون أيدي السلطات المحلية .

كان هناك حاجة ملحّة في الغرب لدعوة بعثات عسكرية من الاقطار الحليفة او المحايدة لتفتيش جدار الاطلسي . لقد كان هتلر فخوراً جداً بجداره هذا ، فطفقت البعثات العسكرية تتوالى يرأسها القادة واحدة تلو الأخرى ، من تركية وبلغارية وهنكارية وفنلندية ورومانيا وايطاليا واسبانيا وغيرها .

وقد جعلت نباهة ذكر رونشتد الدولية هؤلاء الضيوف تهفو نفوسهم الى

رؤيته على الاقل ، والتحدث اليه إن أمكن . وقـد أصبح اعتيادياً اتصال مقر الجيش هاتفياً بمقر رونشتد ملتمساً استقبال رونشتد لهـؤلاء السادة وإعداد ما يطعمون ، وكان عليّ أن اوصل هذه الرغبة الى رونشتد بأسلوب (دبلوماسي) ، ولكن عندما يصل الزائرون يتمثل العطف كـله في حسن وفـادة رونشتد لهم وحفاوته بهم ويسترسل عـلى سجيته في عطفه وشيق حديثه ، فيغمر الجميع الغبطة والسرور .

كانت الأحاديث تجري بالألمانية أو الفرنسية ، وكان يقـدم الطعام في كل زيارة ، وكانت تحدد لهـذه الزيارات الساعة الواحدة بعد الظهر دائمـاً ، كي يتسنى لرونشتد الذي لم يكن ليطعم شيئاً يذكر ، أن ينصرف عاجلاً بعـد انتهاء الغداء ، غير انه لم يكن ليحضر العشاء عادة .

يمكن الايمـاء الى هذه القصة : تحدث رئيس بعثة تركية وهو برتبة لواء حديثاً ضافياً بعـد انتهاء مأدبة الغـداء ، استهله بالحديث عن آثار مولتكه الكبير في الجيش التركي سنة (١٨٣٠) ، وقد لاحظنا جذلين تزايد نفاد صبر رونشتد كلمـا اسهب بالحديث ، وعندما وصل الحديث الى مفصل ، نهـض رونشتد وقرع المنضدة بقدحه قائـلاً : (ايهـا السادة ! لنشرب نخب صحة الدولة التركية والشعب التركي وجيشهم الشجاع » ...

لقد حمل هؤلاء الزائرون ذكريات عن شخصية فذة كانت مؤثرة بتقاليدها وتربيتها وسمعتها الدولية قائداً ، لم تخفق ابداً في تأثيرها على اي انسان !!

١٠

الجهد المضاع

كان رونشتد مجازاً مدة ثلاثة اسابيع في ربيع (١٩٤٣) قضاها في مدينة (بادتولز) من اعمال بافاريا العليا ، وكان هتلر وقتذاك في (برختسكادن) ، فاغتنم هذه الفرصة لدعوة رونشتد الى مقره قبل ان يعود من إجازته ثانية الى الغرب .

كان رونشتد يرتدي الملابس المدنية في ايام اجازته ، وقد اغتبط الناس لارسال هتلر سيارته اليه في (بادتولز) يصطحبها حرس لنقله الى مقر هتلر ، وبطبيعة الحال كان الناس يحبون ان يروا رونشتد ببزته العسكرية ، وحينما كان يهم بركوب السيارة ، قالت له زوجته : « انظر ما أشد رغبة الناس في رؤيتك ! » ، فأجابها رونشتد قائلاً : « آه !.. انهم لا يقفون من اجلي ، بل ينتظرون سيارات نقل الركاب فحسب » ...

وكان رئيس هيئة ركن القيادة الغربية قد ارسل رئيس شعبة الحركات الفريق الثقة (زمرمان) الى (بادتولز) ، ليلتمس رونشتد ان يكلم هتلر حول خطورة الموقف في الغرب. كان هتلر قد اعتاد ان يعرض عن المواضيع المزعجة ، وكان يصرف محدثه عنها بمواضيع اخرى ، لذلك هيمن هتلر على الحديث كله واصفاً باسهاب ما يفكر به الآن من تعرض عظيم في الشرق ، وانه قد وضع له الكلمة الرمزية (قلعة) وسيشرك في هـذا التعرض خيرة

الفرق، واثقاً من شدة تأثير العجلات المدرعة الحديثة ، وهو يأمل ان يفني تسعين فرقة روسية على الاقل بتعرضه هـــذا ، وسيجري هذا الهجوم باتجاه (بايل كرود) .

وأبدى هتلر ارتيابه في الموقف السياسي في ايطاليا، ويتنبأ بسقوط موسليني في المستقبل القريب ، وحينذاك ربما ينحاز الايطاليون الى الحلفاء ، ولو ان ذلك حدث ، لوجب تجريد الجيش الرابع الايطالي من السلاح ، وتسليم قاطعـه الى القطعات الالمانية ، ولأجل ان يمنع رونشتد من الكلام ، أنهى هتلر حديثـــه فجأة مودعاً رونشتد ، فعاد الى باريس دون ان ينال مبتغاه !

كتب رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان في مذكراته ما يلي : —

« لقد اعتقدنا بأن هتلر تكلم بدون انقطاع لئلا يسمع شيئاً لا يسر من المشير رونشتد ، لذلـــك قرر رونشتد ان يهيىء تقريراً مفصلاً صريحاً عن الموقف في الغرب ، مبنياً على الحقائق التي لا يتطرق اليها الشك ابداً ، لتدرسه القيـــادة العليا » .

كان هـــذا التقرير الذي تمّ وضعه في ربيع سنة (١٩٤٣) أساساً لجميع التدابير حتى ابتداء غزو الحلفاء في حزيران (١٩٤٤) . لقد كان واضحاً لرونشتد احتمال حدوث غزو الحلفاء للغرب عام (١٩٤٣) ، وذلـك لتردي موقف قوات المحور ، وكانت سواحل اوروبة الغربيـة في الغرب والجنوب في الحقيقة غير مدافع عنها بل محمية فقط على طوار جبهات لامتناهية تحتلها قطعات متباعدة .

لقد اصبحت اوروبة الوسطى قلعـــة ، ولكنها لم تكن رصينة القوى ولا ذات قطعات كافية ، وكان الحلفاء قد طوقوا تماماً هذه المنطقة السوقية ، وكان بامكانهم التعـاون بهجوم منسق ، وكانت قواهم الجوية في موقف تستطيع معه الطيران الى الداخل من ثلاث جهات لتركيز هجماتها .

وقد سيطر الحلفاء على البحر ، فكانوا قادرين على الانزال في أي وقت وفي أي مكان من غربي اوروبة وجنوبها ، بما يستمدونه من منابعهم الهائلة ، وكان في مقدورهم بوساطة بحريتهم القوية وتسهيلات المواصلات اجراء تنقلاتهم كما يشاءون والانهاك في مناورات تضليلية في جميع الجهات !

ولم يكن المدافعون الالمان في وضع يستطيعون معه الزج باحتياطات سريعة مهمة في السبل البرية من الشرق الى الغرب، او من الشمال الى الجنوب، لغرض حماية النقاط المهددة، ولقد جُمّدت عدة جبهات، مثال ذلك الجبهة النرويجية والفنلندية والبلقانية ، لأن قلة السكك الحديدية والبواخر جعلت سحب القطعات من هذه المناطق يتم ببطىء شديد ان لم يكن متعذراً ، وكانت القوات الجوية الحليفة تشيع الاضطراب في السكك الحديدية بصورة مستمرة يوماً فيوماً ، مما أدى الى عرقلة تنقلات التشكيلات الكبرى من جبهة الى اخرى ؛ ومنذ عام (١٩٤٣) دأب الحلفاء على التعرض السوقي ، بينما أرغمت المانيا على الدفاع ، لهذا انقلب ميزان القوى كما حدث في القسم الثاني من الحرب العالمية الاولى .

وكثيراً ما لاحظ رونشتد بأن المانيا باعتبارها دولة برية ، محاطة بدول قوية في اوروبة الوسطى ، ينبغي ان تنتهج بصورة خاصة — منهجاً سياسياً حاذقاً ، والا فيكون مصيرها التحطيم بالقوى المحيطة بها، وكان يقدر كل التقدير الاتصال الوثيق بين السياسة والسوق (الاستراتيجية) .

كان هتلر يتوقع الغزو في تلك الايام ، والحق انه كان معنياً بمتى وأين سيقع الغزو ؟ وعلى سبيل المثال ، فقد توقعت القيادة الالمانية انزالاً بالقرب من (جنوى) او في جنوب ايطاليا وفي اليونان ايضاً .

لقد كانت وجهات النظر تتبدل باستمرار ، اذ كلما تواردت معلومات سرية او ظهرت بعض الاشاعات او ارسلت تقارير كاذبة عن قصد — كلما توارد ذلك؛ أصبح هتلر اكثر شكاً !

لقد حدث تبدل كامل في جوهر معتقدات هتلر السوقية ، فقـــد اعتقد بضرورة الدفاع لآخر طلقة وآخر جندي عن كل شبر من الارض ، وذلك نتيجة لانزعاجه من تبدل الحظ في سنة (١٩٤٣) ، وبذلك استبدلت قابلية الحركة وفن القيادة بفنه هذا الذي كان يرتكز على الاطاعة المطلقة لأوامر جازمة تنص على عدم التخلي عن شبر من الارض، وعدم اخلاء أي موضع دون أخذ موافقته.

لا بد وان اعداءنا لاحظوا بدهشة بأن القيادة الالمانيـــة العليا لم تعمل شيئاً منذ عام (١٩٤٣) حتى نهاية الحرب اكثر من التمسك الشديد بخطوط دفاعية جامدة والحوم حول جميع الجبهات. وكان وقت صدور الأمر بالكف عن الدفاع المستميت يأتي متأخراً جداً ، ممـــا ضاعف الخسائر بالأرواح والمواد ، والأهم من ذلك هو فقدان (الثقة) .

لقد كان القادة العسكريون الألمـــان في سنة (١٩٤٣) مقيدين بأغلال ثقيلة ومحرومين من كافة استقلالهم الموروث ، وقـــد وصل ذلك الى أقصى ذروته حينما كان مشيرون أقدمون وقادة عامون لمناطق كبيرة ، لا يجرأون على تحريك ما يعادل فرقة واحدة بدون أخذ موافقة هتلر ، وحتى أعضاء هيئة ركن هتلر أنفسهم كاللواء (جودل) كان عليهم اولاً أن يلتمسوا الأذن منه ، ونتج عن ذلك تقويض استقلال القيادة ، كما نتج عنه تأخر جميع التدابير المقابلة تأخيراً كبيراً جداً . كان مقر هتلر في بروسيا الشرقية ، ففي خـــلال الوقت الذي يحتاجه لاخراج خريطته هناك في مقره لاصدار قرار ما بشأن فرقة من فرقه في الشرق او في افريقيا او في الغرب ، فـــأن الموقف التعبوي يكون قد تبدل منذ أمد طويل .

ولم يكن خط الساحل كل ما ينبغي احتلاله، ولكن كان هناك الجزر الكثيرة التي غالباً ما تقع أمامه ، ولقد خصص لبعض هذه المواضع في كثير من الحالات من عشرين الى ثلاثين جندياً ، وفي الحقيقة كانت القيادة الغربية الكبيرة ليست

إلا جزءاً من الجبهة الأوروبية، ولكنها كانت جزءاً هاماً جداً ، وكان الغزو محتملاً في أي وقت من هولندا او بلجيكا او فرنسا ، وكان الطريق الى قلب المانيا ومنطقة الرور يمر مباشرة مخترقاً بلجيكا - شمال فرنسا الى (كولون) ، وعند ذاك فـان القيادة الغربية بكاملها وبالحقيقة الجبهات في شمال افريقيا وايطاليا تكون قد قطعت عن المانيا .

وعلى هذا الأساس، كان رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات يقدرون دائماً أن الأنزال الرئيس سيحدث بين (كاليه) ومصب (السوم)، يتبعه اندفاع الحلفاء السريع على أسلوب تقدم (كودريان) خلال بلجيكا على (الأيسن - كولون) ، اي حوالي (٢٠٠ - ٢٥٠) ميلاً بصورة مستقيمة ، ولم يكن هـذا أمراً خارجاً عن المعتاد ؛ وكان رونشتد يعتقد أن خدمة استخبارات الحلفاء ، لا بد وأن علمت بأن الجدار الأطلسي على جانبي (كاليه) المؤثر بمظهره فقط ، لم يكن قوياً بـأي وجه من الوجوه ، كما قـدر رونشتد بأنه من الواضح حصول الحلفاء على معلومات تفيد عـدم تيسر احتياط من القطعات فعلاً في بلجيكا ، وان الجدار الغربي في الحدود الالمانية بـدون حاميات ، وان مناطق الراين والرور بدون حماية .

لقد كان هناك عـدد كبير من الاجانب المستخدمين في جميع انواع العمل ، لذلـك يمكن اعتبار خدمة استخبارات الحلفاء في المستوى الذي يؤهلها للعمل كخدمة الاستخبارات الالمانية سواء بسواء ؛ وقد افترض رونشتد ورئيس هيئة ركنه ان مقر قوات الحلفاء على علم بكل ما يتعلق بالموقف ، وان هجوماً رئيساً على طول خط (كاليه - ابيفيل) نحو (ايسن - كولون) والذي كان قـد توقعه رونشتد ، يعرض الجبهة الأوروبية : الغربية والجنوبية بكاملها الى الانهيـار ويقطعها عن المانيا ، وسأبين اخيراً بان هذه الآراء قـد تبدلت قليلاً في مستهل سنة (١٩٤٤) .

ولربما كان لدى الحلفاء الغربيين اسباب وجيهة لعدم القيام بالهجوم الذي توقعه رونشتد ، ولربما كانت هناك اسباب بحرية لم تكن واضحة للألمان ، وقد بدا الهجوم الذي توقعه رونشتد يؤدي الى اقصر خط مواصلات من انكلترا ، كما انه يقدم تسهيلات مماثلة لقوات الحلفاء الجوية ، ولكن ربما خشي الحلفاء تعرضاً المانياً كبيراً من الجنوب باتجاه جناحهم ، ولكن هذا التعرض لا ينجح ، لأن القسم الأعظم من الفرق الالمانية كان محروماً من قابلية الحركة ومنتشراً على الساحل الشاسع ، ولربما كان الأمر يتطلب اسابيع قبل إمكان جمع عدد كاف من القطعات ، ولربما لم تعد هذه القطعات تملك القوة الكافية للتغلب على الحلفاء المجهزين تجهيزاً ممتازاً بالمواد فضلاً عن تفوقهم الجوي الساحق . وينبغي ان نسجل بأن رونشتد وصف الجدار الاطلسي (المقدس) بصراحته اللاذعة بأنه : « خدعة من خدع الدعاية تماماً » ، كما كان هذا رأيه عن الجدار الغربي ايضاً .. وقد عبر عن رأيه هذا للزائرين الأجانب متفكهاً ، ولكن بطريقة معقولة ! لقد شب رونشتد وترعرع على تقاليد مولتكه وشليفن القديمة ، وكان قائداً متمكناً من سوق الجيش يؤمن بقابلية الحركة ، وكان يرى في الدفاع السيار الأسلوب الوحيد لفن الحرب ، ويرى في الدفاع المستكن الموت الأكيد لفن الحرب .

انه من المهم للقراء كافة ان يفهموا عقيدة رونشتد هذه بوضوح ، وبدون ذلك لا يستطيعون تفهم الحوادث القادمة تفهماً وافياً .

ارسل تقرير الموقف الى مقر الجيش الالماني وقُدّم الى هتلر في ربيع عام (١٩٤٣) ، فلم يكن لهذا التقرير لسوء الحظ - كما سبق ان ذكرت - استجابة فورية ؛ ولكن القيادة العليا بدأت بالتفكير ، غير انها لم تتخذ اجراءات حاسمة حتى (١٩٤٣ - ١٩٤٤) ، بعدما قدم رونشتد تقريراً جديداً في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، ذلك التقرير الذي الهب كافة الرؤوس الكبيرة في مقر الجيش .. وسأتطرق بالبحث الى ذلك باسهاب في فصل آخر .

كان على الجيش الخامس عشر ان يدافع عن القاطع الساحلي بين (اوستند) وغرب (الهافر) ، وقد اخبر هـذا الجيش رونشتد حوالي صيف (١٩٤٣) ، بأن منشآت ضخمة تشيدها في المنطقـة منظمة (تود) دون ان يعلم الغرض من تشييدها ، وكانت هذه الانشاءات تشاد بصورة سرية حتى ان القائد العام للجيش الخامس عشر لم يجرأ على دخول منطقة هذه المنشآت . لقـد كان من الطبيعي ان يرفع هذا الجيش احتجاجاً على اقامة هذه المنشآت في منطقته دون احاطتـه علماً بأغراضها ، كما ان هـذا الجيش شعر بخطورة وجودها في منطقته ، لأنها ليست الا وسيلة لاغراء العدو بقصفها ، مما يهدد سلامة القطعات الموجودة حولها بالخطر .

وكان رونشتد وهيئة ركنه في جهل مطبق لهـذا العمل السري ، لذلك استفسر رونشتد من المقر العام عن الغرض من هذه المنشآت ، فدهش الذين كانوا في مقر هتلر عندما علموا بأن القيادة الغربية لم تخبره ذلك، ووعدوا بأصلاح هذا الخطأ غير المتعمد ، وتم ذلك شفهياً فقط مع التشديد على الحرص التـام على سر هذه المنشآت ، وفعلا قام بضعة من ممثلي عينة الجيش وشعبـة التموين ولواء من المقر باخبار رونشتد خلال الاسبوع التالي بالمعلومات التالية :

بعد فترة قصيرة سيجري استخدام اسلحة جديدة مبتكرة في الغرب قـد تكون حاسمة النتائج : سلاح النصر الرقم ١ ،وسلاح النصر الرقم(٢) ؛ وكان السلاح الرقم (١) نوعاً من انواع الصواريخ الكبيرة ينفجر عنـد الاصطدام انفجاراً هائلا ، وقد ترك امر صنعه واستخدامه للقوة الجوية ، وسيجري رمي هذا السلاح من مواضع عديدة انشئت خاصة لهذا الغرض على غرار مواضـع بطرية ثقيلة ، وكانت طريقة الرمي لا تزال سراً مكتوماً؛ غير ان السلاح الرقم (٢) كان قذيفة صاروخ اخترعه اللواء (دورن بيركر) من شعبة عينة الجيش، وكان تأثيره اشد كثيراً من تأثير السلاح الرقم (١) ، لذلك كان هـذا السلاح شبيهاً بخواص المدفعية الثقيلة جداً ، وكان لكلا السلاحين مدى طويل للغـاية ،

يمكنها من الوصول الى مسافة بعيدة في جنوب انكلترا . وبعد وقت متـــأخر وصـــل امر هتلر الذي ينص على إشتراك رونشتد بالاستخدام التعبوي لهـذه الاسلحة ، ولهذه الغاية وضعت بأمرته هيئـــة ركن خاصة ، اخفيت حقيقتها عمداً بالاسم التـــالي : — (المقر العام للاستخدام الخاص) ، وكانت هذه الهيئة مؤلفة من ضباط ومهندسين من القوة الجوية وشعبة التموين وعينة الجيش وبعض ضباط المدفعية الثقيلة ، ولكن سرعان مـــا استبان ان هذين السلاحين لا سيما الرقم (٢) لن يكونا معدين للاستعمال قبل مضي وقت طويل ، لانهما كانا لا يزالان رهن التجارب ، وقد بدت اخطاء كثيرة متنوعة في صنعهما ، وذلك في التجارب التي جرت في شرق المانيا. لقد قيل ان مدى السلاح الرقم (١) يتراوح بين (١١٠ — ١٢٥) ميلاً ، ومـدى الرقم (٢) يتراوح بين (١٦٠ — ١٩٠) ميلاً ، وان تحسيناً آخر قد يؤدي الى رفع مداه الى خمسمائة ميل او الى اكثر من ذلـك فيما اذا سمح الوقت ، وكان المفروض ان السلاح الرقم (١) يستخدم اولاً ولم يكن وقت استخدامه معروفاً ، وكانت مواقع السلاح قـــد انتشرت بين (كاليه) ومصب (السين) وجرى ترتيبها وانشاؤها بشكل ابنية ريفية ، الا انه سرعان ما انكشفت هذه الاستحضارات لوكلاء العدو ولقوة الحلفاء الجوية ، ففرشت منطقتها ببساط من القصف ، وقـد كانت مواضع السلاح الرقم (٢) بارزة للعيان بوضوح مما جعلها أهدافاً مناسبة للقصف المعادي. واقترحت القيادة الغربية بعد التجارب القاسية انشاء مواضع السلاح الرقم (١) بأسلوب اكثر بساطة وبصورة طبيعية ، حتى لا تكون واضحة للعيان ، فوافق هتلر على ذلك وبدأ انشاء هذه المواضع بشكل جديد يتراوح عددها بين التسعين والمائة .

وعندما بدأ الغزو عام (١٩٤٤) ، كان قد تم إنشاء ما يتراوح بين (٩٠ — ١٠٠) موضع من هذه المواضع بين كاليه وهافر . وكانت قضية السلطة المهيمنـة على هذين السلاحين غير واضحة ايضاً ، فقـد كان وراء السلاح الرقم (١) القوة الجوية ، ووراء السلاح الرقم (٢) عينة الجيش وشعبة التموين ، وكان بناء المواضع

مختصاً بمنظمة (تود) ، وكان الاستخدام التعبوي منوطاً بالقيـادة الالمانية ، وعنـدما كان السلاح الرقم (٢) جاهزاً الى حـد ما للاستعمال ، انتزعه رئيس الغستابو[١] هملر من الجيش !

كون رونشتد رأياً حذراً عن هذين السلاحين ، فقد اقتنع بأنهما من غير شك يؤديان الى التدمير ، ولكنهما لا يؤديان الى نتيجة حاسمة في الحرب ، وفضلاً عن ذلك كان في السلاح الرقم (١) نواقص معينة ... وقد حدث في بعض الاحيان ان انحرف هذا السلاح الطائر عن اتجاهه نحو العدو الى الخلف، فسقط في بلجيكا! وكان سبب ذلك يعود الى أخطاء في صنع جهاز قيادة هذا السلاح ، وقد خشي رونشتد ايضاً من ازدياد فعـالية العدو الجوية في منطقة الجيش الخامس عشر ، فيؤدي الامر الى وقوع خسائر في قطعاتنا تنوف على خسائر العدو في انكلترا . على كل كانت مشكلة هذين السلاحين الجديدين بكاملها فنية للغاية، وقد استخلص رونشتد وهيئة ركنه ما أمكنه استخلاصه من معلومات عنهما من هيئة الركن الخاصة التي بامرتهم .

جرى استخدام السلاح الرقم (١) ليـلة ١٢/١٣ حزيران (١٩٤٤) ، ولم يستخدم السلاح الرقم (٢) إلا في خريف (١٩٤٤)، وبطبيعة الحال كانت المفارز الفنية لهذين السلاحين تحتاج الى قطعات مدربة تدريباً خاصاً .

لقـد حدثت صدفة في مايس (١٩٤٤) أن أمر هتلر باجراء الرمي لأول مرة يوم ٦ حزيران أي في نفس يوم ابتداء الغزو .

كانت منشآت السلاح الرقم (٢) تقع بصورة رئيسية حول (آراس) في

---

(١) الغستابو : اسم هيئة الامن كما يطلق عليه في العراق ، وهيئة المباحث كما يطلق عليه في الجمهورية العربية المتحدة .

(المعرب)

(كونتلنماتن) بين (كان) و (سنت لو) ومن ثم نقلت في وقت متأخر جداً الى هولندا .

جرت العادة في الجيش الالماني السابق على اصدار أوامر ووصايا ، وليست الوصايا امراً جازماً ، بل توجيهاً عاماً من القيادة العليا الى القادة الأقدمين حول الواجبات والنيات والخطوط الرئيسية لحركة مدبرة . لقد كان هذا الاسلوب اعتيادياً في الايام السالفة لا سيا في زمن مولتكة وشليفن ، وقد طبقته هيئة الركن الالمانية العامة في الفترة بين (١٩١٤ — ١٩٣٩) .

يؤخذ في هذه الوصايا بنظر الاعتبار المركز السامي والخدمة الطويلة وتجارب واستقلال القادة الأقدمين في العمل ، كما ان الوصايا تترك الحرية للقائد في تنفيذ الحركات كما يتطلبه الموقف .

على كل حال ، اختفى هذا الاسلوب الحصيف منذ سنة (١٩٤٢ — ١٩٤٣) بعدما استلم هتلر قيادة الجيش العليا . وعندما اصبح قائداً أعلى ، أصدر أوامر مفصلة شخصياً او بوساطة هيئة ركنه دون ان يأخذ بنظر الاعتبار رتبة القائد مشيراً كان او عقيداً !!!

أدرك رونشتد منذ عام (١٩٤٣) بأن يديه ستكونان مغلولتين فيما اذا لاح خطر الغزو او أفلح العدو في الانزال ، إذ انه لا يكون قادراً حينذاك على ان يعمل بحرية تعوّدها خلال خدمته الطويلة البالغة احدى وخمسين سنة ، بل سيضطر الى ان يلتمس الموافقة قبل ان يُصدر اي قرار ، لذلك دأب على المطالبة بالحرية في العمل وباصدار وصايا عامة تصدرها له القيادة العامة ... ولكن مطاليبه ذهبت ادراج الرياح .

غير ان رونشتد اتخذ موقفاً عملياً ، فأصدر اوامره للفحص بصورة نموذجية عن جميع نقاط الضعف في القيادة الغربية ، ولانجاز هذا الواجب شكلت هيئات

ركن في جميع الجيوش التي كانت بامرته ، تتألف من ضباط من الجيش والقوتين البحرية والجوية ومن صنف الهندسة والمدفعية والدفاعات المضادة للدبابات ومهندسين من منظمة (تود)، وكان على رأس كل هيئة من هذه الهيئات المختلطة لواء من الجيش .

كانت تقارير هذه الهيئات تقدم الى قائد الجيش المختص ، ومن ثم تقدم الى رونشتد من قادة الجيوش مشفوعة بمطالعاتهم . ولغرض انجاز هذا الفحص النموذجي بأكبر ما يمكن من الدقة ، زُوّدت هذه الهيئات بمجموعة من الاسئلة تتعلق بكل الدوائر للاجابة عليها ، وفضلاً عن ذلك منحت هذه الهيئات وقتاً طويلاً للقيام بمراقبة شاملة لمختلف القواطع في الجبهة الواسعة بكل حرية .

كانت اهم الاسئلة ما يلي :

١ – الحالة الراهنة وقيمتها العسكرية والصلابة والتجهيز والتنظيم وتدريب القطعات .

٢ – ابداء الرأي فيما اذا كانوا جاهزين للقتال أم أن هناك ما يحول دون ذلك .. وهل انهم صالحون للتعرض أم للدفاع فحسب .

٣ – فحص التحصينات الساحلية الدائمية وتحصينات الميدان المرتجلة كذلك .

٤ – قوة وتنظيم الحامية والاحتياطات والاسلحة والدفاعات .

٥ – هل التعاون بين عناصر القوة المسلحة الثلاثة وثيق ؟

٦ – فحص الخطة النارية للمدفعية والاسلحة الثقيلة

٧ – هل كانت جميع التحصينات مزودة بصورة حسنة بالعتاد والخدمات الطبية والمدخرات والماء ؟...

٨ – هل كان نظام المواصلات بين جميع عناصر القوة المسلحة الالمانية فعالاً ؟

٩ – ما هي التدابير المتخذة لمعالجة قطعات المظليين والقطعات الهابطة خلف التحصينات ؟

١٠ – هل وضعت الاحتياطات بصورة تتيح تحريكها بسرعة ؟

هذه هي أهم نقاط الاسئلة التي اصدرها رونشتد ، وقد طلب من القائدين العسكريين لباريس وبروكسل اللذين لم يكونا بامرة القيادة الغربية ، ان يشتركا في فحص استحضارات منطقتيهما للدفاع .

وقد عُين ضباط من هيئة ركن القيادة الغربية للفحوص المشار اليها ، وبذلك امكن اصلاح نقاط الضعف التي يمكن تصليحها محلياً . أما ما يتعلق بالقضايا التي يصعب اصلاحها ، فقد تقرر تقديم تقرير عن نتائج الفحص الذي جرى في الخريف الى هتلر شخصياً ... وقد قُدم هذا التقرير فعلا ، أما ما حدث بعد ذلك فسنذكره فيما بعد . لقد أشعر رونشتد مقر الجيش الالماني خلال اواخر الربيع بدافع من ابداعه ، بأن ايطاليا قد تنحاز الى الحلفاء نظراً لتردي الموقف العام فيها !

وقد ارسل هذا الخبر الى مقر هتلر ببرقية مقتضبة ، غير أنه لم يحظ بجواب ، ولكن هذا الموضوع نوقش هاتفياً بين هيئة ركن رونشتد وبين مقر الجيش .

لقد انتهت الحرب في افريقيا باندحار المحور ، وكان الحلفاء قد نزلوا في صقلية ، وكان واضحاً بأنهم قد يعبرون من هناك وادي (مسينا) الى ايطاليا الجنوبية ، وكانت جميع المعلومات تؤكد بأن القطعات الايطالية تقاتل بدون اي رغبة ، وكانت القطعات الالمانية في ايطاليا قليلة جداً ، اذ كان المؤمل من

الايطاليين الدفاع بفعالية عن بلادهم على الاقل ، ولكن هذا الامل كان في غير محله . لقد كان تمرد الدوائر المتنفذة ضد موسوليني يزداد باطراد ، ولم يخف اغلب الضباط لا سيما ضباط الجيش اخلاصهم للملك .

ولم تعد المانيا قادرة على تزويد ايطاليا بمساعدات عسكرية وصناعية مؤثرة ، وكان على الايطاليين ان يقاسوا من فقدان ممتلكاتهم في افريقيا ، والآن يرون العدو يتهيأ لقهر ايطاليا نفسها من الجنوب .

لقد كان واضحاً لرونشتد منذ امد طويل ، ان ايطاليا قد تنحاز للحلفاء ، وان نتائج ذلك على القيادة الالمانية ستكون خطيرة جداً ، اذ تكون منطقة القيادة مهددة باستمرار من الجنوب ، أي من ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، ولكن اذا استولى الحلفاء على شمال ايطاليا ، فانهم حين ذلك سيكونون وراء الدفاعات الغربية ، وبذلك تتمكن اسرابهم من العمل ضد المانيا بسهولة من قواعدها الجوية في وادي (البو) ، كما يمكنهـا العمل من الجنوب الشرقي لايطاليا ضد فرنسا .

كان رونشتد يخشى ألا يجشم الحلفاء انفسهم مشقة اخضاع ايطاليا بكاملهـا تدريجياً على البر بهجمات اسلوبية بطيئـة ، فقد كان قلقاً جداً من انزال سريع في خليج (جنوى) او في (البندقية [١]) ، اذ يؤدي ذلك الى اجتناب كافـة قتال الجبال المستحضر من (سالابريا) الى (البو) ، كما ان ذلـك لا يؤذي ايطاليا فحسب ، بل المانيا والقيادة الغربية بصورة غير مباشرة في مراكز حيوية... ومن الواضح ان الحلفاء فكروا في هذه الخطة ، ولا بد انهم لم ينفذوها لأسباب وجيهة ، غير ان رونشتد لم يكن على علم بتلك الاسباب في عام (١٩٤٣) . ان من يسيطر على ايطاليا يسيطر ايضاً على (سردينيا) و (كورسيكا) وعلى

---

(١) فينيسيا .

ساحل البحر الابيض المتوسط ، ومعنى ذلك تهديد الدفاعات الغربيــة من الجنوب ، خاصة وان ساحل فرنسا الجنوبي الذي جرى احتلاله لأول مرة في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) ، لم يحصن بعد تجاه أي مقصد او غرض، بل رسمت ووضعت خطط تحصينه فقط دون تنفيذها !!

كانت القوات الالمانية بين الحدود الاسبانيــة بالقرب من (فندرس) و (طولون) ضعيفة جداً ، وكانت مدفعية الساحل رديئة ، وكان على هــذه الوحدات ان تعتمد على تحصينات الميدان على قدر الامكان في النقــاط الهامة جداً على الاقل ، وكان هناك فرقة او فرقتان من الفرق المدرعة الغربية الطراز في وادي (الرون) وحول (طولوز) ، ولكن كافــة القطعات كانت تبدل باستمرار لاستخدامها في الجبهة الشرقية ، وكانت القوتان البحرية والجوية الالمانية في سنة (١٩٤٣) اضعف بكثير من ان تتمكن من حماية هذه الجبهة الجنوبيـة الجديدة .

ولكن ما الذي سيحدث فيما اذا اضيف الى ذلك امتناع الجيش الايطــالي الرابع بين (طولون) و (منتون) والذي كان يخضع لأوامر رونشتد التعبوية – اذا امتنع هذا الجيش عن القتال ؟ وما هو موقف القيادة الغربية تجـاه هـذا الجيش ؟ وأين هي القطعات التي ستحل محله؟ لقد كان الجواب وقتذاك بسيطاً: لم يكن هناك ابداً أية قوات متيسرة لاستخدامها بدلاً عن ذلك الجيش ! وربمـا يتسلم الجيش الايطالي اوامر من روما لقتال الالمان، فما الذي سيحدث حينذاك؟ كل هذا يفسر لماذا رفع رونشتد قبل اشهر من انهيار ايطاليا عدة تقارير لهتلر تنذره بهذه العواقب، وكان من المناسب اجتناب كل ما يؤلم القطعات الايطالية او هيئة الارتباط الملحقة بالقيادة الغربية . لقد وجد اعضاء هذه الهيئة انفسهم في موقف صعب ، فهم كوسيلة من وسائل السياسة ، استلموا بطبيعــة الحال وصايا سرية من روما، ولكنهم كانوا من الناحية الاخرى مرؤوسين لرونشتد... لقد سهلت حكمة رونشتد موقفهم ...

عيّن هتلر الفريق (كودريان) في نهـاية صيف (١٩٤٣) مفتشاً لصنف الدروع ، وبذلك اعتلى أكفأ رجال هـذا الصف أسمى منصب فيه ، ولكن تعيينه هذا كان مفيداً ايضاً لارشاد القيادات العليا - قيادات جحافل الجيوش وقيادات الجيوش التي كانت بامرتها وحدات مدرعة الى ما يتعلق باستخدامها الصحيح تعبوياً وسوقياً .

ينبغي ان نعرف بأن اكثر القادة الاقدمين ومن ضمنهم اغلب ضباط الاركان العامة ، لم يخدموا بصنف الدروع ، وليس من شك في ان الاستخدام التعبوي والسوقي لهذا الصنف ربما كان يجري بصورة افضل في سني (١٩٣٩ - ١٩٤٣) لو ان استخدامه كان مفهوماً بشكل أوضح عند القادة الأقدمين .

لقد كان واجب كودريان إنعاش هذا الفهم بين القادة الأقدمين ، ولم يكن هذا واجباً سهلاً ، لأن كودريان لم يكن بامكانه ان (يأمر) ولكن كان بامكانه ان (يلتمس) و (يُقنع) فحسب؛ ولأنه لا يستطيع الحضور في جميع الجبهات في آن واحد ، وكثيراً ما كان عليه ان يحضر في مقر هتلر او في محل آخر ، فقد استحدثت مناصب اضافية للدروع في أغلب القيادات المهمة ، وعين في القيـادة الغربية اللواء (بارون كيرفون جوبن بيرك) قائداً لقطعـات الدروع الغربية ، وكان ملحقاً بهيئة ركن رونشتد ومستشاره في كافة قضايا استخدام الدروع .

كان اللواء (بارون كيرفون جوبن بـيرك) من (روتنبرغ) ومن صنف الخيـالة ، وكان ضابط ركن معروفاً في كافة الاوساط بثقـافته العالية ، وكان متفقاً مع رونشتد في الآراء السوقية ، إذ كلاهمـا يعتبر قابلية الحركة الجوهر الوحيد لفن الحرب الحقيقي ، لذلك فقد فضّلا وجود احتيـاط سيار قوي من الدروع تحت تصرف القيادة الغربية العليا ، وتصوروا ان تكون هذه الاحتياطات عدداً من فرق الدروع في جوار باريس ...

وفي تشرين الاول (اكتوبر) عـام (١٩٤٣) ذهبت بصحبة رونشتد الى

دعوة خاصة في سانت جرمان ، وبينما كانت الجوقة تعزف بـ (البيـان) دعيت فجأة الى الهاتف للتكلم مع مقر الجيش ، فأخبرت بجمل مقتضبة بأن ايطاليا قد انحازت الآن نهائياً وعلناً الى الحلفاء ...

لم يباغت رونشتد بهذه الأنباء ، ولا أراني بحـاجة الى القول بأن الدعوة انتهت حالاً ...

كانت ايطاليا مهمة جداً بالنسبة لموقف المانيا العـام ، لهذا قرر هتلر مصيباً الثبات في ايطاليا، ولو انه لم يقرر ذلك لاندحر الرايخ الالماني من اتجاه الجنوب، ولتسنى لقوات الحلفاء الجوية استخدام شمال ايطاليا قاعدة لهجومهم ، وقـد أرسل هتلر الفرق الالمانية لاسناد القائد العام في الجنوب الغربي المشير (كيسرلنك) عندما بدأت روح القتال الايطالية تتردى يوماً بعد آخر ، فنقلت هذه النجدات من فيينا وميونيخ بالسكك الحديدية عـبر الالب او من الغرب عبر مضيق (مونت سنيس) بالقطار على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط ماراً بطولون – نيس – جنوى – الى ايطاليا . وكان خط السكة الحديدية من ليون خـلال مونت سنيس والى تورين يمر على ارتفاع يربو على (٦٥٠٠) قدم خـلال نفق مونت سنيس ، فاذا ما احتل او نسف هذا الجزء من الخط ، تعطل القطـار واقتضى حينذاك تفريغ جميع القطارات من الجهة القريبة من النفق المخرب ، ومن ثم اجراء التحميل مرة اخرى من الجهة البعيدة منه ، غير ان كلا الخطين يمر خلال جبهة الجيش الرابع الايطالي والمنطقة الايطالية في شرق الرون . لقد كان من واجب القيادة الغربيـة نقل بضع فرق اكثرها من احسن الفرق الى شمال ايطاليا ، وقد أرسلت فرقتان من هـذه الفرق على طريق السكة الحديدية الساحلية ، كما ارسلت فرقتان اخريان عبر مونت سنيس ، وعلى الرغم من عدم اعلان تخلي ايطاليا رسمياً الا ان الجيش الرابع الايطالي استلم وصايا سرية من روما ...

ولغرض تسهيل موقف الجيش الرابع الايطالي ، وضعت الفرق الالمانية التي كانت في منطقة الايطاليين بامرتهم مع التماس السماح لها بالمرور عبر الحدود الايطالية ... لم يكن بمقدور ررنشتد ان يتصرف بحكمة أكثر مما فعله تجاه حليف عاق ... لقد بقيت هذه الفرق الالمانية أياماً في منطقة الجيش الايطالي ثم اعيدت ثانية الى شمال ايطاليا ببطىء شديد ، فأي موقف نادر هذا الموقف؟!

ظهر أثر تبدل الوضع في ايطاليا واضحاً في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، وليس هناك من يلوم هتلر لصرامة رد فعله ، فقد امر اولاً القيادة الغربية ان تجرد جزء الجيش الرابع الذي كان بامرتها فوراً من السلاح ، وكان هذا الاجراء لسوء الحظ ضرورياً في مثل هذا الموقف ؛ ويمكن القول عموماً بأنه تمّ بدون صدام، فأصبحت بذلك الجبهة الفرنسية الجنوبية بكاملها من ميناء (فندرس) الى (مانتون) تحت سيطرة الالمان فقط ، وشكل من اجل ذلك الجيش التاسع عشر بقيادة اللواء القدير فون (سودنستيرن) .

امر هتلر بأن تسأل مفارز الجيش الايطالي المجرد من السلاح ، فيما اذا تريد طوعاً الاستمرار على القتال بجانب الالمان أم لا؟ لقد كان امراً طبيعياً أن يرفض الايطاليون .. ولم توافق على القتال بجانب الالمان سوى بضع وحدات من المدفعية ، فوضعت بجانب الالمان على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، لأنها بطريات ساحلية ، ولكنها أصيبت بعد ذلك بمرض الحنين الى الأهل والديار ، وكان رونشتد كريماً ، فسمح لهم بأن يعودوا أدراجهم الى ايطاليا بدلاً من أسرهم ...

كان الموقف بكامله حرجاً ، لا سيا بالنسبة الى هيئة الارتباط الايطالية الملحقة بالقيادة الغربية ..

كان اللواء الممتاز (مارازاني) قد سبق استدعاؤه مبكراً ، وقد حاولت القيادة الغربية مساعدة بقية أعضاء الهيئة المؤلفة من ستة ضباط وعدد من ضباط

الصف بكل طريقة ممكنة ، فذهبنا معهم مرة الى الاوبرا في باريس ، وحتى الى (كوك) الشهيرة . لم يتمكن الايطاليون من تفهم موقفنا على حقيقته ، وحتى اليوم لا يزال عدد من هؤلاء الضباط الايطاليين يراسلون رونشتد ويراسلونني ، كما أن رئيس دائرة الجمهورية الايطالية اللواء مرازاني لا يزال يراسل رونشتد ، كما يفعل ذلك المقدم المتقاعد سكنوريني الذي يمتلك فندق فلورا الشهير في روما .

حدثت في هذا الموقف المرتبك حادثة خطيرة واحدة فقط ، وكان ذلك في مونت سنيس . لقد ذكرنا سابقاً أهمية مونت سنيس ، لذلك اعتبر هتلر وقوع هذا النفق المهم سالماً بيد الالمان كسباً كبيراً لهم ، اذ تمكنت القطعات الجبلية من الاستيلاء عليه بالمباغتة ، ولكن عندما تقدمت مفارز صغيرة فيه واجهتها مقاومة عنيفة عند مدخله الشرقي من القطعات الجبلية الايطالية ، ولقد نسف القسم الشرقي منه الذي كان محاطاً بأسلاك كثيرة ، فانهمر الماء في داخله ! وقد حدثت خسائر نتيجة لغازات المتفجرات ، وبذلك أصبح موقف هذه المفارز الالمانية الصغيرة صعباً .

ولأجل احتلال الهدف بسرعة ، تسلقت مفارز أخرى من القطعات الجبلية كلتا جهتي النفق وعلى السطح الشرقي للممر ، وكانت المدفعية تسند هذه المفارز اسناداً جيداً ، فسقط هذا الهدف الهام بيد الالمان ، ومن بعد أصلح القسم المنسوف الى حد ما بعد شهرين من الاستيلاء عليه .

كيف كانت الأمور شرقي (منتون) أي في (الرفييرا) الايطالية ؟ هل كان القائد العام في الجنوب الغربي (كيسرلنك) يمتلك قوات كافية هناك لصد إنزال الحلفاء المتوقع في خليج جنوى ؟ لقد أصبحت القيادة الغربية والقيادة الجنوبية الغربية الآن متجاورتين بالقرب من (منتون) . كان (كيسرلنك) لا يزال يقاتل في جنوب ايطاليا ، فلم يكن بإمكانه الدخول في ميدان الحركات الذي كان

سينزل اليه الحلفاء بصورة مفاجئة بالقرب من جنوى ، ولذلك أصبح على رونشتد أن يجعل قواته الضعيفة باستثناء حاميات الساحل جاهزة للتقدم الى ايطاليا نحو جنوى ، ولو أن الحلفاء نزلوا هنا في (١٩٤٣) لما صادفوا مقاومة تذكر .. ولو أنهم قاموا بالهجوم نحو الغرب أي عبر الألب باتجاه (ليون) لسيطروا على قوات القيادة الغربية من الخلف ، ولو أنهم خلال هذه الأسابيع جسوا النقاط الضعيفة بين (موناكو) و (طولون) لواجهوا مقاومة ضعيفة فحسب ، لأن هذا القاطع لم يكن مهيئاً للدفاع بدرجة مرضية ، بعد أن تركه الجيش الايطالي الرابع ، ولأمكنهم الاندفاع حينذاك الى الأمام نحو (ليون) ، أو التوغل حالاً نحو الشرق الى شمال ايطاليا عبر الألب .

لقد ازدادت مسؤولية القيادة الغربية باضافة جبهة واسعة اليها بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك) ، وقد جرى في هذه الجبهة احتلال الممرات الجبلية الحيوية فقط بطريقة أمكن معها الاستفادة من التحصينات الفرنسية - الايطالية ، وكانت هذه النقاط القوية قد انشأت على أسس الدفاع من جميع الجهات ، لأنه لم يكن معروفاً عن تطورات القتال فيما بعد شرقاً أم غرباً ؛ وهكذا سبب انهيار ايطاليا نتائج خطيرة للقيادة العامة الالمانية عامة والقيادة الغربية خاصة .

امتدت منطقة رونشتد وجبهاته الى أبعد من هذا ، فاقتضى نقل خير فرقه الى ايطاليا ، كما احتل الجبهة الجديدة بقطعاته ايضاً ، فأثر كل ذلك على الجبهة الرئيسية في القنال والاطلسي .

ولأجل تعويق تقدم العدو على الأقل نحو الشمال او باتجاه الغرب في حالة حدوث انزال الحلفاء على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، امر رونشتد باقامة عوائق دفاعية لحماية الطرق التقربية ، وكانت هذه العوائق مرتبة الواحدة تلو الاخرى في اودية الرون والكارون ، غير انه كان واضحاً بأن مثل هذه

الاساليب الواهنة لا تحبط ابداً هجوماً جدياً . يستطيع القارىء ان يكوّن فكرة عن صعوبة الواجب اذا قاس كافة جبهة رونشتد على الخريطة ، فقد كانت تمتد الى حوالي (٢٥٠٠) ميل ، اذا اخذنا الخلجان والهضاب الكثيرة لساحل القنال المحتل بنظر الاعتبار .

لا يمكن الاحتفاظ بمثل هذه الجبهة الواسعة بدفاعات مستكنة غير سيارة ، وبخليط من القوات المتفاوتة في قابلياتها تتراوح قوتها بين (٥٠ — ٦٠) فرقة ، الا بالخيال البعيد عن الواقع .

ينبغي دراسة الخريطة بعناية فائقة لتفهم الموقف بوضوح ، وبذلك يتسنى لنا ان نعرف لماذا اراد رونشتد ان يدير الحرب الدفاعية في الغرب على اسس تختلف تماماً عما يريده هتلر والاصرار على تطبيقها بكل دقة . لم يكن هناك احتياط قوي من صنف الدروع تحت تصرف رونشتد في المنطقة الكائنة حول باريس وجنوبها ، فهناك بضع فرق مدرعة خلف الساحل المشغول بحاميات ضعيفة ، غير ان قتالها في الشرق كان قد انهكها ، وسرعان ما تحركت الى ايطاليا او اعيدت الى الجبهة الشرقية ، وكانت هناك ثغرات واسعة في المنطقة الشاسعة ، وكان بالامكان الحركة بالسيارة ساعات طويلة في الغرب دون مصادفة قطعات المانية مقاتلة ، لذلك كان عمل (حركة الانصار) الفرنسية سهلاً !!

وزعت تشكيلات مستجدة ضعيفة اخرى لكي تشاهد البزات العسكرية الالمانية في منطقة الساحل ، وكان مقر الجيش الالماني قد ارسل قطعات اجنبية باستمرار من الجبهة الشرقية الى القيادة الغربية لهذا الغرض ، وكانت هذه القطعات مؤلفة من متطوعين فارين من الاتحاد السوفياتي وكانوا بصورة رئيسية من القوزاق ومن جورجيا والأرمن ... الخ من المتطوعين للخدمة ، اذ قد نقلوا الى المنطقة الغربية لئلا يتعرضوا للانتقام الروسي منهم ، وكانوا بامرة قائد

القطعات الشرقية (اللواء الخيـــال كوى سترنك) الذي كان وثيق المعرفـة بالشرق منذ سنين عديدة خلت . حذر رونشتد مقر الجيش الالمـاني من خداع خرائط الموقف ، فان هذه الخرائط التي كانت عادة بمقياس (١/ ١٠٠٠٠٠٠) لا تقتصر على خطوط الجبهات على حافة الساحل فحسب ، بل مؤشر عليهـــا جميع القطعات التي كانت هناك بأعلام صغيرة زرقاء !. ان الشخص الاعتيادي الذي ينظر الى هذه الخرائط يرضى ويسره تصوّر الجبهات بهذا الشكل الجذاب ويرى ان المناطق الخلفية مغطاة بقطعات كثيفة ... ان هــذه الخرائط تظهر دائماً مليئة جداً ... ولكن هيئة الركن التي تدرس مثل هــذه الخريطة ، تعلم بأنها تمثل خدعة للأبصار ، لأن خطوط الجبهة الجميلة التي توحي بالثقة ، كانت في الحقيقة ضعيفة تكتنفها الثغرات الواسعة ، وكانت الاشارات الكثيرة التي ترمز الى القطعات غير صحيحة في دلالتها ، وهكذا كانت هـــذه الخرائط وسيلة للتضليل ؛ ولو ان فنـــاناً اراد المزاح فجعل جميع هذه الرموز كبيرة جداً وواضحة ، لأصبحت مثل هذه الخرائط ذات تأثير خطير .

كثيراً مـا حذر رونشتد رؤوساءه في مقر هتلر من سراب هذه القطعات ، اذ لم تكن القطعات موجودة في الواقع ، ولم يكن بامكان مثل هذه الخرائط ان تبين فيما اذا كانت الامور تسير سيراً حسناً ام انها ليست على ما يرام ، وفيما اذا كانت القطعات قوية او انها وحدات رديئة !!

قبل ان ننتقل الى مذكرة رونشتد الخطرة التي عـالجت خطورة الموقف في الغرب ، نورد قصة استمتع بها المشير في وقتها .

سبق أن وصفنا مدى الصعوبات التي اكتنفت فترة انهيار ايطاليـــا ، تلك الصعوبات التي جابهناها عند إمرار الفرق الالمانية الى ايطاليـا خلال المنطقة التي احتلها الجيش الايطالي الرابع ، وذكرنا انتظار عدد من الفرق عـاطلة لمدة ايام حول مدينـة (كان) و (نيس) و (موناكو) للشروع في الحركة ، فاستغل

بطبيعة الحال الضباط وضباط الصف والجنود فترة الانتظار القسرية لزيارة منطقة (الرفييرا) الجميلة . كان ملازم شاب يستحم في شاطىء (موناكو) ، فتعرف بسيد وسيدة كانا يستحمان ايضاً . دُعي الملازم لحضور حفلة رقص في المساء ، فلم يرفض الدعوة طبعاً ، وأبدى الضابط الشاب شعوراً رقيقاً نحو الآنسة ، فأعلنا رغبتهما في الاقتران ، غير انه استبان بعد ذلك ان هذه الآنسة الصغيرة كانت ذات قربى وثيقة بأمير موناكو الحاكم ، لذلك اقتضى فتح مداولات رسمية ، لأن هذه الحادثة لم يكن لها سابقة .

اقتنع الامير بتزكية آمر كتيبة الملازم السعيد ، فاقتضى الامر ان تعرض المسألة على رونشتد وعلى دائرة الامور الذاتية في المانيا ، ولما كان الامر يتعلق بقريبة الامير الحاكم في (موناكو) التي لم تكن في حالة حرب ضد المانيا، تدخلت الدبلوماسية في الموضوع ، فأخبر السفير الالماني في (موناكو) الذي كان قد أعيد الى منصبه في ديوان وزارة الخارجية الالمانية بهذه المسألة المعقدة، فنشطت هذه الحرب الورقية بعنف ، لأن الآنسة كانت اجنبية ، واخيراً أصدر هتلر قراراً ضد الملازم المسكين .. مما أسف له رونشتد أسفاً شديداً ...

أوجزنا سابقاً بأن رونشتد اصدر وصاياه حول فحص شامل لجميع التدابير الدفاعية ، وانه شكل لهذا الغرض هيئات مختلطة كان عليها القيام بتفتيش دفاعات الساحل على هدي مجموعة من الأسئلة ، وقد وضعوا في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) تقارير مسهبة قدموها الى القيادة الغربية ، فأصبح بالمقدور صياغة مذكرة عن الوضع السائد في الجبهة الغربية .

عزم رونشتد دون ان يكون مسرفاً في التشاؤم ، على اعطاء هتلر صورة واضحة للموقف العسكري في الغرب . ان من المهم بيان هذه الحقائق لكي نتفهم كيف ان النجاح لم يكن ليقتصر سنة (١٩٤٤) على الانزال التاريخي في (نورماندي) ، بل انه سيحالف اي غزو في اي مكان آخر ..

وفيما يلي خلاصة مقتضبة للمذكرة :

١ - كانت خيرة القطعات قد نقلت الى ايطاليا والى الجبهة الشرقية ، وكان في منطقة القيادة الغربية بين (٥٠ - ٦٠) فرقة ، ولكن ما حقيقة هذه الفرق؟ لقد كانت فرقاً ساحلية ، تقيم دوماً في قواطعها المحصنة ، اي ان واجبها الرئيس هو صد الغزو ، وكان لها جبهات تتراوح بين (٢٥ - ١٠٠) ميل وحتى اكثر من ذلك، وفي خليج (بسكاي) جنوب (بوردو) كانت القواطع واسعة سعة تضطر آمر السرية الى استعمال دراجة عند تفتيش مواضع سريته ، ويحتاج الى يوم كامل لانجاز ذلك !!

لم تكن هذه دفاعات ، حتى ولم تكن مواضع محمية ، بل كانت مجرد مراكز مراقبة ساحلية ..

كان في قاطع (اوسلند - ابيفيل) أقوى حامية بالقياس الى القواطع الاخرى، ومن بعد ذلك يصبح الخط اضعف حتى(الهافر)،وكان في (نورماندي) و (بريتاني) قطعات قوية في القلاع ، ولكن ما بينها كان خفيفاً كالهواء ، ولم يكن بين (لاروشيل) و (بيارتيس) سوى مراكز المراقبة الساحلية التي تحتلها فرقتان او ثلاث فرق ضعيفة مسؤولة عن حوالي ثلاثمائة ميل . وكان بجوار (البرانيس) مجرد حماية للممرات الهامة جداً في الارض الفرنسية ، وكانت جبهة البحر الابيض المتوسط من (فندرس) الى (منتون) في طريقها الى الانشاء ، ولكن لا عدد الفرق ولا قيمتها العسكرية ولا التحصينات كافية للدفاع ضد هجوم الحلفاء .

اما في جبهة الألب بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك) ، فلم يكن هناك سوى نقاط قوية في الممرات القليلة، وبالاضافة الى هذه الفرق الساحلية الدائمية ، كان عدد الفرق متغيراً ، وكانت هذه إما من ضمن مجموعة الساحل واجبها واجبات الفرق الساحلية، وإما كانت في الخلف احتياطاً

قريباً ، ولكن كثيراً من هذه التشكيلات كانت قد أعيد تنظيمها في وقت قصير ودون تدريب كاف . لقد كانوا يسمونها فرقاً ولكن كفاءتها في القتال كانت مختلفة ، وكان هنـــاك ايضاً ما ذكرنا مراراً ، وهو الفرق المستجدة التي كان ينبغي لها في الحقيقة ان تمكث في المانيـا ولكنها نقلت الى الغرب لكي تحسب فرقاً عسكرية حقيقية ، وكان على هذه التشكيلات المستجدة ان تحتل في بعض الاحوال قسماً من الساحل للقتال في الحالات الضرورية ، كما كان عليها ان تنشيء المواضع وتدرب مستجديها ليرسلوا من بعد امدادات للشرق ، وكان في منطقة رونشتد القطعات الشرقيـة الروسية بمختلف انواعها منظمة بأفواج واحيـانـاً مندمجة في الفرق الالمانيـة لتحل محل الافواج الشاغرة ؛ واخيراً كانت هنـاك قطعات الأمن التي بامرة القائدين العسكريين لباريس وبروكسل والتي أعيرت الى القيادة الغربية لغرض الدفاع الساحلي .

لقد كانوا بصورة عامة خليطاً مختلفاً من جميع التشكيلات الممكنة ، وكثيراً ما كانت قابلياتهم العسكرية موضع الشك ، وكان ينبغي تجربتهم قبل استخدامهم بواجب ما لمعرفة الواجب الذي يناسبهم . ولكن حتى هــذه التجربة لم تكن كافية ، ولأجل التعويض عن الخسائر الفادحة ، كانت القيادة الالمانية مضطرة الى سحب أقوى الجنود واصغرهم سناً لارسالهم الى الشرق ، وكانت القيـادة الغربية تعوض عنهم برجال اكبر سناً ، وكثيراً ما كانوا من مصابي الحرب ، وبذلك تزداد الفرق الغربية رداءة ...

وعلى سبيل المثال : كانت الفرقة السبعين مؤلفة من رجال يعانون اضطرابات المعدة بسبب الطعام ، ولم يكن الضباط ذوو الاطراف الاصطناعيـة نادرين في فرق كثيرة .

لقد قاتلت هذه الفرق بعد ذلك ببسالة ضد قطعات الحلفاء الغازية ، ولكن في حدود قابليتها فحسب . وكانت الفرق المدرعـة الموجودة في الغرب ذات

قوة على القتال اكبر بطبيعة الحال ، وكان عددها يتراوح بين (٥ — ١٠) فرق ، وغالباً ما تبدل بين الشرق والغرب ، وكان عدد كبير من هـذه الفرق بدون دروع نهائياً او تحتوي على عدد قليل منها، لأن الشرق ابتلع تلك الدروع التي صنعت حديثاً ، لذلك كان هناك بعض الفرق المدرعة بدون دروع ، وفرق فيها ثلاثون او خمسون أو ستون عجلة مدرعة ، وكان وجود ثمانين عجلة مدرعة صالحة يعتبر نعمة كبرى ! وكانت فرق الصاعقة المدرعة افضل من فرق الجيش، لأنها كانت في سنة (١٩٤٣) مجهزة بالرجال والمواد بكمية افضل من فرق الجيش الى حد كبير .

٢ — انشاء دفاعات الساحل : — سبق أن ذكرنا الكثير عن هذا الموضوع . لقد كان اقوى الدفاعات ما يقع بين (اوستند) و (السوم) ، لا سيا على كلا جانبي (كاب كريز — يلز) ، وكانت قوية على الساحل الهولنـدي الذي كان من ضمن منطقة رونشتد، ولكن الى الغرب والى الجنوب يصبح الجدار الاطلسي أضعف وأضعف ، ثم سرعان مـــا يتلاشى ، ولأجل تقويته أنشئت تحصينات الميدان ، ولكن لم تكن القوات اللازمة لتحسين المواضع متيسرة بسبب ضعف الحاميات ، اما عدم تعليق المشير أهمية كبيرة على هذا الخداع [١] ، فقد سبق لنا بيانه .

٣ — فقدان قابلية الحركة : تتطلب الحرب الحديثة درجة عالية من قابلية الحركة في الهجوم والدفاع ، ولكن الفرق الساحلية وفرق المشاة ايضـاً كانت على الاكثر تعتمد على الخيل في نقليتها ، ويعتبر هـــذا من وجهة النظر الحديثة فقداناً لقابلية الحركة ..

---

(١) يقصد خداع الدعاية الالمانية التي بالغت كثيراً بقوة ومتـــانة ورصانة الجدار الاطلسي لغرض تخويف الحلفاء من محاولة اقتحام هذا الجدار .

(المعرب)

لقد كان ذلك من أهم النواقص

٤ – شددت المذكرة – بعد هذا – على نواقص الدفاع ضد الدبابات والمدافع الخارقة للدروع والمدافع المضادة للجو، كما أكدت بالاضافة الى ذلك على عدم صلاحية تجهيزات صنف المدفعية وأسلحة المشاة الثقيلة المأخوذة من الجيوش الاجنبية المنهارة التابعة لجميع البلاد المحتلة ..

٥ – كان النقص في الوقود بارزاً الى درجة أن آمري الكتائب لم يكن بامكانهم التجول بسياراتهم في قواطعهم الطويلة إلا مرات قليلة في الشهر. ان الأمور التي لا يمكن التطرق اليها الآن إلا بايجاز، عولجت بطبيعة الحال بصورة مفصلة كاملة من رونشتد في مذكرته، وقد أرفق بهذه المذكرة عدداً كبيراً من المخططات، ووصفت كل فرقة من هذه الفرق الستين على حدى حسب قابلياتها العسكرية.

كان على القائد العام لجحفل البحرية الغربي ان يقدم تقريراً مباشراً حول البحرية، وكان التنويه الوحيد بالبحرية في مذكرة رونشتد يختص بتقويتها عددياً لكي تقوى على التأثير بخطورة في البحر ضد الغزو بوساطة مدمراتها وزوارقها البخارية القليلة العدد، ولم يكن في وسع شجاعة العالم كلها، ان تجعل هذا العدد القليل من البحرية مؤثراً؛ وعلى سبيل المثال: وجدت الغواصات الالمانية عمقاً دون حاجتها لكي تقوم بواجبها في بعض المناطق الخطيرة !!

ورفعت القوة الجوية ايضاً تقريراً مباشراً بوساطة القائد العام للاسطول الجوي الثالث. لقد كان للقوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية عام (١٩٤٣) عدد قليل للغاية من الطائرات (القاصفة) والمقاتلات، فلم تكن في وضع تستطيع معه مكافحة السيادة الجوية الانكلو – امريكية بنجاح.

ارسلت مذكرة رونشتد الى مقر هتلر في بروسيا الشرقية بيد ضابط في نهاية

تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣)، وقد وضعت حالاً امام رئيس الدولة.

لم يحدث أي شيء لمدة بضعة ايام، ومع ذلك شعرت القيادة الغربية بأن هذا التقرير المبني على المنطق السديد ، لا بد وان يفتح عيني هتلر . ان اهمال القيادة الغربية لحد الآن لم يكن عن قصد بكل تأكيد ، بل أملته الضرورة . لقد كان القسم الاعظم من الجيش الالماني يقاتل ليلاً ونهاراً بين البحر الاسود وبحر البلطيق منذ (١٩٤٢) ضد الروس الذين تبين ان كتلهم تزداد دوماً . لقد اقتضى ارسال كل شيء قادر على الخدمة الى الشرق ، وكان القتـــال العنيف يجري في شمال افريقيا ايضاً، وبعد انتهاء الحرب الافريقية وانهيار ايطاليا امتدت الحرب اليها نفسها ايضاً ، وكان الهدوء النسبي يسود الغرب فقط باستثناء الهجمات الجوية او الغارات الارضية البسيطة بين حين وآخر .

لقد تدهور الموقف الداخلي كثيراً في سنة (١٩٤٣) عندما بدأت حركة المقاومة تنمو وتشتد الى درجة التهديد السوقي .

كان رونشتد ينظر الى الامور دائماً نظرة شاملة عامة لا محلية ، وكثيراً ما كان يدقق خريطة الشرق اكثر مما يفعل في خريطة الغرب ؛ ولما كان قد مارس حربين في الشرق ، فقد كان يمعن النظر في قراءة تقارير الجبهة الشرقية مشوقاً اكثر من شوقه في قراءة تقارير الجبهة الغربية ، لهذا السبب وحتى نهاية سنة (١٩٤٣) ، لم يبخل ايضاً بالتنازل عن فرقة للشرق او للجنوب ، والحقيقة انه قدّم فعلاً تشكيلات بمحض ارادته عندما شعر ان الامور تبدو يائسة في الشرق، وهذا ما لا يفعله الا الاقلون من القادة بعيدي النظر ، اما اكثرهم فيتمسكون تمسكاً شديداً بما لديهم من قوات .

كان عليه الآن ان يخبر هتلر بأنه لم يعد في موقف يساعده على ارسال تقويات مستمرة على نطاق واسع الى الشرق ، او الى ايطاليا ، لأن الخطر في الغرب كان

في ازدياد مستمر . لقد كانت عليه مسؤولية ثقيلة جداً ، وقد حلّ الآن وقت تهيئة الرجال والمواد للقيادة الغربية ، على الرغم من جميع الاخطار المحدقة بالجبهات الاخرى ، وسوف نرى ما الذي عمله هتلر لتقوية الغرب .

كان القلق يزداد بين حين وآخر من نزول الحلفاء في البرتغال او في اسبانيا او في جزائر البليارد أي في الجنوب لغزو منطقة القيادة الغربية ، لذلك وضعت عدة خطط ذات اسماء رمزية ، وهي على كل حال ليست مما يستمتع بقراءتها القارىء الاعتيادي .

لم يكن رونشتد نفسه يعتقد بأن الحلفاء سيطبقون مثل هذه الخطط ، وكانت أسباب اعتقاده هذا ما يلي : — ان ذلك يتطلب خرق الحياد ، وهو ما لا يقدم عليه الحلفاء لأسباب سياسية . كما انه كان ينظر نظرة عالية الى الاسبانيين ، وكان واثقاً بأنهم سيدافعون عن انفسهم ضد أي هجوم يقوم به الحلفاء او الالمان . كما ان هجوم الحلفاء في هذه الحالة لا بـد ان يسلك الطريق الطويلة عبر البرانيس باتجاه الشمال ، ولم تكن الطرق الاسبانية وشبكة السكك الحديدية منها بدرجة من الكفاءة تتيح للحلفاء اقامة قاعدة حركات في وقت قصير ، مع ان هـذا سيكون ضرورياً لأجل البدء بغزو حاسم نحو جنوب فرنسا من هناك .

اعتاد رونشتد ان يقول عند مناقشته هذه الخطة : « ان الحلفاء ليسوا من الغباء بحيث ينتهكون حياد اسبانيا ، وان الاسبانيين لن يسمحوا بذلك . ان بامكان الانسان الاعتيادي ادراك صعوبة تقدم الحلفاء من هنـاك عبر البرانيس والكارون واللوار ، وكل هذا يمكن الحصول عليه بثمن اقل بالانزال في القنال والاستناد على قاعدة امينة في انكلترا ، كما ان المسافة الى الرور من هناك اقصر منها في حالة انزالهم في اسبانيا ...

لقد كان هتلر مصيباً في تقديره للاسبانيين ، فأمر باجتنـاب كل ما يثيرهم ،

لذلك بقيت خرائط الحركات هذه في محافظ القيادة الغربية ، لأنـــه لم يطبّق منها شيء .

لقد كان مقر الجيش الالماني شاعراً بأن الانزال في الغرب لا يمكن ان يتأخر كثيراً . لقد انتقل الروس الى التعرض ، وكانوا يدفعون الجبهة الالمانية الـــتي تزداد ضعفاً الى الخلف بأعداد متفوقة تفوقاً ساحقاً ، وكان الكفاح يشق طريقه ببطيء الى مسافات اخرى فاخرى مجتازاً قاطعاً تلو آخر من الجنوب الى الشمال ، وكان معروفاً بأن الحلفاء يهيئون استحضارات خطيرة للقيـــام بهجوم واسع النطاق في الغرب .

لقد احدثت مذكرة رونشتد التي قدمها في تشرين الاول (اكتوبر) تأثيرها على هتلر ، فأصدر اوامر جديدة بسرعة وحزم لتقوية القيادة الغربية على عجل بالرجال والمعدات ، وبطبيعة الحال كان هذا الاجراء متأخراً جداً ، لأن اهمال الجبهة الغربية لم يعد بالامكان تلافيه في بضعة شهور ، ومع هذا أنجز كل ما في المقدور حينذاك .

ان وصايا الفوهرر الرقم (٥١) كانت مسهبة للغاية بدرجة يتعذر ابرازها هنا بنصها الكامل ، ويكفي ان ننقل جوهرها .

فقد شدّد هتلر في هذه الوصايا قبل كل شيء على ان غزو الحلفاء في الغرب محتمل وقوعه قريباً ، أي في سنة (١٩٤٤) ، وان نتيجة الحرب معلقـة على نجاحه او فشله ، وكان من المتوقع حدوث الغزو على ساحل القنال في منطقـة الجيش الخامس عشر ، اي بين اوستند والهافر بصورة تقريبية . وكانت وجهة النظر هذه تتفق مع وجهة نظر رونشتد ووجهة نظري ايضاً ، ولكن المبـدأ الأساسي لتنفيذ هـذا الامر كان : « ينبغي ألا يجري التخلي عن شبر واحد من الارض » ، ومعنى ذلك الاحتفاظ بالساحل بكل ثمن ، ولم يكن هذا ليعبر أبداً عن وجهة نظر رونشتد . لقد أشرت مراراً الى الاختلاف الرئيسي بين مبـدأ

هتلر في الدفاع المستكن الجامد ومبدأ المشير رونشتد في الحركات السيارة الحرة، وينبغي ان نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا ، لأنها ستلعب دوراً يفوق في أهميته اي شيء آخر حتى تقاعد رونشتد في بداية تموز (١٩٤٤) ، وأهم من كل ذلك انه لم يتم تأليف الاحتيـاط المركزي الذي طلب تشكيله بالحاف من خمس الى ست فرق مدرعة وثماني الى عشر فرق مشاة في منطقة باريس والى جنوبها . حقاً لقد كان هناك لهذا الغرض بضعة مقرات لقطعات التعويض عن الخسائر ووحدات تدريب ومدفعية الجيش وتشكيلات صغيرة اخرى متناثرة في ارض الساحل ، غير ان هذه لم تكن لتعوض عن الاحتياط السوقي الكبير الذي أراده رونشتد . يضاف الى ذلك ان رونشتد وُعد بامداده بقوات جوية مقـاتلة قوية من الشرق ومن الرايخ ، فقد أُخبر القائد العام للاسطول الجوي الثالث المشير (اسبيرل) بعدد هذه التقويات ، وأخبر بدوره رونشتد بذلك، وكان هذا التدبير ضرورياً جداً ، لأنه يكون الأساس الذي يرتكز عليه الدفاع السوقي الذي تريده القيادة الغربية ؛ ولكن ينبغي ان نعترف بأن هتلر كانت لديه اسباب حملته على اتخاذ شكل دفاعي جامد في سواحل الغرب ، وكان هتلر ممن يرون أن قوات المانيـا لم تعد بوضع يسمح لها بالحركات السيارة في جميع الجبهات ، وقـد امكن ذلك في الشرق فقط حيث المساحات الواسعة ان تطبق مثل هذه الحركات . وكان لزاماً الاحتفاظ بالساحل في الغرب اذ المساحات محدودة، لأن التخلي عن الساحل يؤدي الى وصول العدو بسرعة الى الحدود الالمانية ويقـــدم قواعده الجوية الى الشرق .. كما ان جميع قواعد اسلحة النصر الرقم (١) و (٢) مقامة في الغرب ، وكان لا بد من ان نخسرها حالما يتقدم العدو داخل فرنسا .

لقد كانت هذه الاسباب جلية كل الجلاء ، غير ان رونشتد كان يرى خلاف ذلك ، فهو يرى ان المانيا خسرت الحرب عسكرياً على كل حـال ، وان حلول النهاية يتوقف على الوقت فحسب ... ومن واجب السياسيين ان يجدوا مخرجـاً اذ لم يعد الجندي وحده قادراً على تبديل هذا الوضع ، وفي الحقيقة كان رونشتد

وغيره من القادة يرون ان المانيا خسرت الحرب منـــذ اعلن هتلر الحرب على روسيا .

كانت اوامر الاحتفاظ بالساحل في جميع الظروف نظرية بحتة ، اذ لم تكن الدفاعات الضعيفة التي سبق لنا وصفها لتسهل تنفيذ مثل هذه الاوامر الصارمة، لأنه يتعذر على الفرقة الساحلية الضعيفة الرديئة التجهيز ، ان تدافع عن قاطع يتراوح بـين (٢٥ – ٣٠ ميلاً) ، وليس بمقدور الاوامر الصارمـــة ان تبدل ذلك ، ومن ثم لم يعـد يسمح حتى في الشرق باستخدام الاساليب السيارة ، فقد جرى هناك ايضاً تطبيق (المبدأ اليائس) وهو : (اثبت حتى النهاية) ..!!

كانت آراء رونشتد عن ادارة الحرب الدفـاعية ، تختلف كل الاختلاف عن آراء القيادة العليا ، مثال ذلك : انه كثيراً ما عبر عن رأيه : « ينبغي التخلي عن جنوب فرنسا كله من جنوب اللوار وانسحاب جميع القطعـــات الموجودة هناك لتكون احتياطاً في منطقة باريس ، وذلك في حـــالة انزال الحلفاء عبر القنال ...

ان اقتراحاً رسمياً يقدم الى هتلر على ضوء هـــذه الفكرة ، يكون مصيره الاخفاق حتماً ، لأن رغبـة هتلر السافرة ، هي : الاحتفاظ بالخمسمائة والالفي ميل من الجبهة الساحلية بأسرها !

لقد اوضحت نتيجة لذلك هذه الفكرة للفريق (جودل) في رسالة بعـــد الاتفاق مع القائد العام ، ولا حاجـــة الى القول بأني لم استلم جواباً ... كانت مقترحات رونشتد بالنسبة لما كان يفكر فيـــه هتلر بدرجة من الهول جعلت (جودل) لا يتجرأ حتى على لفت نظر هتلر اليها .

ولكي يقتنع القارىء بنقص القوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية(١٩٤٣)، نقتطف هنا الارقام التالية :

١ – طائرات الجيكر (المقاتلات الخفيفة) كان عددها (٣٤٣) طائرة ، وكان الصالح منها للخدمة (١٨٠) طائرة فقط .

٢ – المقاتلات (٣٤٠) طائرة منها (٢٥٠) صالحة للخدمة .

٣ – الطائرات القاصفة (٢٩) طائرة منها (١٣) صالحة للخدمة .

٤ – طائرات الاستطلاع البعيد (٨٠) طائرة منها (٢٨) صالحة للخدمة .

٥ – طائرات الاستطلاع القريب (٤٠) طائرة منها (٢٥) صالحة للخدمة .

٦ – المدافع المضادة للطائرات (٣٣٩) بطرية ثقيلة و (٤٠٢) بطرية خفيفة .

يستطيع حتى القارىء المدني ان يدرك بأن القيادة الغربية لم تكن تستطيع القيام بحرب دفاعية على طول (٢٥٠٠) ميل بهذه الاعداد التافهة تجاه سيادة جوية مطلقة للحلفاء . لقد كان هذا العدد الصغير المذهل للطائرات المتيسرة ناجماً عن قلة الوقود ، الذي لم يكن ليسد الا حاجة جانب من هذه الطائرات القليلة ، غير ان هؤلاء الطيارين الالمان صارعوا الاهوال ببطولة نادرة في كفاح يائس مما يستحق الاكبار والتقدير .

كانت قوة الحلفاء الجوية في بداية الغزو يوم ٦ حزيران ١٩٤٤ كما قدرها اللواء (فولر[1]) في كتابه الممتع : (الحرب العالمية الثانية) كما يلي :

١ – طائرات قاصفة (٢٢١٩) طائره .

٢ – طائرات نقل (٢٣٩٥) طائرة .

٣ – زلاقات (٨٦٧) زلاقة .

---

(١) من اشهر الكتاب العسكريين البريطانيين .

(المعرب)

وكان هناك بطبيعة الحال أيضاً الطائرات المقاتلة ! وحتى لو كانت حقيقة هذه الأرقام أقل مما ذكرها (فولر) ، فأن السيادة الجوية للحلفاء كانت بادية للعيان. لم تكن القيادة الغربية حينئذ تعلم الشيء الكثير عن قوة ومقاصد العدو، ولم يكن لديها جهاز جاسوسية خاص بها، لأن خدمة الاستخبارات السرية كانت ضمن منطقة الدفاع التابعة للجيش الالماني ، فكانت القيادة الغربية تستطيع التقاط نتف من الاخبار من هذه السلطة أحياناً أو من مقر الجيش او من مقر الأسطول الجوي الثالث او من جحفل البحرية الغربي والقائدين العسكريين في باريس وبروكسل والسفير الالماني في باريس، او من شعبة الاستخبارات الخاصة بقوات الصاعقة .

لقد كان رونشتد يعمل دائماً تقريباً في الظلام ، وكان يستهدي المعلومات التي تأتيه من مقر هتلر ولو أنها كانت قليلة لا تغني وموطن ريبة . حقاً كان بالامكان طلب الاستطلاع الجوي من الأسطول الجوي الثالث فوق القنال وانكلترا او غرب البحر الأبيض المتوسط حتى حوالي سردينيه ، ولكن هذه الطائرات لم تستطع غالباً الوصول الى أهدافها ، بل كانت ترغم على النكوص على أعقابها تجاه تفوق مقاتلات العدو الساحق . لقد كان في الامكان طبعاً الحصول على لمحات خاطفة هنا وهناك لا سيما في الاستطلاع الليلي عن التنقلات العسكرية في جنوب انكلترا ، غير انه لم يكن في هذه اللمحات فائدة كبيرة .

كان جحفل البحرية الغربي المؤلف من وسائط صغيرة قليلة ، اضعف كثيراً من ان يقوم باستطلاعات مستمرة ، فلم يتمكن إلا من استمكان بعض القوافل فحسب من حين الى آخر بالقرب من ساحل انكلترا الجنوبي ، ولكن ما هي الحقيقة ؟ لم يكن احد يعرف ماذا كان يجري هناك !.. لقد كان في انكلترا نفسها عدد قليل من الوكلاء مزودين بأجهزة لاسلكية ، وقد تمكنوا من اعطاء

بعض المعلومات من حين الى آخر. وعلى كل حال عملت خدمة الامن [1] الداخلي البريطانية بصورة ممتازة وبقيت انكلترا بالنسبة لرونشتد ارضاً حراماً.

كان من المعروف في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) وجـود جحفلي جيشين في جنوب انكلترا، احدهمـا بقيادة اللواء آيزنهاور، والآخر بقيادة اللواء مونت كومري، ولكن كيف تم تنظيمهما؟ لم يكن احد يعرف؟ على كل حال علم رونشتد بوجود تشكيلات كبيرة جاهزة في جنوب انكلترا، وان تمارين خاصة بالانزال كانت تجري هناك، وان منطقة الساحل اصبحت منطقة محرمة تحريماً كلياً على المدنيين، كما علم بوساطة الشبكات الدبلوماسية للأقطار المحايدة، بأن الأجازات كانت تلغى من حين الى آخر، كما لاحظ بعض رجال الطيران الالماني تنقلات محلية لأرتال آلية كان اتجاهها نحـو الجنوب واضحاً، كما كان استراق الرسائل اللاسلكية للحلفاء مصدراً مهماً للألمـان، ولكن لم يجمع كثير من المعلومات.

وبالطبع روقبت باهتمام خاص المنطقة المحيطة بجزيرة (وايت) التي توازي (بورت سموث)، ولكن تدابير الامن هناك كانت قوية بصورة خاصة. ينبغي ان نقرر الآن بـأن رونشتد وهيئة ركنه نقحوا سنة (١٩٤٣) رأيهم الاصلي في توقع هجوم الحلفاء بين اوستند والهافر، وكان انتباههم يتجه تدريجياً وبصورة متزايدة يوماً بعد آخر نحو (نورماندي) او (بريتاني).

اعتقد رونشتد بأن منطقة جزيرة (وايت) يمكن ان تكون موضع الوثوب الى (نورماندي) بسهولة، لذلك كانت التقارير ترفع الى هتلر مطردة بأن الغزو المرتقب لا يزال يحتمل توجيهه ضد (نورماندي). لم تكن المرافىء الاصطناعية

---

(١) خدمة الامن: هي خدمة المباحث كما يطلق عليها في الجمهورية العربية المتحدة، والمكتب الثاني كما يطلق عليها في الجمهورية العربية السورية.

(المعرب)

في هذا الوقت معروفة إلا قليلاً [١] ، وقد فرض بأن العدو قد يقوم بانزال في محل مكشوف على الساحل ، ولكن في منطقة ذات مرافىء سوقية ، وكانت (شاربورغ) مرفأ سوقياً يمكن فصلها بحراً من جانبيها . لقد ازدادت الشكوك حولها بالنظر الى أن حالة الساحل والمياه بين مصب (السين) و (شاربورغ) غير ملائمة من وجهة نظر الاسطول لانزال واسع النطاق ، فلم تكن هناك أسس ثابتة يستند اليها التنبؤ بالانزال ، لان وسائط الاستطلاع كانت محدودة للغاية.

كانت الامور بالنسبة لشعبة استخبارات الحلفاء اسهل من هذا كثيراً ، اذ كان تحت تصرفها قوة جوية متفوقة تفوقاً ساحقاً واستطلاع جوي ممتاز ، وكان العدو مسيطراً على البحر ، وكان تحت تصرفها ايضاً شبكة جاسوسية متوغلة منظمة تنظيماً دولياً وهي ذات اوكار في سويسرا والاقطار الأخرى ، واكثر من ذلك فان خدمة الجاسوسية للحلفاء كانت تستطيع العمل تقريباً دون عقبات في فرنسا او بلجيكا وهولندا ، ومن ذا الذي كان يعترضها ؟ لم يكن هناك دفاع ذا اثر تجاهها ، وكانت تستطيع ان تحظى بتأييد الكثيرين من السكان ، لا سيما بين حركة (الانصار) التي كانت خطورتها في ازدياد مستمر .

نحن نعلم بأنه كان يوجد حوالي ثلاثمائة كلمة رمزية تستعمل للاتصال السري بين انكلترا وحركة (الانصار) في الغرب ، وعلى سبيل المثال : كانت احدى هذه الكلمات الرمزية ما يلي : « كلب الصيد يقتنص الارنب » ، وكانت تدل على معنى يختلف تماماً عن معناها الظاهر ، وكانت معاني ما يقرب من مائة وخمسين كلمة رمزية معروفة لدينا ، اما معاني القسم الآخر من الكلمات فلم نكن نلم بها . على كل حال نتج عن استراق الرسائل اللاسلكية في هذه المنطقة

---

(١) اي غير معروفة بالنسبة للالمان . لأن الحلفاء كانوا يعملون ليلاً ونهاراً لأنجاز صنع هذه المرافىء الاصطناعية .

(المعرب)

– على الأقل – بعض ما يجدي ، ولكن على العموم لم تسنح لرونشتد حتى ابتداء الغزو فرصة تمكنه من النفوذ الى ما وراء الستار الذي اقامه العدو ! وكان يعلم بأن الهجوم سيكون خلال انسب فصول سنة (١٩٤٤) ، ولربما تم ذلك في مايس ، ولم يكن يعرف اكثر من هذا !

لقد صوّرت تفاهة منابع الاستطلاعات الالمانية في سنتي (١٩٤٣ – ١٩٤٤) بقصة فكاهية دعت الى الاغراق في الضحك ، فقد وردت يوماً ما أنباء تنذر باتجاه اسطول نقل كبير كان يتحرك نحو الشرق خلال خليج بسكاي الى (لاروشل) او الى (بوردو) ، فأنذر الجيش الاول حالاً الذي كان مسؤولاً عن تلك المنطقة ، وطلب الى الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي اجراء الاستطلاع وتعيين ماهية ذلك الاسطول بصورة تقريبية ، ومع وجود بضع طائرات فوق الهدف، فانها لم تتمكن من معرفته بدقة ، ولم يتسن معرفة ماهية هذا الاسطول حتى اقتربت بضع مدمرات بحرية من هذا الأسطول الغامض ، فعرفنا عند ذاك ما هو : سفن صيد اسبانية مسالمة ! لقد كانت مبحرة من شمال اسبانيا ، فألقت شباكها بعيداً الى الشمال ، ولذلك اصبحت موطن شك في انها اسطول غزو معادٍ ، ولكن رونشتد لم يستلم الأنباء الحقيقية حولها حتى انتهاء نهار ذلك اليوم . وهناك فن خاص في تضليل العدو تعبوياً وسوقياً لتوجيه اهتمامه توجيهاً خاطئاً ، لذلك كانت الاخبار الكاذبة تنشوء عن قصد في الدوائر الدبلوماسية في باريس او بين السكان . حاول رونشتد ان يقوم بخدعة سوقية بهذه الطريقة في سنتي (١٩٤٣ – ١٩٤٤) مستهدفاً افهام العدو بأن احتياطات قوية ستنتقل الى جنوب فرنسا ، وكان ذلك يتطلب خطة دقيقة في جميع تفاصيلها ، لأن خطأ منطقياً او نفسياً واحداً قد يؤدي الى وأدها في المهد . وفضلاً عن ذلك كان من اللازم تضليل السلطات العليا والقطعات نفسها ايضاً ، فحينما يعتقدونها اعتقاداً جازماً يستطيعون إنجاز ادوارهم التضليلية بصورة مقنعة .

جرى البدء بهذا التضليل في المانيا ، فوصل ضباط من الرايخ الى منطقة القيادة الغربية لنقل القطاعات الجديدة من هنـاك الى الجنوب ، كما التمست السلطات الفرنسية لتأمين مناطق لتمارين تلك القطعات وإسكانها ، كما تلقت السكك الحديدية الفرنسية وصايا حول التنقل ، واستلم القادة العامون للجيوش المرؤوسة الأوامر الخاصة باسكان القطعات ؛ لذلك آمن كل واحد بورود هذه التقويات التي لم تصل مطلقاً . ولغرض ابقاء تأثير هذا التضليل فترة قصيرة ، تحركت قطعات صغيرة بالقطارات المهيأة للغرب حسب جدول التوقيت ! كان رونشتد يعلم بأن مثل هذا التضليل ربما يكون مجدياً لمدة تتراوح بين الأربعة والستة اسابيع ، ولكن ليس اكثر من هذا ...

لقد اصبح وجود جهاز السكك الحديدية مهماً للغاية ، لأن المانيا في تلك الفترة لم تكن تمتلك اسطولاً كبيراً للنقل او ارتالاً آلية تمكنها من الاعراض عن السكك الحديدية ، لذلك كانت السكك الحديدية السوقية الكبرى التي تمتد من الرايخ الى المنطقة الغربية ومن ثم شبكة السكك الحديدية فيما بين هذه الاقطار لا سيما تلك الممتدة الى جنوب فرنسا والبحر الابيض المتوسط ذات اهمية حيوية قصوى . كانت هذه السكك الحديدية يديرها الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون،وقد قام هؤلاء بواجبهم رغبة لا رهبة غير مكترثين بما لحقهم من خسائر. لقد سبق ان ذكرنا بأن رونشتد كافأهم باطلاق اقرب ذوي قرباهم من الأسر الالماني .

ونستطيع القول بصورة عامة ، بأن جهاز السكك الحديدية الممتاز ، كان لا يزال سليماً في الغرب عام (١٩٤٣) ، وقد جرت اعمال تخريبية من حركة المقاومة الشعبية (الانصار) بصورة مزعجة لا سيما في جنوب فرنسا ، فسببت خسائر خطيرة وخروج كثير من القطارات عن السكك الحديدية ، واضافة الى ذلك ازداد رمي القطارات الواقفة والمتحركة من متسللي العدو ، وكانت الغـارات الجوية الكبرى والقصف الشامل لا يزالان قليلين عام (١٩٤٣) ،

وكانت تقدم الى رونشتد اسبوعياً ومن بعد يومياً مع خرائط مؤشر عليها اعمال التخريب والغازات الجوية بألوان مختلفة . وقد وضح تدريجاً من هـذه الخرائط بعض نيّات العدو ، وكان من الواضح انه يمكن الاستدلال ايضـاً على اقتراب اجل الغزو في عام (١٩٤٤)، من طبيعة القصف وعمل حركة المقاومة الشعبية !!

لقد وضح في نهاية عام (١٩٤٣) لأولئك الذين كانوا في السلطة ، بأن الغزو المتوقع لا بد وان يتمخض عنه عام (١٩٤٤) ، اذ ارغمت السياسة الحلفاء على القيام بهجوم على نطاق واسع في الغرب ، وكانت القيادة الغربية قـد علمت من دبلوماسيي الاقطار المحايدة ، بأن ستالين كان يلحف في طلب هجوم تقوم بـه القوى الغربية ، فقد تبين انه اخبر الحلفاء بأن الروس وحدهم يصارعون العدو في حرب حقيقية حتى الآن ، وانه مضطر الى تبديل سياسته ان لم يلب طلبـه عاجلاً .

عرضت تصاوير مؤتمرات زعماء الحلفاء على رونشتد ، فاستدل منها بأن الروح السائدة بين الحلفاء حينذاك لم تكن على ذلك القدر من الوئام الذي تظهره دعاية الحلفاء للناس ، ولربما املّت القوى الغربية بـأن الحرب في الشرق بين الروس والالمان قد تستمر امداً طويلاً جداً ، ولربما توقعوا بأن الجبهة الالمانيـة الشرقية ستكون اكثر ثباتاً ، ولكن اسباباً سياسية عليـا حتمت الآن الشروع بالغزو الذي تمت استحضاراته منذ مدة من الزمن .

لم يباغت رونشتد عام (١٩٤٤) بالهجوم العظيم ، حتى موعـد حلول شهر الغزو كان واضحاً له وضوحاً كافياً ، فقـد توقع الغزو خلال شهر مايس او حزيران استناداً الى احوال الطقس البحري والجوي ، ومع ذلك فلا عجب من اقتران ليلة الغزو الفعلية ووقته اي يوم ٥-٦ حزيران (١٩٤٤) بقدر معلوم من المباغتة ، لأنه لم يكن في استطاعتـه معرفـة ذلك بالضبط ، نظراً لأن القيادة الغربية كانت لا تمتلك غير جهاز محدود للاستخبارات .

١١

عام الغزو

كان مبلغ علم رونشتد بالحقائق في وقت غزو الحلفاء ما يلي : — بقي رومل بعد سقوط إفريقيا دون عمل وبلا منصب ، وكان هتلر يعلق آمالاً كباراً على هذا المشير الشاب الذي كان مليئاً بالحيوية والابداع والذي احبه رجاله كثيراً ، وكان رومل نفسه يريد أن يكون في الخدمة الفعالة ، كما كان يفتش عن فرصة تعوضه عن اندحاره الذي لم يكن يستحقه في افريقيا .

وكان المشير (كيسلرنك) القائد العام للجبهة الجنوبية الغربية يقاتل في ايطاليا، وكانت جبهته في ذلك الوقت بعيدة الى الجنوب في الحذاء الطويل (١)، لذلك قرر هتلر أن يعين المشير رومل في هيئة ركن جحفل الجيش (ب) في شمال ايطاليا ، وكان واجبه السيطرة على دفاعات خليجي جنوى والبندقية ضد الانزال في مؤخرة كيسلرنك، وكان مسؤولاً أيضاً عن احضار التقويات الالمانية الى ايطاليا عبر الألب حتى الحدود، ومن ثم إرسال هذه القوات جنوباً الى جبهة كيسلرنك، وكان عليه بالاضافة الى ذلك أن يشرف على تجريد القوات الايطالية من السلاح بصورة ودية نظراً لخبرته بالايطاليين، ويعيد تنظيم القطعات الايطالية

---

(١) تشبه خريطة ايطاليا حذاء طويلا ، ويقصد المؤلف بتعبيره : « الى الجنوب في الحذاء الطويل » أي في جنوب ايطاليا .

(المعرب)

التي تبقى متمسكة باخلاصها للاتحاد ، وذلك في حالة انهيار ايطاليا .

لم تلائم هـــذه الواجبات جنودياً مثل رومل ، كما كان تقسيم الواجبات في ايطاليا رديئاً رداءته في القيادة الغربية ، لأنه ينبغي حصر المسؤولية بقائد عام واحد لا بقائدين عامين ، فكان من المنتظر نشوء صعوبات نتيجة للاحتكاك من تضارب المسؤوليات،حتى لو كان لدى المشيرين أصدق النيات الموجودة في العالم. ونتمكن من القول مجازاً : بأن رومل كان منافساً لكيسلرنك ، ولذلـك عرض كيسلرنك على هتلر اختيار احدهما وافراده بالقيادة وحده في ايطاليا ، فنشأت في هيئة ركن الجيش الالماني فكرة حل هيئة ركن جحفل الجيش (ب)، ولكن هتلر امر بتقوية هذه الهيئة ، إذ توقع حدوث قضايا هامة في الجبهة الغربية او في جبهة اخرى ، لذلك اراد الاحتفاظ بهـــا في الاحتياط ، ولكي يشغل رومل وهيئته الى أن يتسنى له إيجاد منصب ذي مسؤولية خطيرة لهم في محل ما ، قرر هتلر أن يسند الى رومل مهمة تفتيش الدفاعات الغربية، فزوده بوصايا لم تستطع القيادة الغربية معرفة ماهيتها بالضبط .

كان الغرض من تعيين رومل ما يلي :

أ ـ تعريفه بذلك القاطع من الجبهة الغربية الذي قد يكون القاطع الحاسم، أي جبهة القتال .

ب ـ شد أزر تدابير الدفاعات الغربية بالمشير الشاب المتمتع بثقة هتلر التامة والذي له علاقات وثيقة بأعضاء الحزب النازي ومنظمة (تود) والوزير (اسبير) وكوبلز .. وغيرهم ، وبذلك يستطيع الحصول على أي شيء منهم .

ج ـ استغلال تجربة رومل في القتال ضد البريطانيين .

كانت هـذه النقاط الرئيسية الثلاثة في الحق هي جوهر الوصايا الخاصة التي اصدرها هتلر الى رومل ، وقد أيد بعدئذ ضباط ركن اقدمون من بطانة هتلر

الواجبات الرئيسية في هذه الوصايا ، وقـد تحدث رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) مع روميل على هدى هــذه الخطوط ، وكان هتلر بطبيعة الحال قد أمر روميل باخبار رونشتد عن نتائج هذا التفتيش .

كان كل هذه التدبير بطبيعة الحال سيء الطالع كالتدبير الذي اقترح سابقاً في ايطاليا ، فأما أن يبقى هذا القائد العام او ذاك . اذ لا يمكن ان يكون مسؤولاً إلا واحد لا اثنان .

لم تكن هناك اختلافات شخصية بين رونشتد وبين روميل اكثر مما كان بين رؤساء ركنيهما ، بل على العكس من ذلك ، ولكن لم يكن بالاستطاعة اجتناب قدر هائل من التطاحن ، نظراً لتوزيـع الواجبات هذا الذي يؤدي الى التداخل بين الشعب الادارية لكلا الهيئتين . لقد صرح روميل مراراً ، بأنـــه مرؤوس لرونشتد فقط ، كما ان رونشتد بسبب سنه وتقاليده ونشأته بلغ شأوا بعيداً في السمو أعلى كثيراً من أن يعتبر ظهور روميل ماساً بــه ، وعلى العكس من ذلك فكثيراً ما أفصح ضمن الدائرة التي ألفها والمحيطة به عن تقديره له ، كما كان قد فهم بالضبط لماذا كان يبحث المشير الشاب عن فعالية جديدة له .

كان من حق روميل ان يتصل بهتلر مبـــاشرة ، لذلك لم يكن بالاستطاعة اجتناب اشتباه الجيوش التي كانت بقيادة رونشتد بأيهما في المسؤولية : رونشتد أم روميل المفتش الخاص !... وقد أدى ذلك ايضاً الى تطاحن شديد بين شعب الدوائر ، اما في تنظيم القيادة فقـــد أثر ذلك على كلا عنصري القوات المسلحة الالمانية اي الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي .

امتد تفتيش روميل لاستحضارات الدفاع على الساحل الغربي حتى الدانمرك ، اي انه تجاوز منطقة رونشتد . لقد أحاط هتلر مقدماً القيـــادة الغربية علماً بالواجبات التمهيدية لروميل المفتش العام للساحل الغربي .

وصل الفريق (كايتل) الى باريس في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٣) لهذا الغرض بأمر من هتلر، وذكر بأن هتلر يستهدف اجراء تبديل في الاشخاص، وان رومل سيكون بامرة رونشتد في حالة الاستخدام التعبوي لجحفل الجيش (ب) ، كما أوضح كايتل رأي هتلر في رومل وهو : « انه ليس قائداً سوقياً ، ولكنه جندي مقدام عملي ماهر في القضايا التعبوية » ؛ ومن المفيد ان نذكر هنا بأن هتلر كان دائماً يشير الى ان المشير (كلوكا) سيكون خلفاً لرونشتد عند مرضه ، وقد اخبر رونشتد بذلك مبكراً .

رغب رومل عند وصوله الى الغرب مع رئيس ركنه في ذلك الوقت اللواء (كوز) في اجراء مباحثات تمهيدية مع رونشتد ؛ وأفصح عن رغبته في ان يكون مقره قريباً من الساحل ، وبذلك يتسنى له الاتصال الوثيق بالقيادة الغربية ، فوافق رونشتد على ذلك ، ودبر امر تنقل رومل وهيئة ركنه (مقر جحفل الجيش ب) الى (فونتنبلو) .

زود رونشتد رومل في كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٣) بوصاياه الخاصة عن الموقف العام في الغرب ، وبمقاصد غزو الحلفاء المتوقع ، وبالامكانيات الحقيقية للدفاع ، وكان جوهر تلك الوصايا ما يلي :

يوجد في انكلترا حوالي ستين فرقة كاملة مجهزة تجهيزاً كاملاً ، ومزودة برجال من الدرجة الاولى ، وقد أجرت هذه الفرق تمارين في الانزال ولا تزال ، اما فرق العدو المدرعة وفرق المظليين فقد خمنت ما بين الثمانية الى العشرة فرق، ولا تتيسر معلومات اكثر من هذا عن العدو ... لأن استطلاعنا كان من الضعف بحيث لا يستطيع الحصول على كثير من المعلومات المفيدة .

على الرغم من هذه الانطباعات ، لم يكن مستطاعاً حتى ذلك الوقت معرفة مكان الانزال بالضبط ، كما لم نتأكد من يوم الانزال ، وبما أنه شخّص جحفل

جيشي انكلو امريكي على خط (دوفر – بلايموث) ، فان الهجوم قـد يقع على اي جزء من جبهة القتال. وكان اسطول الحلفاء الموجود في موانىء انكلترا يبدو مؤلفاً من قطع حربية صغيرة ، وقـد تبين ان السفن الكبيرة كانت في المرافىء الوسطى والشمالية لانكلترا ، إذ بالامكان حشدها في أية نقطة ، وكانت السيادة الجوية المطلقة بيد الحلفاء ، فلم يكن الاسطول الجوي الثالث في موقف يجعله ذا أثر حاسم في القتال ، ولكنْ وُعد هذا الاسطول بارسال نجدات جوية مهمة اليه حالما يبدأ الغزو .

قد يكون موعد الغزو يوماً من ايام الاشهر بـين مايس وأيلول (١٩٤٤) ، إذ يصبح الجو حينذاك ملائماً ، وكان ساحل القنال هو المنطقة المهـددة ، لأنه أقرب طريق الى الراين المكشوف غير المدافع عنه ، ولأن مثل هـذا الاندفاع سيؤدي الى بتر منطقة القيادة الغربية بكاملها عن المانيا بضربة واحدة . لم يكن الغزو متوقعاً في هولنـدا ، لأن ارضها لا تساعد على تنقلات قطعات جسيمة إلا قليلاً.. لا سيما اذا كانت تلك القطعات مزودة بالدبابات، كما كان الساحل محصناً تحصيناً قوياً ... وكانت قنوات كثيرة وانهار واراض مشبعة بالمياه تساعد على تقوية الدفاعات الالمانية .

من دراسة كل ذلك لم يستبعد الانزال في نورماندي ، ولو ان ذلك يؤدي الى اطالة وقت الحركات ، بالنظر لأن الطريق التقربي منها الى المانيا بعيد ، ولكنه ليس خطيراً كالطريق التقربي من (كاليه) الى المانيا .

واخيراً لم يستبعد احتمال نزول العدو على كلا جانبي (الهافر) ، لأجـل الوصول الى باريس مدفوعاً بأسباب سياسية ولأجل رد (الاعتبار) .

وكان الانزال ممكناً في (بريتاني) ايضاً وكذلك جبهة خليج (باسكاي) ، ولكنه غير محتمل نظراً لضرورة الاسناد الفوري للقطعات الارضيـة بناقلات

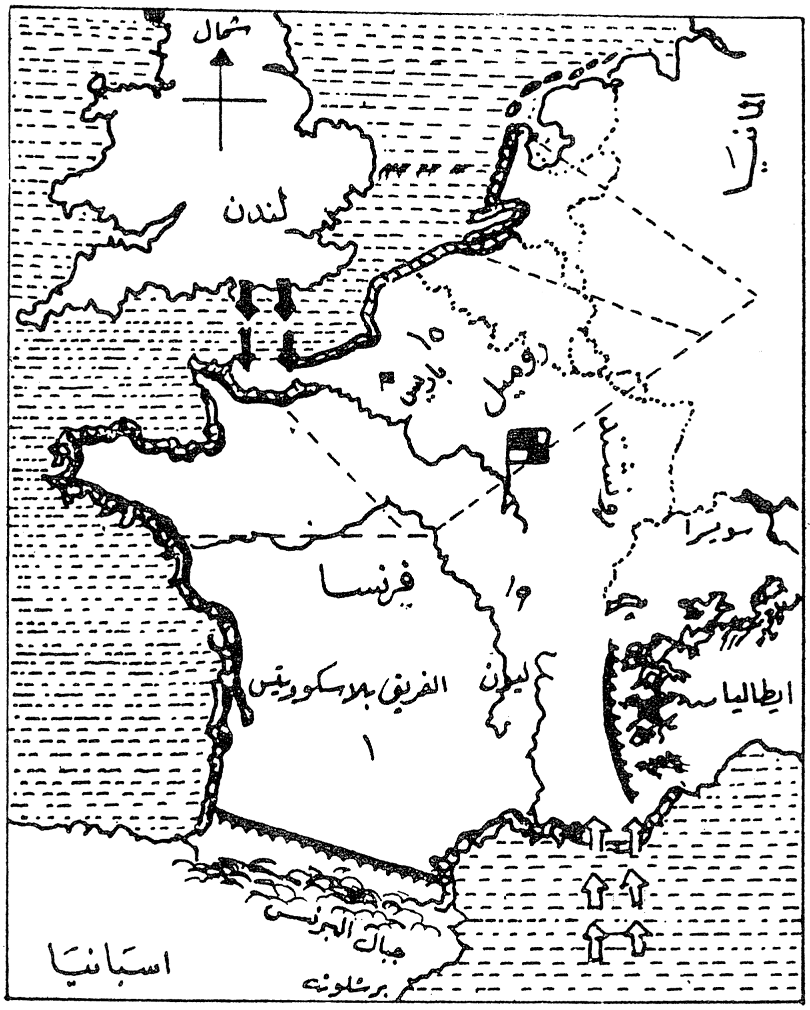
جوية ، ولا يمكن الحصول من الانزال في خليج (باسكاي) على نتائج سوقيــة ذات بال ، لطول الطريق منها الى المانيا ، وبالعكس من ذلك فقد بقي ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي مهدداً ، اذ في الامكان مهاجمته من ايطاليا او افريقيا او من (سردينية) و (كورسيكا) ، لهـذا كثيراً ما ثار الجدل حول التخلي عن ساحل جنوب فرنسا ونقـــل القوات التي تحتله الى المنطقه الوسطى الكائنة حول باريس .

وزُوِّد رومل بمعلومات وافية عن القطعات وتجهيزاتهـا وأسلحتها وانشاء التحصينات وغير ذلك ، وكان رونشتد أثناء حديثه مع رومل يشير متهكماً الى (الجدار الاطلسي) ، ناعتاً إياه باسم : (جدار الدعاية) ، وأخيراً عـــلم رومل بعدم تيسر احتياط سوقي مؤثر لا سيما من الدروع وفرق المشاة الجيدة . لم تكن هناك مواضع في الخلف ، بل كان هنـاك مجرد خط مؤشر على الخريطة يمتد تقريباً : مـــن (سوم – مارن – ساؤون – الحدود السويسرية) ... ونظرياً فقط .

انتهت المناقشة مع رومل بتعليق رونشتد المختصر المفيد : « تبدو الأمور قاتمة » !

كان تأثر رومل واضحاً، ولكنه كان قوي الامل في سرعة معالجة الموقف، بتأثيره العظيم على هتلر وعلى من يليه من رجالات الرايخ ، وقـد ذكـر رومل في المانيا بصورة خاصة خلال دعايات (كوبلز) ، وكثيراً ما كان اسمه يظهر في نشرات الاخبار الاسبوعية .

والحقيقة ان المفتش العام وقف نفسه على واجبـه بحماس عظيم ، فقد ارتا دون ملل كل قسم من الجبهة الساحليـة ، متنقلاً من جيش الى جيش ومن فيلق الى فيلق ومن فرقة الى فرقة ، وبذل جهده في انجاز وصايا هتلر في تقوية التدابير الدفاعية ؛ ولكنه لم يكن يستطيع اصـدار اوامره الى الجيوش ، لأنه كان



منطقة الشير رونشتد (القيادة العربية)
قبل الغزو مباشرة

الجيوش ١٩ ١ ٧ ١٥

الجيش الخامس عشر
الجيش السابع
محفل الجيش (ب)
محفل الجيش (ج)
الجيش الاول
الجيش التاسع عشر

دفاعات الساحل
القطاعات الساترة
الحدود بين الجيوش
مقر رونشتد في سانت جرمان

غزو الحلفاء في ٦/٦/٩٤٤
في نورماندي

الغزو الثاني يوم ١٥ / ٨ / ٩٤٤
في البحر المتوسط

اولاً وقبل كل شيء مفتش الفوهرر ليس الا ، وبطبيعة الحال حدثت ملاحاة عنيفة بين المفتش وبين القادة العامين الذين كانوا بأمرة رونشتد ، فأدى ذلك الى التجافي بين القادة الغربية وبين رومل ، مما حدا برونشتد الشهم ابداً الى ان يقترح على هتلر تبديل الموقف .

لم يكن هناك احتمال اكتفاء رومل بواجبه الحالي ، لأنه كان بسبب (لا نافخاً ولا ضارماً[1]) ، لذلك قدّم رونشتد الى هتلر المقترحات التالية نزولاً عند رغبة رومل : ضم رومل وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) الى منظومة الدفاع، وجعله مسؤولاً عما يلي :

أ – القيادة التي تشمل قاطع الدفاع في الاراضي المنخفضة ، اي في ساحل هولندا .

ب – الجيش الخامس عشر بين اوستند وغرب الهافر ومصب اللوار ، اي يشمل شبه جزيرة نورماندى وشبه جزيرة بريتانى ، لذلك كان لرومل اخطر قاطع اي قاطع القنال وشبها الجزيرتين المذكورتين . والآن اصبح (رومل) هو المسؤول عن هذه المنطقة، يتمكن من اصدار اوامره في منطقته بصفته قائداً عاماً لها .

كان جحفل الجيش(جـ) متصلاً بقيادة الفريق (بلاسكوويتس) وبأمرته ما يلي : –

أ – الجيش الاول من مصب اللوار الى(بيارتيس) اي جبهة خليج باسكاي.

ب – القطعات الساترة على السفوح الشمالية للبرانيس .

---

(١) مثل عربي سائر ، معناه : لا في العير ولا في النفير ، اي انه ليس في منصب مؤثر له قيادة معينة وواجب معين ذي اثر حاسم على سير الحرب في الجبهة الغربية الالمانية.
(المعرب)

ج – الجيش التاسع عشر في البحر الابيض المتوسط من (فندرس) الى (منتون) .

د – القطعات الساترة في الألب بين (منتون) و (مونت بلانك) .

وهكذا كان بإمرة رونشتد باعتباره قائداً عاماً في الغرب ما يلي : –

أ – جحفل الجيش (ب) بقيادة رومل .

ب – جحفل الجيش (ج) بقيادة بلاسكوويتس .

وفضلاً عن ذلك يتعاون مع الاسطول البحري الثالث وجحفل البحرية الغربي وكلا القائدين العسكريين ، وبعد استفسارات اخرى لهتلر وافق على اسس اقتراح رونشتد هذا ، وأصدر اوامره اللازمة حول ذلك ، ولو ان نظام جحفل الجيش (ج) لم يأخذ شكله هذا الا مؤخراً . لقد احدث هتلر بالطبع تغييراً ولكنه كان تغييراً ظاهرياً فقط ، وفي جنوب فرنسا كان من المحتمل ان يقر بلاسكوويتس في قيادة جحفل الجيش (ج) ، ولكنه لم يفعل ! وذلك لأسباب شخصية فقط ، اذ ان بلاسكوويتس كان جندياً ممتازاً ، ولكنه كان غير محبوب من هتلر كثيراً ، فوصل الى منصب قائد جحفل جيش فقط ، ولربما لم يرغب هتلر في ان يجعله نداً لرومل ، على كل نشأت الآن علاقات واضحة بين رونشتد ورومل ، اذ كان لكل منهما واجب معلوم مسؤول عن انجازه ، ولكن بقيت بعض المشاحنات في الايام الاولى ، لأن رومل كان لا يزال مفتشاً لجميع السواحل ، وبهذا كان له الحق ان يشرف على جبهة جيوش بلاسكوويتس من الناحية الدفاعية ، ولكن هذا الحق ذهب من تلقاء نفسه ايضاً ، لأنه اصبح مشغولاً بتقوية قاطعه الخاص .

جرت في باريس في مستهل سنة (١٩٤٤) تمارين عن التموين ، حضرها مدير الميرة في الجيش ، وكان الأساس السوقي في التمرين من عمل رئيس شعبة حركات القيادة الغربية الفريق القدير (زمرمان) الذي اشرنا اليه سابقاً .

كانت الأسس التي بنيت عليها التمارين مشابهة للحقيقة الى حد بعيد ، وقد مثلت الموقف كما كان إبان الغزو تمثيلاً قريباً جداً من الواقع ، فقد فرض قيام الحلفاء بانزال قوي من الجو في (نورماندي) وانزال على الساحل الشمالي في (كونتنتين) .

ظهر قلق هتلر عن الغرب لاسيما بعد مذكرة رونشتد المسهبة التي قدّمها اليه في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، فأرسل رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) الى الغرب ، ولم يكن هذا شيئاً اعتيادياً ، لأن هتلر كان لا يرغب في ابتعاد أعضاء بطانته عنه الا في حالة الضرورة القصوى .

كان على (جودل) ان يفتش ساحل القنال اي الجيش الخامس عشر ، وجيش اللواء بارون فون (بتلر) وهو الجيش السابع (نورماندي) و (برتياني) واللواء (ويرلي مونت) في الساحل الجنوبي ، وإخبار هتلر بموقفهم .

قام (جودل) بإخبار رونشتد بموقف الجيوش ، فانتهز رونشتد الفرصة ليعبر عن رأيه الصريح لرئيس اركان الجيش الالماني عن الموقف العام وعن أساليب القيادة العليا . انه يمكن القول بصورة موجزة أن هناك رأيين متعارضان يسودان في الغرب :

أ — يرى رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات ، انه يتعذر الاحتفاظ بالساحل نفسه على جبهة ألفين وخمسمائة ميل بوجود قوات ضعيفة ، إذ يتمكن العدو من النجاح بتحشيد منابعه القوية لاختراق اي نقطة من دفاعات الساحل الرديئة العديمة المرونة ، والنتيجة ان الفرق تستطيع إعاقة انزال العدو وتأخيره بلا شك ، ولكن ينبغي ان يصبح الدفاع في الغرب من بعد ذلك سياراً ، اي يصبح دفاعاً سوقياً ، لذلك من الضروري وجود احتياط مركزي كبير حول باريس وهو ما أشير اليه مراراً ، ومن الضروري وصول النجدات الجوية الموعودة .

ب – يرى رومل على ضوء تجاربه في افريقيا وايطاليا ، ان الامر ينحصر في الاحتفاظ بالساحل ، ولهذا الغرض يرى وضع جميع الفرق ومن ضمنها الفرق المدرعة في الجبهة الساحلية او وراءها مباشرة .

لقد كانت عقيدة رونشتد سوقية ، اما عقيدة رومل فكانت تعبوية .

لقد كان على رونشتد باعتباره قائداً عاماً ، ان يضع نصب عينيه أنه مسؤول عن جميع الجبهات ، بينما كان بإمكان رومل ان يتفرغ للقسم الخاص به من القيادة الغربية . لقد كان مفهوماً بأن رومل ينبغي ان يكون مهتماً بقاطعه الوحيد من القتال فقط ، بينما كان على رونشتد ان يكافح الغزو الذي قد يحدث على خليج باسكاي او سواحل البحر الابيض المتوسط ، فما العمل حينذاك ؟؟

عندئذ قد تكون جميع فرق المشاة الصالحة للخدمة وجميع الفرق المدرعة مشتبكة على الساحل او على مسافة قريبة خلف الساحل ، بحيث يتعذر سحبها الا بصعوبة وتحت تأثير نيران العدو ، فما هي الوسائط التي كانت لدى رونشتد لصد هجمات اخرى في منطقته الواسعة ؟ كان لرومل على كل حال اسباب قوية لا يُجادل فيها عاقل ، ولكن رونشتد كان له مثل ذلك ؛ فكان هناك رأيان متضاربان ومسؤولية ثنائية مزدوجة في آن واحد ؛ ولو كان رومل قائداً عاماً في الغرب مسؤولاً عن المنطقة بكاملها ، لاحتفظ بلا شك ببضع فرق مدرعة جاهزة على بعد مناسب في الخلف حول باريس ، حتى يتمكن من استخدامها في جبهاته الاخرى التي تمتد الى ألفين وخمسمائة ميل . جرت مناقشات أكاديمية كثيرة حول ذلك، وستجري حولها مناقشات اخرى ايضاً ، ولكنها في الحقيقة بسيطة جداً ، فلو كان يُعرف بالضبط في أي قاطع سيجري الانزال ، فان جميع القوات حينئذ توضع هناك سلفاً بهدوء ، كما يمكن ايضاً دفعها الى الامام حتى الجبهة الساحلية، لكن اذا لم يكن معروفاً اين سينزل العدو بالضبط، واذا لم يكن هناك ضمان بأنه سيصل الى تلك الجبهة فحسب وليس الى جبهة اخرى ،

فحينئذ لا تجرأ القيادة العليا على ربط قواتها في جبهة واحدة . لقد وضع جودل هذين الرأيين المتناقضين امام هتلر .

حصل انطباع خاص عند مبعوثي هتلر بوجهات نظر اللواء (ماركس) الذي كان يشغل منصب قيادة (نورماندي) والذي كان رجلاً معروفاً في الجيش بقابليته ، فقد صرّح دون تمويه بأنه بالفرقتين والنصف التي بقيادته لا يستطيع القيام بواجب الدفاع عن الساحل بل حتى ولا بواجب التعويق ، واذا ضوعفت قطعاته فلن تكون جبهة الساحل غير ستار رقيق يمكن اختراقه من أي نقطة في وقت قصير ! لقد اصبح جودل مقتنعاً بأن من المتعذر الاحتفاظ بالساحل بمثل هذه القوات القليلة التي تحتل خطاً دفاعياً رقيقاً ، واتفق مع وجهة نظر رونشتد بضرورة وجود احتياط قوي من الفرق المدرعة حول منطقة باريس .

وافق هتلر بصورة عامة على تقارير رئيس اركان جيشه ، وتمسك تمسكاً شديداً بالدفاع الفوري عن الساحل حسب فكرة رومل ، ولكنه وافق على تشكيل احتياطات القيادة الغربية حول باريس على ان تؤلف هذه الاحتياطات من فرق مدرعة كانت في الشرق وتحتاج الى اعادة التنظيم ، اذ لم يعد في الامكان تأمين فرق جديدة ، وبالاضافة الى ذلك اصدر اوامره بوضع هذه الاحتياطات تحت سيطرته ايضاً ، وكان ذلك شرطاً مشؤوماً كما سيتضح اخيراً .

كان هتلر معروفاً بميله الى المبالغة في تقدير قيمة المنظومات الدفاعية والتحصينات التي أشرنا اليها سابقاً ، وقد اقتنع او تخيل بأن خطاً ازرق على طوار الساحل يحتوي على عدد من التحصينات وكثير من الحيل الفنية يؤدي الى اغلاق الساحل بوجه المهاجم اغلاقاً محكماً ، فقد كان يمعن النظر بخرائط موقف بديعة على منضدة الخرائط ، تبعد عن الحقيقة مسافة ستمائة ميل !! لقد كان لهذه الخرائط اثرها في تهدئة اعصاب اولئك الذين يمتازون بالطبيعة العصبية ، وربما بوغت هؤلاء مباغتة غير سارة ، لو تهيأ لهم مشاهدة حقيقة مقدار ضعف

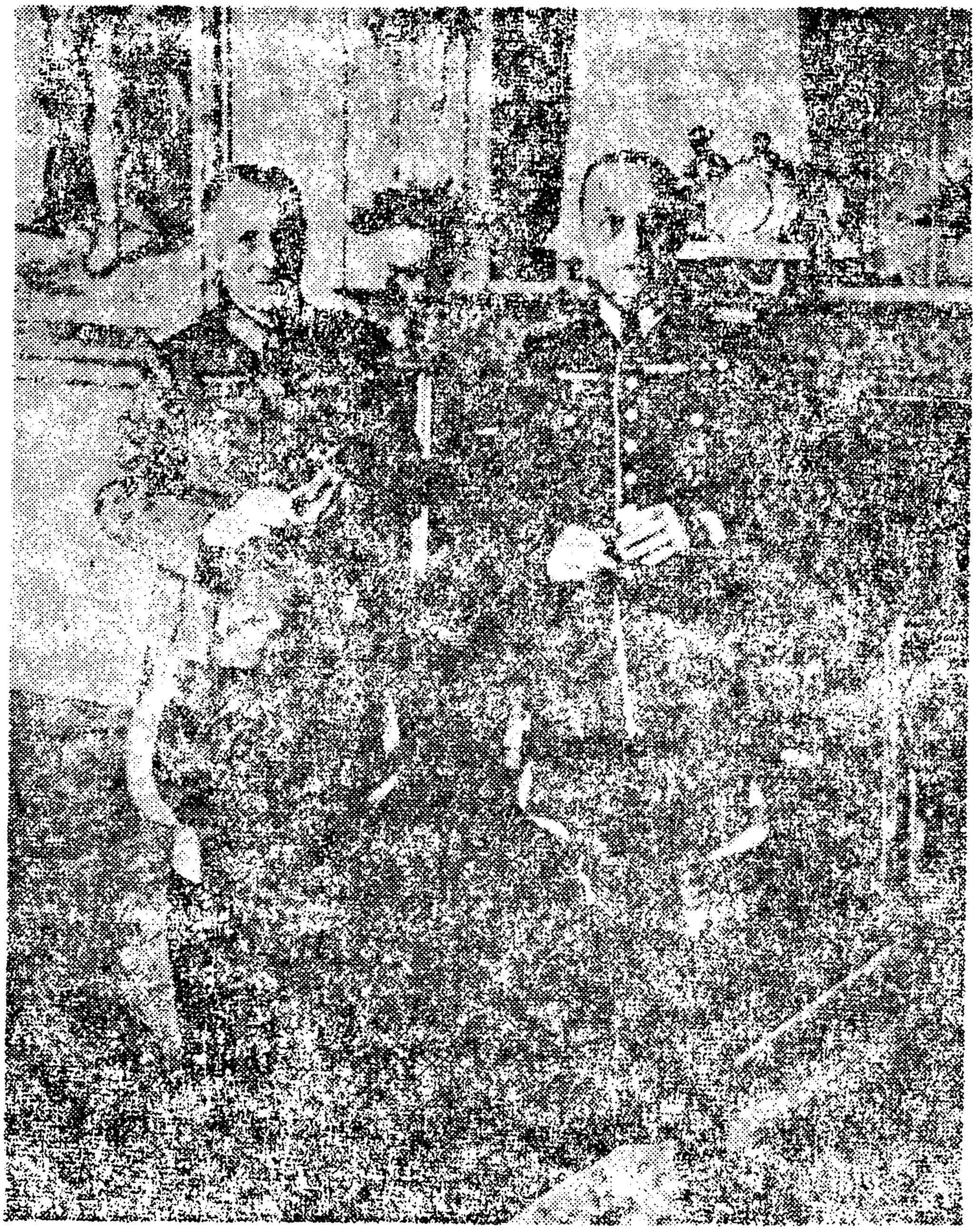
وفقر هذه الحاميات في مناطقها . لقد كان هتلر يحلم بابعاد النكبة عن المانيا بمجرد الدفاع وذلك لثقته بالحديد والسمنت ، ولتزايد قلقة من تعرض الحلفاء الذين كانوا يستحضرون له ، وقلقه على جميع الجبهات في الشرق والغرب والجنوب .

بدأ هتلر يتذبذب بآرائه ثانية نتيجة لقوة تأثير روميل عليه ، ومن الضروري ايضاح ان هتلر لم يكن ابداً ذا ارادة قوية كما كان يتظاهر ، فقد كان رونشتد والذين يعرفون هتلر معرفة حقة ، يعلمون بأنه متردد يسهل التأثير عليه من أي شخص يعرف الطريقة النفسية المناسبة له ، وكثيراً ما بذل في الشرق الفريق هلدر رئيس اركان الجيش اقصى جهوده لاقناعه بشيء ما ، فاذا به يصدر فجأة اوامر مغايرة ؛ وهذا معناه ان شخصاً آخر قد تقدم باقتراح آخر ، فآثر الفوهرر اقتراحه .

اعتاد روميل الاتصال بهتلر هاتفياً كل يوم تقريباً ، اما رونشتد فلم يكن يفعل ذلك مطلقاً، وفي الامكان عند الوقوف عن كثب من روميل حينما يحاور هتلر ، ان يلمس حرارة الحديث بينهما، اذا كان كل منهما يوقد حماسة صاحبه، فضلاً عن ذلك كانا يتكلمان ساعة حول المخترعات الفنية التي كان روميل يحبها حب هتلر إياها .

لم يخفق تأثير روميل القوي المستديم في إحداث انطباع على هتلر ، وكان هذا هو السبب الذي حدا بكوبلز وهملر وسبير والشخصيات الاخرى البارزة الى رعاية روميل وإقناع هتلر باتباع مقترحاته !!

وما من شك في ان روميل المندفع قد تمكن بتأثير إيمانه الذاتي وبمساعدة قادة الحزب البارزين من ان ينقل هتلر الى اتجاه قريب من اتجاه تفكيره ، فنتج عن ذلك التخلي قبيل الغزو عن جهاز الدفاع الغربي كله — ذلك الجهاز الذي كان قد استنفد مدة طويلة في اعداده وفقاً لمبادىء اساسية ، ولكن



المشير فون رونشتد (في اليمين) وعلى يمينه
المشير رومل قائد جحفل الجيش (ب)
« اخذ التصوير في ربيع ١٩٤٤ »

ينبغي ان نؤكد هنا بأن الخصام والتطاحن بسبب هذه الحقائق ، لم ينل من العلاقات الشخصية القائمة بين المشيرين : رونشتد وزومل .

كان رومل معتداً برأيه ، وكان وثيق الصلة كثيراً بهتلر ومعولاً على هذه الصلة ، ولكنه جعل نفسه مرؤوساً لرونشتد طوعاً وهو منشرح الصدر ، فكانت علاقاتهما ودية ، وكان هذا ينطبق ايضاً على رئيس هيئة ركن رومل الجديد الفريق الدكتور (سبيدل) الذي خلف اللواء (كوز) في ربيع (١٩٤٤) .

كان (سبيدل) ضابط ركن فطناً للغاية ، وكان له ذكاء فطري في تلطيف جو الخصام الذي كان من المنتظر نشوبه بين هيئتي ركن رونشتد ورومل .

كان كل من رئيسي هيئتي الركن للقيادة الغربية وجحفل الجيش (ب) قد عرف صاحبه منذ سنة (١٩٢٠) وعملا معاً منسجمين ، وقد وضعا نصب اعينهما بالطبع قائديهما العامين ، كما اعتبرا أن من واجبهما التدخل كلما ظهر سوء تفاهم بين هيئتي ركن المشيرين .

كان رونشتد في شباط (١٩٤٤) مجازاً في (بادتويلز) من أعمال بافاريا ، وكان وكيله بطبيعة الحال الضابط الذي يليه في القدم وهو المشير (سبيدل) قائد الأسطول الجوي الثالث ؛ وقد طلب الي المشير (رومل) وقتئذ تفتيش دفاعات ساحل (بريتاني) معه، فسنحت لي بذلك فرصة مؤاتية لمعرفة رومل معرفة دقيقة . استمرت الجولة حوالي ثلاثة ايام وامتدت من (سنت نازير) خلال (اللورين) و (بريست) الى (سنت بريوس) ، ومن ثم الى قيادة الجيش السابع في (ريمس) الذي كان يشغل هذه المنطقة الفريق (دولمان) . كان رومل ينهض مبكر ويبدأ يومه حوالي الساعة الثامنة ، وكان يشرف دون كلل أو ملل على القطعات ويستجوب آمريها ويطلب اراءته جهاز الدفاع ،

وكان يبدي انتقادات حـادة عندما يجد الأمور لا تتفق ورغباته ، وكان الملاحظ أن آمري الوحدات كانوا وجلين من رومل، وكانوا يتنفسون الصعداء ساعة يغادرهم ، وكانت تسبق زياراته همسات تنـــدر !. كان لرومل اهتمام خاص بالمهندسين، واعتاد ان يصرح فرحاً بأن فن الهندسة كان يستهويه اكثر من كل شيء عندما كان تلميذاً في الكلية العسكرية ، وكان يستصحب دائماً في جولاته التفتيشية قائـــد هندسة جحفل الجيش (ب) اللواء الدكتور (ميز) بالاضافة الى مستشاره البحري الأميرال (رانج) ، وكان من اليسير عـــليّ باعتباري محايداً ان الحظ مقدار ما يستنفد رومل من جهده للأساليب الفنية في الدفاع . كان أهم ما يشغله ليلا ونهاراً في ذلك الوقت ثلاث مشاكل :

١- حقول الالغام : لم يكن يستطيع الحصول على ما يكفي من الالغام، وكان يطلب الملايين منها لزرع حقول واسعة ، وقـد جعل المعامل الفرنسية تشتغل لأنتاجها بعد اخفاقه في الحصول على عدد كاف منها من المانيا . كان خياله الخصيب يمده دائماً بأفكار جديدة ، وهكذا أراد إخفاء حقول الالغام هذه تحت شجيرات العوسج ، وكانت تخطر على باله اكثر الاساليب دهـــاء وحيلة عندما تزرع حقول الالغام الكاذبة لاجل التضليل .

٢ – كان الاسم الفكاهي الذي أطلقته القطعات على هذه الغابات الكبرى من الأوتاد التي أقامها هو : (فاكهة رومل المفضلة) ، وكان الغرض من هـذه الاوتاد إعاقة هبوط العدو من الجو في المناطق المهددة ، فراودته فكرة تقوية هذه المناطق بجذوع الاشجار التي يتراوح ارتفاعها بين العشرة والخمس عشرة قدماً مؤملاً أنهـــا ستعيق الطيارات من الهبوط ، فزرعت صناعياً (بوقار) أعداد لا تحصى من الأشجار ، وذلك بغرزها في الأرض ، وعزم على أستدعاء السكان الذكور ليقوموا بهذا العمل ، واذاع بأنه سيطعم العمال ويمنح الأجور للمتطوعين ، فهرعوا ! وهكذا برزت صورة تستحق الملاحظة : هي قيـام

القطعات الالمانية والمتطوعين الفرنسيين للعمل معاً بهمة عالية لزرع هـــذه الاشجار .

٣ — كان اهتمامه الخاص منصرفاً الى الموانع في الساحل الأمامي ، وقـد أراد بهذه الموانع عرقلة إنزال زوارق العدو على السواحل ، لذلك كان يغرس خلال فـــترة الجزر خطوطاً كاملة من الأوتاد العريضة فيكون منها حواجز ذات رؤوس مدببة . كان هذا عملاً شاقاً إذ كثيراً ما قلعت زوبعة مـــا المجموعة بكاملها وجرفت الأوتاد المخلوعة الى البر، ولكن هذه الموانع البسيطة لم تشبع رغبة المشير الألمي ، فقد خطرت بباله فكرة تزويد كل وتـد منها بلغم يثبت في قمة الوتد قمعة له. من الممكن أن نتصور مقدار الجهود الجبارة التي كان على القطعات أن تبذلها لأجل تجهيز هذه الجبهة الواسعة بكل هذه الموانع ، وبطبيعة الحال كان الوقت والجهد والمواد غـير كافية لتقوية جميع الجبهات ، لذلـــك اقتضى الاكتفاء بتحسين اكثر القواطع تعرضاً للتهديد ، وكان روميل ينزعج كثيراً إذا لم تبذل الوحدات – حسب رأيـه – جهداً كافياً في العمل ، ولم يكن ليسمح بأي عذر !!

كان من الممتع عندما يتوقف روميل في وقت متأخر من المساء في محـل ما لقضاء ليلته هناك، وكان يختار عادة في مثل هذه المناسبات مركز استراحة للجنود ، حيث يستطيع إزجاء التحيـة لمرضات الصليب الاحمر . لم يكن روميل يدخن ، وكان يأكل ويشرب قليلاً ؛ وحينما كانت هيئة ركنه الجوالة تتجمع في المساء حول مائدة العشاء ، كان هناك شعور صادق بأن روميل بعيد جداً بأفكاره عنهم : كان عقله يبحث بصورة مستمرة عن افكار جديدة .. فلم يكن ليهتم بالمناظر الطبيعية ولا بالأبنية التاريخية. لقد كان جندياً فقط.. وكثيراً ما كان يخرج قلماً وورقة اثناء وجبة الطعام ، فيخطط عليهـا بعض الافكار الفنية الجديدة ومن ثم يسلمها لقـائد هندسته ملتمساً منه إبداء آرائه حولها في الصباح التالي قبل البدء بالعمل، وكثيراً ما كان يدفع رجال الهندسة

والمدفعية البحرية الى العمل لمعاونة القطعات الاخرى ، كما كان يطلب منهم دائماً مقترحات جديدة .

كان يذهب الى الفراش مبكراً جداً ، وذلك ليتمكن من البدء بعمل جديد منتعشاً في الصباح ، وكان معتاداً على استصحاب اثنين من المخبرين للصحافة كانا يلتقطان التصاوير له في كل فرصة ممكنة وينشران في الصحف: رومل على الساحل ، وغيرها ... وغيرها ...

ينبغي بلا شك ان نسلم بأن رومل لم يكن مشوقاً وشجاعاً وفعالاً ومليئاً بالافكار فحسب ، ولكنه كان ايضاً ذا موهبة في التصور ، وكان قد عزم على إغراق قطاعات واسعة من الارض خلف الجيش الخامس عشر ، ولكن رونشتد رفض هذه الفكرة ، لأنه لم يدخل فيها حساب الأهلين الفرنسيين هناك، ومع ذلك فقد كانت هذه الفكرة صحيحة من الناحية التعبوية، وحينما أوشك اليوم الاخير من هذه الجولة ان يبلغ نهايته في (دنيس) ، بدأنا منها بسفرة إياب مثيرة خلال (المانس) الى باريس ، وكان قد سمح لبطانته بالمسير امامه وبقي يسوق سيارته خلفهم بصحبتي فقط ، فانتهز رومل هذه الفرصة لكي يفتح قلبه على مصراعيه .

بدأ بحديث متصل منذ مغادرتنا (دنيس) ، وكان حديثه يدور بصورة رئيسية عن الحرب في شمال افريقيا، فعدّد انتقادات مرة لعدد من الشخصيات ذوي المناصب الرفيعة التي لن نتطرق اليها بشيء خاص، وقد وصف الصعوبات العظمى التي لاقاها في قيادته الافريقية والتي كانت نتيجة لرداءة التنظيم بشكل لا يصدقها العقل لأولئك الذين كانوا في القمة . كانت الأوامر تصدر اليه عن هتلر وموسليني ومقر الجيش الالماني، بل وحتى القيادة العليا في روما أصدرت أوامرها اليه ، كما فعل ايضاً ماريشال الرايخ كورنك ، فكيف يتسنى لرجل مثل رومل ان يقود في ظروف يتدخل فيها مثل هذا العدد الكبير من الأفراد والسلطات ؟

لقد كانت الاحوال شبيهة للغاية بما حدث في الغرب كما سبق ذكره ، كما كان رونشتد ايضاً قد تعـــذر عليه اتخاذ التدابير المنـاسبة لسبب وجود التحديدات الكثيرة التي تشلّ حريته في القيادة .

لقد انتفع الجيش البريطاني حينما اضطر الى الانسحاب الى الحدود المصرية بعد قتال مرير ، إذ اصبحت نقاط تموينه المكينة وقواعده خلفه مباشرة على قناة السويس ، ولكن رومل من الجهة الثانية تحطم قلبه حينما لم يعد بالامكان تزويده بالتموين الضروري له على خطوط المواصلات الطويلة . لقد كان لديه حوالي الثمانين من الطائرات المقاتلة الخفيفة (الجيكر) الصالحة للخدمة وشيء قليل من الوقود والعتاد ، وكان عـدد دروعه قد نقص الى درجة خطيرة ، وكانت مواد التموين تنقطع على الطريق البحري وعلى طوار الساحل بتأثير القوتين البحرية والجوية البريطانيتين ، وكان المحور قد فقـــد كلا السيادتين البحرية والجوية في البحر الابيض المتوسط ، وقـد غرق كثير من السفن الالمانية التي كانت محملة بالعتاد والتقويات والوقود . لقد رفع رومل تقـارير مبكرة حول هذه الاخطار الى هتلر اكثر من مرة ، ولكن لم يحدث شيء ! وعلى كل حال لم يحدث شيء منـاسب .. لأن القوات كانت غير متيسرة ، وفضلاً عن ذلك لم يعد بالامكان وصول وسائط النقـل الجوية الى الحدود المصرية .

لذلك طار رومل الى هتلر ليعرض عليـه شخصياً جميع مشاكله ، وقـد قصّ عليّ المشير الشاب بكلمات مُرّة خلال هذه السفرة الليليـة ، كيف ان مقر الجيش الالماني استقبله بتحفظ عظيم قبل كل شيء ، لعدم تمتعـــه بالنصر حينذاك . وقـد اوضح رومل بحرية اسباب غيظـه من بطانة هتلر ، ولكن الفوهرر دعاه بعد الظهر لتناول الشاي وأظهر رثاءه الشديـــد لموقف رومل العصيب ، فأصبحت نتيجة لذلك بطانـة هتلر اكثر تودداً اليه مرة اخرى ، كما هي الحالة دائماً فيما يظهر – ليس بين رجال الجيش فحسب .

لم يتطرق رومل في هذه الليلة من شهر شباط الى شيء ضد هتلر شخصياً، بل كان الامر على العكس من ذلك ، ولكنه عبّر بكلمات ُمرّة حقاً ضد نظامه بكامله ، وقد اقتصر خلال ذلك في تقدير الموقف العسكري البحت ، وبدا أن الناحية السياسية لا تحظى باهتمامه ، وعبّر عن امله في ان يمنحه الحلفاء الوقت حتى حلول مايس ، واختتم افكاره هذه بالكلمات التالية : « بعد هذا يمكنهم ان يأتوا » . وقد عنى بذلك انه سيكون قد اتم حينذاك تقوية دفاعات الساحل بصورة كافية ، كما اوضح ايضاً : لماذا كان يريد ان تكون الفرق المدرعة قريبة من الساحل . لقد اتيح له ان يخبر اسلوب عمل القوة البريطانية الجوية في افريقيا ، فكان مقتنعاً من ان الدروع في مثل هذا الموقف لن يتسنى تحريكها ليلاً او نهاراً لانها ستهاجم من الجو مباشرة .

ليس من شك في ان هذا سبب مقنع،غير انه في هذه الحالة يغدو ضرورياً معرفة مكان انزال العدو بالضبط ، اذ بدون معرفة ذلك قد توضع الفرق المدرعة في مواضع مغلوطة، وعندئذ ايضاً لن يتسنى تحريكها ، وبالاضافة الى ما تقدم ولان العدو سيغمر التحصينات بالقصف الجوي حتماً ، فقد بدا لرونشتد ما يستوجب التفكير في ان الفرق المدرعة ستكون اكثر تعرضاً لهذه النيران المركزة في حالة وجودها قريبة من الساحل مما لو كانت على مسافة ابعد الى الخلف .

لقد كان لكلا الرأيين ما يبررهما ، لا سيما وان فكرة رونشتد السوقية السيارة كانت مبنية على الوعد بنقل تشكيلات جوية قوية الى الغرب حالما يبدأ الغزو، لذا لم يبق الا ان نأسف من عدم اقرار هتلر اياً من هذين الرأيين بصورة كاملة ، ولكنه عمد الى حل وسط بينهما ، بموجبه وضع عدداً من الفرق المدرعة بأمرة رومل ، ولكنه لم يضع اي احتياط بأمرة القيادة الغربية ، كما احتفظ بأمرته بفرقتين مدرعتين جيدتين في غرب باريس، لذلك كان على رونشتد الا يستخدمها قبل ان يلتمس الموافقة على ذلك من هتلر !!

تطرق روميل ايضاً خلال هـــذه السفرة الليلية الى الجانب الانساني من حياته ، فقال : ان رغبته العظمى بعد الحرب تتركز في انشاء حدائق فاكهة وخضر كبرى في بيته داخل بيوت زجاجية وخشبية ، لأنه اعجب بمثل ذلك في هولندا . وهنا يتفق ذوقا رونشتد وروميل ، فان كليهما كان تواقـــاً الى الحدائق والحيوانات ، وكان رونشتد ماهراً جـداً في وضع تصاميم حدائق الفاكهة والخضر ، وكان ينزعج حينما يشاهد حديقته مهملة .

انهمك روميل خلال الساعات الطويلة لهـذه السفرة في التحدث عن نفسه مفرقاً ، فوجدنا انفسنا فجأة في ضواحي باريس . وكان روميل يساكن هيئة ركنه (هيئـة ركن جحفل الجيش ب) في (لاروش – كويون) ، لذلك كنا قد تجاوزنا هدفنا مسافة بعيدة ، ومن الجهـة الثانية كنت انا ساكناً في فندق جورج الخامس في باريس . لقد استمتعت خلال هذه الساعات بالتعرف الى روميل الانسان ، وبسماع شكواه ولوعته لاخفاق الحرب في افريقيا دون ان يكون الاخفـــاق بسبب اخطائه ، وعلى كل يمكن الوصول الى استنتاج يختلف تماماً لو نظر المرء نظرة شاملة .

لا يمكن ان يرتاب احد بما كان يتحلى بـه روميل من مستوى رفيع في الابداع وفي الدأب على العمل وفي عقليته الخلاقة !...

ولكن الموقف السياسي والعسكري ومنابع البشر لالمانيا في سنة (١٩٤٤) كانت قد وصلت حداً بالغـاً من التردي ، فلم تعد الالغام والاوتاد وحقول الموانع ذات تـأثير حاسم على الغزو . لقد جعلت هذه الحقائق الراهنة مضافاً اليها رأي هتلر اليائس عن كفاءة القيادة في النجاح في الدفاع عن جبهة تمتـد الفين وخمسمائة ميل مستحيلاً ، ولم يعد استخدام أشد الاختراعات إبداعـــاً بالاضافة الى الوسائط الاخرى المتيسرة مجدياً في تغيير هذه الحقيقة .

نجح الغزو يوم ٦ حزيران (١٩٤٤) دون ان تحـد الموانع المذكورة من

اندفاعه ، وربما كانت معلومات الحلفاء المستقاة من استطلاعات التصاوير الجوية على البحر والساحل ومن خدمة الاستخبارات غير واثقة في البداية من حقيقة الموانع المقامة على الساحل ، ولكن سرعان ما انكشفت انها كانت وسائط لا تقوى على المقاومة الحاسمة ، وهذه هي محنة كل مدافع عن جبهة واسعة ، لا سيما عندما تكون منابع الرجال والمواد قليلة .

وكان مقر القيادة الغربية خلال اشهر الشتاء يحل فندق جورج الخامس في باريس كما نتذكر ، ولكنه نقل في الربيع الى سانت جرمان ، وكان ذلك بسبب قلة الفحم لأن التدفئة في فنادق باريس تكلف اقل مما تكلفه في بيوت سانت جرمان المنعزلة .. كان رونشتد يساكن رئيس هيئة ركنه ومساعده الشخصي في بيت ريفي ذي حديقة في سانت جرمان ، وكان هذا السكن يتفق وهوى رونشتد في حبه الخاص للحدائق ، فكان يحادث البستاني الفرنسي العجوز طويلاً .

غير انه لم يكن في سنة (١٩٤٣) في هذا البيت ملجأ ضد الغارات الجوية ، فكان بامكان أي قنبلة صغيرة تدمير البيت كله ، ولو زرت هذه الدار في سنة (١٩٤٣) لوجدتها خلواً من ملجأ للحماية ضد الغارات الجوية وبدون سياج يمنع اقتحامها ، كما لم تكن محروسة . لم يكن رونشتد يريد كل ذلك ، وكان يتجول مدة ساعة او ساعتين صباحا خلال سانت جرمان وفي حديقة المدينة ، دون ان يحمل أي سلاح او يرافقه احد غير مساعده .

لقد حبطت محاولة محققين [1] المانيين لمراقبته عن كثب دون علمه ، اذ سرعان ما لاحظ رونشتد بأنها يعقبانه عن بعد ، فأشار اليهما متفكهاً :

---

(١) المحقق : رجل الامن ، أي رجل المباحث ، أي رجل الاستخبارات .
(المعرب)

بأنهما متسكعان ، ومن ثم دخل في ممرات حديقة سانت جرمان واختفى فجأة في منعطف الغابة ، وكان سروره عظيماً جداً عندما لم يعد بامكان مراقبيه ان يقتفيا اثره .

وكثيراً ما أدّت هذه المسيرات الى حوادث مسلية : كان المشير قد اعتاد التزوّد بقطع من الحلويات لتوزيعها على الاطفال لأنهم كانوا يعرفون ذلك جيداً لانتظام مواعيد هذه المسيرات ، وكثيراً ما كان يصادف فيها العمدة الذي كان قد تعرف اليه او يصادف قسيساً من الدير ، ولربما صادف ضابطاً فرنسياً يرتدي الملابس المدنية ، وكان رونشتد معتاداً على ان يتنحى على الرصيف ليوسع لغيره ، ولكن كثيراً ما يتنحى الشخص المقابل فيؤدي ذلك الى اصطدامهما في عرض الطريق !

وسمع هتلر من بعد ذلك ، بأن القائد العام في الغرب ليست لديه حماية ضد الجو من أي نوع كان . لقد كان في سانت جرمان بضعة مدافع مضادة للجو من العيار الصغير فقط والتي كان يستخدمها مؤقتاً حرس المقر من المشاة. تناقل سكان سان جرمان الجملة التالية : « ان المشير فون رونشتد هو افضل حماية لنا ضد الجو » ، فلم يكن يسمح بانشاء أي بناء في (الفيلا) وحتى في الحدائق قائلا : « سيان الموت في الملجأ والموت في الفراش » ، ولكن هتلر كان يرى غير ذلك ، فاستلمت امراً بأن اعد ملجأ مناسباً ، ولكن لما كان هتلر يعلم رفض المشير لذلك ، كلف منظمة (تود) بانشاء الملجأ واخباره بعد انجازه ، فاقتضى الآن حسن التصرف للتوفيق بين الوجهتين .

وحينما غادرنا رونشتد الى (بادتويلز) مجازاً في سنة (١٩٤٣) ، كان كل شيء مهيئاً للبدء بانشاء ملجأ وقتي في الطابق الاسفل من (الفيلا) فوراً ، وعندما انتهت اجازته كان الملجأ الذي أعد في الطابق الاسفل جاهزاً، ولكن ذلك لم يكن كافياً على رأي هتلر، فأمر بانشاء مانعة في الحديقة يمكن ايصالها بنفق مع مسكن رونشتد، فاقتضى ثانية انتهاز فرصة ذهاب رونشتد باجازة

لانشاء ذلك، وكان الاهتمام الرئيسي منصرفاً الى تجنب مس الحديقة (المقدسة[1]) بأقل ضرر ممكن .

لقد أمكن النجاح في هذا ، وشكراً للعناية الشديدة التي بذلها المهندسون والعمال، لأنه كان مفهوماً بأن رونشتد سيزعجه أشد الازعاج تخريب الاشجار وباحات الحديقـــة ، بالاضافة الى انه لم يكن من عشاق السمنت ، غير انه دمرت حافة وشيع،فسمعت رثاء واضحاً لها لما اجتازها القائد العام .

كانت الامور تختلف بطبيعة الحال بالنسبة لشعبة حركات القيادة الغربية، فقـد كان ينبغي ان يتقوا بحماية قوية من السمنت مزودين بجهـــاز معقد من التلفونات والاجهزة اللاسلكية والبرق ، ليكونوا قادرين على العمل باستمرار عندما تبلغ الامور حداً خطيراً ، ولذلك شيّدت منظمة (تود) منعة كبيرة لهذه الهيئة العاملة على مسافة ثلاثمائة يارد من (الفيلا)، ولم يكن لبقية شعب المقر ملجأ ضد الجو في مساكنها طيلة المدة التي مكثوا فيها في سانت جرمان (حتى منتصف شهر آب ١٩٤٤) .

---

(١) المقدسة عند رونشتد طبعاً ، لأنه كان يحب الحدائق حباً جماً كما مر بنا .
(المعرب)

١٢

كِفاحُ الدرُوع

أراد روميل ان تكون الفرق المدرعة في الخلف اقرب ما تكون من الساحل ، ولكن رونشتد أراد ان يكون موضعها ابعد من ذلك الى الخلف باعتبارها احتياطاً لجبهة القيادة الغربية بكاملها ، وقد شارك رونشتد في رأيه كل من مفتش القطعات المدرعة العام الفريق (كودريان) وقائد القطعات المدرعة في الغرب فون (جوين بيرك) وأوصيا مثله بتهيئة احتياط قوي للقيادة الغربية حول باريس .

مال هتلر مرة اخرى الى رأي روميل ، وقد رأينا أن كلا الفريقين كانا يستندان الى اسباب مبررة، ولكن الامر وصل الى مرحلة تتطلب تطبيق رأي أحدهما تطبيقاً كلياً . ولما كان الامر كبيره وصغيره منوطاً بهتلر ، فقد كان القرار حول استخدام الدروع يعود اليه .

كانت خرائط الموقف للقيادة الغربية في سنتي (١٩٤٣ — ١٩٤٤) تشير الى وجود ما يقرب من عشر فرق مدرعة ، وكان ينبغي ان تكون هذه الفرق كافية لو انها كانت تشكيلات حقيقية ، ولكن أغلبها كان قد تلقى ضربات شديدة في الشرق ، فلم يبق فيها غير عدد قليل من الدروع ، بينما كانت الفرق الاخرى حديثة التشكيل لم تثبت وجودها بعد وبدون عدد كاف من الدروع ... لقد كانت كلها سراباً !

وضع رونشتد تمريناً طبقه قائد القوات المدرعة في الغرب ، وكان الغرض من التمرين هو الدفاع ضد الغزو ، وقد حضره روميل ورئيس هيئة ركنه اللواء (سبيدل) . ولغرض التمرين فرض ان انزالاً جرى في منطقة ساحل القنـــال او في (نورماندي) ، وفرضت بالاضافة الى ذلك انزالات سوقية كبيرة جرت بعيدة عن الجبهة الساحلية ، فقد جاء في التقـارير الواردة من (يورسا) معلومات تشير الى احتمال وقوع انزال من الجو ، كما كان (كيرفون جوبن بيرك) باعتباره ملحقاً عسكرياً سابقاً في لندن ملماً بالتعبيـة الجوية البريطانية . كان من الواضح ان القيادة الغربية ليس لديها ما تدافع به ضـد انزال جوي معاد حول باريس او في مؤخرة الجيش الخامس عشر ، اذ ليس لديها احتياط عام ولا احتياط فوري ، لان الاحتياطات كلها تقريباً كانت على مقربة من الساحل ، واعيرت الحركات الجوية السوقية مـــا تستحقه من اهمية في عام (١٩٤٤) ، اذ عرف وجود ثماني فرق مظليين في انكلترا .

لقد اثبت هذا التمرين النظري وجهة نظر اخرى لرونشتد، فلو ان العدو قام في البداية بانزال تضليلي ، وقذفنا باحتياطاتنا كلها لصده ، فقد يحـدث بعد ذلك الهجوم الحقيقي على نقاط مختلفة اخرى . لقد كان جحفل الجيشين (الانكلو — امريكي) الماكثين في جنوب انكلترا يمتلكان هـذه الفرصة ، فانهما يستطيعان مثلاً انزال قوات ضعيفة عمـداً بالقرب من (اميانس) او في محلات اخرى لجذب احتياطات الالمان الى هناك ، وربما يقع الانزال الرئيس بعد ذلك في (نورماندي) او في (بريتاني) ، وبذلك لا يبقى لدى الالمان احتياطات فورية .

ولكن ما العمل اذا انزل العدو قوات على ساحل البحر الابيض المتوسط ايضاً ؟ سيبعث المبدأ القديم مجدداً ، وهو ان القائد لا يستطيع ان ينجح في القتال ، ان لم يكن لديه احتياطات ، ولكن هذا ينطبق على المدافع اكثر مما ينطبق على المهاجم ، لا سيما اذا كان المدافع خلافاً لجميع اسس فن الحرب

قد اجبر على الاحتفاظ بخطوط محصنة للقيام بدفاع مستكن غير سيار .

لقد التمس اللواء (كيرفون جوبن بيرك) – التمس رونشتد ان يعرض وجهة نظره الثانية المدروسة هذه على هتلر شخصياً في مقره في (برختسكادن) فوافق رونشتد على ذلك ، وكانت النتيجة في الاخير تشكيل احتياط يتألف من اربع فرق مدرعة، ولكن هذا كان من انصاف الحلول كالعادة، اذ لم يكن باستطاعة القيادة الغربية استخدام هذا الاحتياط الا بعد الحصول على موافقة هتلر ، وهكذا غُلت الايدي مرة اخرى !!!...

ظهر فضلاً عن ذلك بأن هذه الفرق الاربعة لا تستخدم بمجموعة واحدة في المنطقة المحيطة بباريس ، ولكن كان يقتضي توزيعها ، فقد وضعت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة وفرقة التدريب المدرعة في المنطقة الكائنة غرب باريس ، ووضعت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى في بلجيكا ، وفرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة جنوب اللوار الاسفل، وتبين اخيراً بأن فرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة كانت لا تزال في دور التشكيل .

وكان على القيادة الغربية ان تستثمر كافة الامكانات وان تلجأ الى كافة انواع الابتكارات والاعمال المرتجلة لخلق احتياط سيار لنفسها ، وكان تشكيل فرقة مدفعية اسلوباً جديداً ، فقد طبق في الماضي اسلوب الاحتفاظ باحتياط في المدفعية ، وكان نابليون الاول قد خدم في واحدة منها ، ولكن في هذه الحالة كانوا يستهدفون شيئاً مختلفاً عن ذلك . كان الروس قد بدأوا في الشرق بتشكيل فرق مدفعية تتألف من مدفعية مختلفة العيارات وآلية من الانواع الممتازة ، وقد اثبتت هذه الفرق بأنها اداة فعالة بيد القيادة العليا ، وكان الجيش الالماني خلال سنتي (١٩٤٤ – ١٩٤٥) فيالق مدفعية مؤلفة من ستة انواع او اكثر من المدفعية يتراوح عيارها من (٥ و ٧) سنتمتراً الى (٢١) سنتمتراً وكانت هذه الفيالق من المدفعية فعالة بصورة

خاصة في معركة (آخن) .

ولكن تنظيم المدفعية بهذا الشكل لم يكن قد انجز في ربيع (١٩٤٤)، لذلك اقتضى وجود ما يعوّض عنها وقتياً ، ومن بين ثلاثمائة وتسع قيادات مدفعية تقرر اختيار عشرة انواع مدفعية من عيارات مختلفة لتكوين اربع كتائب ، الا ان التضارب الكبير الذي ظهر عند تشكيلها عملياً ، ادى الى ارجاء اكمال تشكيلها حتى ابتدأ الغزو .

زار مفتش الدروع العام الفريق (كودريان) الجبهة الغربية ايضاً في نيسان (١٩٤٤) ، وقد اراد ان يطلع على سير تنظيم وتدريب الدروع ، وان يناقش في استخدام الفرق المدرعة. اننا نعلم بأن (كودريان) كان يؤيد وجهة نظر رونشتد في استخدام الفرق المدرعة في منطقة الساحل لا على الساحل تماماً ، وقد اتفق في زيارته هذه مع رأي القيادة الغربية في استحالة التنبؤ بالمحل الذي سينزل فيه العدو . كانت مقترحات (كودزيان) ترمي الى نقل التشكيلات المدرعة من الساحل ووضعها في موضع تستطيع فيه الانفتاح على كلا جانبي السين شمالاً وجنوباً ، ولما كان نسف الجسور بالقصف الجوي أو بالتخريب محتملاً ، اقتضى إنشاء وسائط عبور مغشوشة بالاضافة الى تلك الجسور ، وقد ألح (كودريان) بالاضافة الى ذلك على اجراء كافة التنقلات عبر الطرق الفرعية وعبر الاراضي الخالية من الطرق وبعيدة عن الطرق العامة وأن تجري استعدادات كاملة لذلك .

أجاب هتلر على مقترحات (كودريان) بما يلي : « إنها مقترحات جيدة للغاية ، ولكنني اثق كل الثقة بصحة حكم رومل !! عد الى رونشتد ورومل ثانية ومن ثم اخبرني » .

سافر (كودريان) بسيارته من (سانت جرمان) الى رومل في (لاروش — كويون) ، وهناك لم يتفقا على رأي . أصرّ رومل على رأيه بشدة حول وضع

القطعات المدرعة قريباً من الساحل ، وفي طريق عودته اتصل (كودريان) برونشتد في (سانت جرمان) فأيد القائدان ثانية قرارهما السابق ... وفي بداية مايس عرض (كودريان) نتيجة هذه المباحثات على هتلر ، فأيد هذا ترتيبات رومل .

كان رونشتد قد اقترح كما ذكرنا سابقاً تشكيل جحفل جيش جديد من الجيوش التي كانت في خليج (بسكاي) والبحر الابيض المتوسط مضافاً اليها القطعات الساترة في الالب ، ونتذكر ايضاً أن منصب قيادة هذه القطعات قد جعل منصب جحفل جيش لا أكثر لأسباب شخصية ، وكان القائد العام هو اللواء بلاسكوويتس ورئيس هيئة ركنه اللواء (فون كيلرن فيلدت) .. إنه نصف حل مرة أخرى .

وكان المفروض أن تكون هيئة ركن جحفل الجيش هذا حاضرة يوم ١٠ مايس لقد ازدادت الامارات الدالة على الانزال الذي طال توقعه رونشتد في أشهر آذار ونيسان ومايس، فقد تزايد النشاط الجوي للحلفاء بالدرجة الاولى وعند زيارة (كودريان) لمنطقة القيادة الغربية لمس بوضوح مقدار السيادة الجوية التي يمتلكها الحلفاء ، إذ تتابعت هجمات الحلفاء الجوية بانتظام ، ولم تقتصر على المطارات فحسب، بل شملت مناطق التدريب ومواضع القطعات؛ وكان قصف القطارات المتجهة غرباً نحو المانيا يجري بصورة منتظمة ، لذلك تضاءل عدد القطعات التي يتسنى إيصالها الى باريس يوماً بعد يوم ؛ كما شمل الدمار مراكز المواصلات في الغرب من هولندا وبلجيكا الى جنوب فرنسا فأدت الهجمات الجوية للحلفاء الى إقامة عقبات كأداء في سبيل تأمين احضار التقويات والادامة ، وفي مايس بدأ التخريب المنظم لجسور السين والسوم واللوار .

لقد استهدفت هذه الهجمات عزل منطقتي (نورماندي) و (بريتاني) شمالاً وجنوباً .

من الممكن ان ندرك ان العدو اراد بذلك منع نقل فرق الجيش الخامس عشر عبر السين باتجاه الغرب ، ومنع تقدم القوات الالمانية من جنوب فرنسا نحو شمالها، وكان يجري بانتظام عزل شبهي جزيرتي (بريتاني) و (نورماندي) عن منطقة القيادة الغربية ، كما ان ازدياد غارات حركة المقاومة وتخريباتها ، دلا على ان الحلفاء لا بد ان يقوموا عاجلاً بعمل حاسم .

ظلت باريس نفسها هادئة ، وكانت مراكز المقاومة الفرنسية في منطقة الالب شرقي الرون، وقد تركزت بصورة خاصة حول (طولوز) و (لي موكس) و (كليرمونت – فيرانت) ، وكان كثير منها في منطقة البرانيس وبريتاني ايضاً . لقد كانت حركة منظمة منسقة يقودها غالباً ضباط فرنسيون ، غير انه كانت هناك ايضاً عصابات عارمة تقاتل مستقلة مرتدية الملابس المدنية في بعض الاحيان وملابس رسمية في احيان أخرى ، وكثيراً ما تألفت هذه العصابات غير الشرعية من الاسبانيين او من السفاكين المشردين من الجيش الايطالي الرابع المنحل في (١٩٤٣) ، إذ لم يقتصر تأليفها على الفرنسيين فحسب ، وقد التمس السكان الفرنسيون الحماية الألمانية من هذه العصابات . وفي (١٩٤٤) كانت الأمور قد وصلت حداً من التردي تطلب تشكيل قوافل مسلحة لا سيا في جنوب فرنسا ، لحماية ارتال التموين ومواد الادامة الأخرى ، وإيصالها الى محلاتها بسلام .

لقد كان اخراج القطارات عن خطوطها والقيام بالغارات الارضية وتدمير محطات توليد القوى الكهربائية ووسائط المواصلات ، عبئاً ثقيلاً ، كما كان كذلك خطراً سوقياً يهدد مؤخرة الجبهة الالمانية .

لقد حاول كلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل السيطرة على حركة المقاومة بمعاونة الشرطة السرية ، وقد صرح رئيس الشرطة الفرنسية

في باريس بأن قواته قليلة جداً ، وأن تسليحها أردأ كثيراً من تسليح العدو المتواري .

طلب رونشتد نزولاً عند رجاء القائد العسكري في باريس من هتلر زيادة عـدد الشرطة الفرنسية وتسليحها سلاحاً افضل على الرغم من احتمال ان يكون ذلك سلاحاً ذا حدين ، وكان هتـلر يحاذر من ذلك ايضاً ، ولكنه وافق على زيادة عدد افراد الحرس الأهلي الى ستة آلاف رجل وعلى تزويدهم بسلاح افضل ولا سيما غدارات ستن البريطانية التي كانت تلقيها الطائرات ليلاً باستمرار لحركة المقاومة .

لقد حدث كثيراً اثنـــاء الغزو ان التحمت وحدات كاملة من الشرطة الفرنسية بالقطعات الالمانية .

لم تقـدر قوة حركة المقاومة تقديراً دقيقاً أبداً ، فقد ذكرت السلطات الفرنسية بأن قوة حركة المقـاومة تتراوح بين الستين والتسعين ألفاً ، ولكن كثيراً من الالمان الرسميين كانوا يعتقدون أن عددهم اكثر من ذلك . ان احد مزايا أي حركة ثورية هو تعذر تقدير عدد الأفراد المشتركين فيها ، اذ ان عددهم يزيد تارة ويقـــل اخرى دون إمكان حصرهم . على كل حال فان نمو الحركة بهذه الخطورة في مؤخرة الجبهة الساحلية ، كان كذلك دليلاً لا شك فيــه على اقتراب موعد الغزو . لقد بقي القسم الأعظم من السكان هادئين، بل ان أكثرهم كانوا موالين .

أخبر هتلر القيادة الغربية في نيسان او في مستهل مايس (١٩٤٤) بأن بين يديه تقارير تشير الى ان الانزال سيكون في نورماندي .

قرر مقر الجيش الالماني نزولاً عنـد التماس رونشتد ، نقل فرقة التدريب المدرعة التي لم يكمل تنظيمها بعد الى المنطقة الكائنة جنوب غربي باريس ، كما

كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة متأهبة في غرب باريس ايضاً ، ولكن تقرر ان تكون كلتا الفرقتين احتياطاً عاماً ، ومعنى هذا ان هتلر نفسه سيسيطر على استخدامها .

ارتفع العدد النهائي للفرق فبلغ حوالي ستين فرقة ، ولم يكن لدى الحلفاء في بريطانيا قوات اكثر من ذلك ، ولكن كان على الفرق الالمانية ان تحتفظ بألفي وخمسمائة ميل ، في حين ان قوات الحلفاء تستطيع ان تُحشد في أي قاطع شاءت . كانت الفرق الالمانية مختلفة جداً في كفاءتها ومزاياها العسكرية ، وكانت فقيرة في السلاح وقابلية الحركة والوقود والعتاد ، فيما اذا قارناها بقطعات الحلفاء الممتازة في موادها .

تلقى هتلر في ربيع (١٩٤٤) معلومات وثيقة ، هي احتمال انزال الحلفاء في (نورماندي) ، تلك المعلومات التي لم تكن القيادة الغربية على علم بها ، فزودت هذه المنطقة بالتقويات التي من ضمنها الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جواً ووحدات قوية من الفرقة (٢٤٣) المشاة ، كما كانت هناك ايضاً كتيبة مظليين من فرقة المظليين (الجيكر) الثانية التي كانت في دور التشكيل . وكان حول باريس اللواء المدرع العاشر (أ) الذي شكلته القيادة الغربية تدبيراً وقتياً وجهزته بالدبابات الفرنسية المغتنمة ، وقد شملت التقويات حتى كونتنتين ، فقد دفع الجيش السابع الذي كان يحتل هذه الجبهة فوج الصاعقة المنسوب اليه الى هذه المنطقة المهددة ، كما ساهم القائد العسكري في باريس بكتيبة من كتائب الأمن لهذا الغرض . كانت كل هذه التدابير غير كثيرة الجدوى بل انها ببساطة أجزاء من أعمال لا أعمالاً كاملة ، لكن لم يكن لدى القيادة الغربية قوات اخرى تتصرف بها غير تلك القوات . لقد كان بالامكان نقل بضع فرق كاملة بهدوء من منطقة الجيش الخامس عشر ، ولكن لم يكن هناك من يعلم بأن المنطقة الهامة لهذا الجيش لا تهاجم من القنال ، فهل كان ينبغي اعتبار نورماندي مجرد خدعة لجلب الاحتياطات اليها ، أم ان الهجوم

الرئيس سيحدث بين السوم والسين او الى الشمال من السوم ؟ لقد بقيت كل هذه الأسئلة لغزاً مغلقاً ، كما هو الحال بالنسبة لانزال آخر سيحدث او لا يحدث على ساحل البحر الابيض المتوسط !

لقد لخص روميل الموقف في جبهة جحفل جيشه (ب) قبيل الانزال مباشرة كما يلي : —

لقد بقيت الاجهزة اللاسلكية البريطانية صامتة ردحاً من الزمن، ولكنها استعادت فعاليتها يوم ٣٠ مايس، وازدحم يوم ١ حزيران بالرسائل اللاسلكية الخفرية الموجهة الى حركة المقاومة الفرنسية ، ونظراً لأن سابلة المواصلات اللاسلكية كانت كثيرة جداً ، لذلك كان استنتاج مكان انزال العدو بالضبط امراً متعذر . لقد دلت الهجمات الجوية المتزايدة على الجبهة الساحلية (دانكرك — دييب) وعلى جسور السين والايسن بوضوح ان مركز ثقل الهجوم الرئيس قد يكون على منطقة الجيش الخامس عشر .

رجّح روميل قبل ابتداء الغزو حدوث انزال في قاطع الجيش السابع وفي منطقة الجيش الخامس عشر، وبذلك اتفقت وجهة نظره مع وجهة نظر هتلر ورونشتد . لقد خمن رئيس هيئة ركن روميل اللواء سبيدل قوات العدو بأربعة جيوش آلية مع معظم قواتها الجوية وأساطيلها ، وقد اعتقد كل من رونشتد وروميل وسبيدل، ان العدو بعد ان ينجح في الغزو سينطلق متوجهاً نحو منطقة باريس المركزية .

لقد أُجريت الاستحضارات بصورة مفصلة وفقاً لوصايا المشير رونشتد لمعالجة جميع الهجمات الممكنة على طول جبهة القيادة الغربية التي تبلغ (٢٥٠٠) ميل ، بحيث يتاح نقل بعض الفرق من اجزاء الساحل الذي لم يتعرض لهجوم العدو الى الاماكن المهاجمة فعلاً بأسرع وقت ممكن، ولم تقتصر

تلك الوصايا على تخصص التشكيلات المسؤولة سلفاً فحسب ، بل عينت ايضاً القوات التي تأخذ محلات تلك التشكيلات وتوزيع القواطع، وخُصصت النقلية اللازمة لكل ذلك ، وحُددت لها حتى الطرق التي ستسلكها كتدبير يؤمن قابلية الحركة ، وقد انجز عمل الركن الشاق هذا رئيس شعبة حركات القيادة الغربية الفريق المجرب (زمرمان) الذي كثيراً ما ذكرناه سابقاً .

كان القائد العام للجيش السابع الذي يحتل مواضعه في نورماندي وبريتاني يطبق تمريناً حربياً في ريمس ، اشترك فيه كثير من آمري الوحدات ، وكان هذا الجيش قد قرر بنفس الوقت ان يخفف من قيود الانذار المطبق بشدة على الوحدات ، لأن التعب بدا عليها ، وكان رومل قد غادر مقره الى اهله في (أولم) باجازة من قيادة القوات الالمانية لأسباب عائلية أولاً وليزور هتلر في (برخستكادن) وليحضر مؤتمراً هناك ايضاً .

لقد كانت اشارة الأنذار الأولى للقيادة الغربية عبارة عن رسالة لاسلكية سرية صدرت من انكلترا بين الساعة التاسعة والربع والتاسعة والنصف مساء. كانت محتويات هذه الرسالة متوقعة ، فقد دعت حركة المقاومة في جميع فرنسا الى القتال ليلة ٦/٥ حزيران .

لقد عمد الفريق (زمرمان) الذي كان اول من استلم هذه الرسالة ، الى تهيئة المقر بوجوده الكامل للعمل حالاً ، وأبدى مشورته الى رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ، وأرسل رسالة برقية الى مقر جحفل جيش (ب) كما أحاط جحفل الجيش (جـ) في جنوب فرنسا والاسطول الجوي الثالث والجحفل البحري الغربي وكلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل علماً بذلك ، وكان رئيس ركن جحفل الجيش (ب) الدكتور اللواء (سبيدل) قد علم قبل ذلك بفحوى هذه الرسالة اللاسلكية ، لأنه كان قد استرقها هو ايضاً ، وهكذا انجزت كافة الاجراءات الممكنة في الساعة العاشرة والنصف

مساء، وكان الجيش الخامس عشر الذي يحتل ساحل القنال قد أصدر أوامره مدفوعاً بابداعه الذاتي الى قطعاته بمضاعفة الحيطة والحذر ، وحـــذا الجيش السابع حذوه في ذلك .

ارسلت رسالة حول الموضوع الى رونشتد بعد انجاز هذه الأوامر الأولية المختصرة ، فأرسل بدوره مجموعـــة من الرسائل البرقية الى جميع القيادات والسلطات الأخرى الموجودة في منطقته ، وقـــد تم اعتراف آخر المحطات اللاسلكية في الساعة الواحـــدة والعشرين دقيقة صباحاً من يوم ٦ حزيران باستلام تلك البرقيات ، مما دلّ على سرعة إرسال واستلام البرقيات ، وقـد أخـــبر المقدم ميبرديترنك رئيس شعبة الاستخبارات مقر القوات الألمانية المسلحة بالموقف .

اخبر اللواء سبيدل شخصياً القيادة الغربية يوم ٦ حزيران بـــين الساعة الثانية والثالثة صباحاً بهبوط قوات المظليين وقطعات الزلاقات في شبه جزيرة كونتنتين . كان الوقت التعبوي الذي جرى فيه إنزال المظليين من الجو بـــين الدقيقة ثلاثين بعد منتصف الليل وبين الساعة الواحدة والنصف صباحاً أي لمـــدة ساعة واحدة بعد منتصف الليل بقليل . ولم ترد تقارير عن حدوث طيران مستمر داخل نورماندي ، وقد اشتبكت قطعاتنا مـع العدو النازل ولكن تفاصيل الاشتباك لم تكن معروفة وقتذاك .

لم يتصور رونشتد - والانزال يجري بزخم شديد - بـــأن هذا الانزال كاذب وللخداع ، بل اعتقد بأنـــه إنزال رئيس تزداد خطورته باستمرار ؛ وقد أصبح واضحاً لديه أن القطاع الشمالي لساحل نورماندي أصبح مهدداً ، وأن هدف الانزال قد يكون مصبات النهرين الصغيرين (وورن) و (فاير) ، ومع ذلك فأنه لم يكن بامكان القيادة الغربية حتى الآن أن تقطع برأي اكيد بأن الحوادث التي جرت حتى تلك الساعة هي مقدمة الغزو الحقيقي ، فقـد

كانت بعض الشكوك لاتزال تخامر الأفكار من أن هـــذا الهجوم ليس إلا هجوماً ثانوياً ، اذ اقتصر على الانزال من الجو فقط ، ولم يتبعه إنزال حقيقي من البحر حتى ذلك الوقت . كان على القيادة الغربية أن تفترض بـأن العدو لا يمكن أن يقوم بالانزال من الجو بدون أن يعقب إنزاله هـذا بالانزال من البحر، وإلا فان الانزال الجوي وحده معناه تضحية بدون مبرر بالتشكيلات الجوية الثمينة، لذلك قرّر رونشتد في ساعات الصباح الباكر أن يقوم بالهجوم على العدو على اي حال لافناء الوحدات المعادية النازلة من الجو ، فـاذا نجح هجوم رونشتد ، فربمـــا تنكشف نيات العدو في القيام بانزاله الحقيقي على الساحل .

لم يكن بالاستطاعة الانتظار مدة اطول !.. لقد كان على جحفل الجيش (ب) الذي تقع هذه الاماكن المهددة في منطقته أن يقهر العدو قبل كل شيء بقواته الخاصة ، وهذا ما حدث نتيجة للتدابير السريعة البعيدة النظر لرئيس هيئة ركن رومل . كان رومل ايضاً كما هو الحال في القيادة الغربية ، قـــد اتخذ كافة التدابير الممكنة سلفاً لمقاومة الهجوم ، فـــلم يكن بإمكانه خلال الأربعة والعشرين الساعة الأولى ان يضيف اي شيء الى ما كان قـــد انجزه رئيس هيئة ركنه . لقد اشتغل المحرك تلقائياً دون أن يظهر الأثر الشخصي للقادة العاملين في الحركات إلا بعد مضي أربع وعشرين ساعة ، اذ ظهرت في الميدان القوات الاحتياطية الكبيرة الأولى ، وقبل ان تشترك هذه القوات في القتال ، لم يكن هناك ابداً ما ينم عن التدخل الشخصي . كان رومل قـــد أخبر فوراً هاتفياً ليلة ٥/٦ حزيران ، فسافر بسيارته من المانيا متوجهاً نحو الجبهة حالاً .

كان لدى الجيش الذي انهمك في مقاومة عمليـة الانزال ، اي الجيش السابع ، كانت لديه الفرقة الواحدة والعشرين فقط احتياطاً عاماً ، وكانت هذه الفرقة من التشكيلات الجديدة ، وهي ذات دبابات فرنسية من الغنائم،

لذلك لم تكن نداً لمقاومة الدبابات الحديثة للحلفاء .

أوعز رونشتد بعد منتصف الليل بقليل من يوم ٦/٥ حزيران بأعطاء اشارة الانذار في منطقة معسكر الفرقتين المدرعتين لتكونا قادرتين على الحركة عند استلام الأمر باتجاه (كان) و (سنت لو) دونما تأخير . اصدر رونشتد امراً جديداً لكافة المواقع بين الساعة الثانية والنصف والثالثة والنصف صباحاً، اذ أصدر على مسؤوليته الأوامر التالية للفرقتين اللتين كانتا من قطعات مقر القوات الالمانية العامة المسلحة :

« تتحرك فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة بأسرع ما يمكن باتجاه (لي سيوكس) ، وتكون فرقة التدريب المدرعة متهيئة للحركة من محطة (ابلرت) وتصبح كلتا الفرقتين عند دخولها ميدان الحركات تحت قيادة جحفل الجيش (ب). وعلى ذلك فان الوحدات المتقدمة من الفرقتين بامكانها ان تدخل منطقة القتال حوالي الساعة الثامنة صباحاً، أما الفرقتان المدرعتان نفسهما ، فتدخلان قبيل المساء .

اجرى رئيس هيئة الركن ورئيس شعبة الحركات للقيادة الغربية عدة مكالمات هاتفية مع مقر القوات المسلحة الالمانية العامة حول السماح بانطلاق هاتين الفرقتين، وقد جرت تلك المكالمات بين الساعة الثالثة والساعة السادسة صباحاً ، وخلال هذه الساعات اخبر الاسطول الجوي الثالث بأن التقويات التي وعدوا بها مراراً لن تصل اليهم ابداً من جراء الموقف الجوي في الشرق وفي المانيا نفسها ، ومعنى ذلك ان كثيراً من التدابير والامور المفروضة التي بنيت عليها خطط القيادة الغربية عصفت بها الرياح .

كان لدى الاسطول الجوي الثالث في صباح ٦ حزيران تسعون طائرة (قاصفة) صالحة للعمل وسبعون طائرة مقاتلة ، ولا يمكن احباط اي انزال على مقياس كبير بمثل هذه القوات .

لقد ألغي مقر القوات الالمانيـــة المسلحة امر حركة الفرقتين المدرعتين التابعتين له،ذلك الأمر الذي كان قد اصدره رونشتد على مسؤوليته الشخصية وبابداعه .

كان في القسم الشمالي من (كونتنتين)تشكيلات امريكية من التشكيلات المحمولة جواً مشتبكين في القتال ، وقد هبط بعضهم على مسافة بعيدة داخل شبه الجزيرة ، والظاهران تطويحهم هذا كان نتيجـة العواصف ، وقـد ادى ذلك الى اشتباك هـذه الوحدات الامريكية المنعزلة ضـد الفرقة الواحدة والتسعين الالمانية المحمولة جواً وضد وحدات من فرقة المشاة الثانية ، وبذلك انشغلت هذه الوحدات عن الاشتباك بالقوى الرئيسة للعدو ، وقـد تمكن القسم الاعظم من القطعات الهابطـة من الجو على جوار الساحل من التجمع ، وسرعان ما تأمن اسنادها من البحر .

لقد كان قائد الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جواً في (ريمس) ايضـاً يوم ٥ حزيران مشتركاً في تمرين الجيش السابع الذي ذكرناه ، وفي طريق عودته الى فرقته ليلة الغزو تحرك بسيارته وسط قطعات المظليين الامريكان ، فقتل بنيرانهم مع مرافقه .

وبينما كانت هذه الحوادث التي تطرقنا اليها بايجـاز تجري وراء الجبهـة الساحلية بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحاً ، في هـذا الوقت — استطاعت الدفاعات الساحلية ان تكون حاضرة للدفـاع ، اذ اصبح من الواضح الآن ان التمهيدات التي انجزهـا المظليون والقطعـات المحمولة جواً للحلفاء سيعقبها الغزو الرئيس حالاً .

اخبر جحفل الجيش (ب) القيادة الغربية بين الساعة السادسة والساعـة السادسة والنصف صباحاً من يوم ٦ حزيران ، ان العدو انزل قطعاته على جبهة واسعة بين لاوون والفاير ، وانه لا يزال مستمراً في انزاله . وقد سبقت هذا

الانزال نار شديدة جداً من المدفعية البحرية وقصف جوي عنيف، وقد ارسل هذا التقرير الى كافة المواقع والى مقر القوات المسلحة الالمانية العليا ايضاً ، وحوالي هذا الوقت نفسه وصل امر القيادة الالمانية العليا الذي تضمن ايقاف الفرقتين المدرعتين الشهيرتين ، ولكي تستطيع الفرقة الثانية عشرة ان تواصل التقدم حتى (لي سيوكس) لا اكثر ، اما فرقة التدريب المدرعة فعليها ان تبقى حتماً في محلها القديم غرب باريس ، وكان على القيادة الغربية ان تتقبل كثيراً من التأنيب لتصرفها بهاتين الفرقتين على مسؤوليتها متجاهلة الاوامر ودون اخذ موافقة الفوهرر .

وعندما أخبر رئيس شعبة الحركات (زمرمان) الضابط المنسوب الى القيادة الالمانية العليا ، بأن الانزال مستمر بنجاح ، والتمسه ملحفاً ان يطلق سراح الفرقتين المدرعتين ، أجابه ذلك الضابط جازماً : « انك لا تستطيع ان تقرر ذلك فان الانزال الرئيس قد يكون في مكان غير هذا » .

لقد حاولت القيادة الغربية ان تفهم القيادة الالمانية العليا ، ان الوقت الذي لا يمكن تأخيره لصد الغزو قد حلّ فيجب اهتباله ، واذا هاجم العدو جبهة اخرى ، أمكن ارسال الاحتياطات اليها على كل حال ، ولكن اذا أفلح انزال الحلفاء في نورماندي ، فانهم سيزجون بقوات اخرى في هذه الجبهة .

لقد اتصلت هاتفياً بمقر القوات المسلحة الالمانية حول هذا الموضوع طيلة الصباح وفي الساعات المبكرة من بعد الظهر ، ولكن دون جدوى ، وكان الجواب دائماً : ينبغي ان يقرر الفوهرر اولاً !!

وكان من عادة هتلر الذي كان يعمل حتى حلول الساعات المبكرة من الصباح ، ان يأوي الى فراشه ظهراً ، ولم يكن هناك في مقر القيادة الالمانية العليا من يمتلك الشجاعة الكافية لإيقاظه ، لذلك لم يستلم المعلومات المفصلة الا

بعد بضع ساعات من بلوغ الغزو ذروته ، واخيراً وبين الساعة الثالثة والساعة الرابعة مساء أطلق هتلر سراح كلتـا الفرقتين المدرعتين ، ولكن ذلك اصبح متأخراً جداً ، لأن هذين التشكيلين لا يحتمل اشتباكهما في القتال الا في وقت ما من يوم ٧ حزيران ، واكبر الظن انهما لن تشتبكا قبل يوم ٨ حزيران نظراً لخطورة الموقف الجوي؛ وبحلول هذا الموعد يكون الحلفاء قد ظفروا بمواطىء قدم ثابتـة على الساحل ، وأنجزوا تشكيـل رؤوس الجسور ، لذلك كان من المشكوك فيه كثيراً إمكان نجاح الهجوم المقابل .

يسود الاعتقاد اليوم بأن الغزو بكامله كان يخفق، لو ان الفرقتين المدرعتين كانتا قد انطلقتا بعد منتصف الليل تماماً يوم ٦ حزيران ، وكثيراً ما تناقلت الألسن وجهة النظر العسكرية البحتة هذه بعـد انتهاء الحرب . على كل حال فان رونشتد ورئيس هيئة ركنـه كانا في شك – بالنسبة للموقف – فيما اذا كان بالامكان نجاح منع الانزال بهذه الطريقة .

ولو ان هاتين الفرقتين حركتا حوالي الساعة الواحدة صباحاً، لما استطاعت حتى وحداتهما المتقـدمة ان تصل الى منطقة المعركة خلال الساعات القليلة التي تسبق ضياء اليوم التالي (الساعة الرابعة صباحاً) ولكانتـا هدفين لقصف القوة الجوية للحلفاء . ولربما كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثـانية عشرة وهي التي كانت أقرب الى منطقة الانزال ، تستطيـع ان تدخل منطقة القتال بعـد الظهر ، ولربما تمكنت فرقة التدريب المدرعة من الدخول عنـد حلول المساء على أقل تقدير ، لأنها كانت تبعـد اكثر من مائة ميل عن منطقة الانزال ، لذلك اذا فرضنا بأن كلتا الفرقتين قد تحركتـا معاً ولم تنشطرا قبل ان تبدءا بالعمل ، فربما كانتا تستطيعان ان تصلا في الصباح المبكر من يوم ٧ حزيران، وكل تقدير آخر لوقت وصولهما لا نصيب له من الصحة .

وحالما زجّ بالهجوم المقابل الذي استهدف المنطقة الساحلية طبعاً ، فانه لم

يصبح تحت تأثير النار الدفاعية للعدو فحسب ، بل اصبح تحت قصف القوة الجوية الشديد ، كما اصبح ضمن المدى المؤثر لنيران اسطول الحلفاء . لقد كان لهذه النيران تأثيرها المعنوي الشديد على الرغم من انها لم تكن مدمرة فعلاً ، فقد أخبرت كافة الوحدات بأنها اصبحت تعاني قصفاً شديداً من المدفعية الثقيلة للبحرية .

يعزى نجاح الغزو بكل بساطة ، الى ما كان يمتاز به من النواحي الفنية والمادية ، اكثر مما يعزى الى بضعة أخطاء المانية ، كما ان التسليح الالماني لم يتطور منذ سنة (١٩٤٤) ؛ وسواء أكانت الفرق جيدة او رديئة ، وسواء استخدمت بسرعة ام ببطء ، فان مثل هذا التفوق الجوي والمادي للحلفاء المركز على جبهة واحدة ، لا بد له ان يقهر الدفاع لا سيما دفاعاً غير رصين كالذي كان للالمان بين سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) .

لقد اصبح واضحاً مساء يوم ٦ حزيران ، أنه لا أمل يرتجى من محاولة قهر الانزال بهذه القوات المتيسرة ، وربما ستكون هناك هجمات مقابلة محلية تحظى بالنجاح ، ولكن ذلك لن يبدل الموقف العام الراهن .

كانت الفرقة الثانية والثمانون الامريكية المحمولة جواً ، قد تركزت حول (فالون) ، كما كانت الفرقة الواحدة بعد المائة الامريكية المحمولة جواً في جوار (كارينتان) وتمتد منطقتها الى حوالي مصب نهر (الفار) . وقد صادفنا القطعات البريطانية الى بعد يمتد حتى اورن (داخل) ، وقد دلت التقارير على أن حدود كليهما تمتد حتى غرب (بابوكس) . لقد كان القتال المبكر ضد الفرقة الثانية والثمانين الامريكية ناجحاً ، ولكن الهجوم الالماني المقابل لم يظفر بالنصر الحاسم .

اصبح للحلفاء الآن اتجاهان ممكنان للهجوم : نحو (الاورن) باتجاه باريس ، ونحو شمال (كونتنتين) باتجاه قلعة (شاربورغ) .

ولم تكن القيادة الغربية حتى ذلك الوقت قد أدركت تماماً أثر ما أطلق عليه: (المرافىء الاصطناعية)، ولذلك توقعت هجوماً مبكراً على (شاربورغ) التي كان لها ميناء حسن صالح لتموين الحلفاء؛ ولما كانت قطعاتنا غير كافية لهجوم مقابل ناجح، لم يبق الا الاقتصاد في هذه القوات وسحبها تدريجياً الى ان تصل تقويات اخرى. لقد كان في الامكان اجراء هذا الانسحاب الى وراء نهر (الاورن) وحشد جميع الاحتياطات على الضفة الجنوبية لغرض الهجوم المقابل، وجعل هذه الخطة اساساً تبنى عليها خطط القيادة الغربية.

كان رونشتد يشك في نجاح هذا القرار، لتفوق الحلفاء الساحق في الجو والمواد، غير ان تطبيقه كان يؤدي على الأقل الى تطبيق اسلوب القيادة المرنة لا المستكنة على كل حال؛ ولم يكن ممكناً وضع هذا القرار موضع المناقشة، لأن هتلر لم يكن ليوافق على تطبيقه، فقد كان يتصور ان انقاذ الموقف يتوقف على صمود لا أمل فيه بالانسحاب!!

لقد بدأ روتشتد وروميل يشعران بالفراغ الناجم من عدم وجود الوصايا العامة، فدأبا على المطالبة بها.

لقد كانت في (نورماندي) مواضع مناسبة لتعويق العدو على الأقل، من هذه المواضع ما يلي:

(كان – سنت لو – إلي سي)، و (كان – سنت لو – كوتانسس)، و (كان – تيسي – كران فيل)، و (كان – فاير – افراشس) هذه الخطوط تسد بالتعاقب (كونتنتين) الضيقة وتمنع العدو المهاجم من التدخل في المناطق الفرنسية الكائنة وراءها، ولكن هذه الخطوط لم تكن ذات فائدة عملية، اذ لم تكن محصنة تدافع عنها قوات كافية! واكثر من هذا، كان ينقصها احتياط كبير من الفرق المدرعة الذي طالما ألحف في طلبه، وبدون كل ذلك فان الدفاع السلبي بكامله لا يتيح غير كسب وقت قليل.

من الممتع ان انزال الحلفاء لم يجر في وقت المد كما توقعت القيادة الالمانية، ولكنه جرى في وقت الجزر ، لذلك فان موانع رومل التي كانت على الساحل لم تؤثر الا قليلاً !.. ثم دمرها مهندسو العدو بسرعة .

لقد صمدت فرقتان ساحليتان : هما الفرقة (٧١٦) والفرقة (٣٥٢) اللتان كانتا تدافعان عن جبهة واسعة بشجاعة ضد زخم الصولة الاولى ، ولكنهما غلبتا على أمريهما بعد ذلك ، للتفوق العددي الساحق للعدو على الرغم من استمرارهما في الدفاع عن نقاط معزولة قوية . لم يعد بامكان الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة التوغل بهجوم مقابل حسن التوجيه ، ولأن هذه الفرقة كما ذكرنا سابقاً مجهزة بدبابات فرنسية مغتنمة ، فان كفاءتها الحربية كانت ناقصة بشكل بارز. لقد كان العدو قادراً على انزال قوات اخرى على جبهة واحدة بأسرع مما تستطيع القيادة الالمانية نقله من احتياطاتها . لم يبق لرونشتد نتيجة لأوامر هتلر الصارمة غير الصمود في قلعة (شاربورغ) أطول مدة ممكنة والقتال من اجل كل شبر من الارض في (نورماندي) ، وليس هذا بالذي يلائم خبيراً في القضايا السوقية .

لقد كان واضحاً ان ساعة اندفاع جيوش الحلفاء بقابلياتها العظيمة على الحركة لاختراق آخر خط دفاعي في (نورماندي) آتية لا ريب فيها ، وحينذاك ستكون هذه الجيوش قادرة على التوغل في ارجاء فرنسا، مستفيدة من كافة الطرق العامة والفرعية ، متجهة نحو الشرق والشمال الشرقي ، لتصل سريعاً الى حدود المانيا المحرومة من الحماية الكافية . ان قطعاتنا مؤلفة من فرق مشاة بطيئة مزودة بنقلية الحيوانات ، لذا فمن المؤكد انها ستلاقي نفس مصير القطعات الفرنسية التي لاقته عام (١٩٤٠) في الصفحة الثانية من الحملة الغربية ، حينما مزّقت دروع (كليست) و (كودريان) أرتالهم المتراجعة... لقد توقع رونشتد دائماً قيام العدو بمثل هذه الحركة بعد اندفاعه من شبه جزيرة (كونتنتين) نتيجة لا مفر منها . وليس من شأن هذا الكتاب ان

يعدد كافة الحوادث المهمة التي حدثت بعد ٦ حزيران ، لذلك سأقتصر على تسجيل مداولات رونشتد الاخيرة واختلافاته مع القيادة الالمانية العليا .

لقد اقتنعت القيادة الغربية بأن غزو نورماندي هو الغزو الحقيقي وليس حركة ثانوية ، ولكن هتلر من الجهة الثانية وروميل نفسه في الايام الاولى ، كانا لا يزالان في شك من ذلك انهما كانا يتصوران وقوع انزال ثان في منطقة الجيش الخامس عشر ، ولذلك كانا يحتفظان حريصين بالفرق ولا يدعانها تتجه نحو (نورماندي) .

كان المشير (كايتل) هو بنفسه يتصل هاتفياً كل يوم تقريباً ليبلغ أوامر هتلر وليؤكد ضرورة تمسك الجيش الخامس عشر بأعظم درجة من الحيطة والحذر ، وليطمئن الى ان هذا الجيش لم تنتقص قوته إلا لضرورة قصوى ولأقل ما يمكن .

كان لدى الحلفاء قوات اخرى متأهبة في انكلترا ، فمن كان يضمن يوم ٦ حزيران او في الايام التالية ، انه لن يجري انزال ثان في اماكن اخرى ؟ لقد توصل رونشتد شخصياً الى تقدير يختلف عن ذلك ، اذ فكر ألا مبرر لمجازفة الحلفاء بانزال على الجبهة الاقوى من القتال، في الوقت الذي استطاعوا فيه الفوز بموطىء قدم ثابتة في (نورماندي) ، ولكن الحرب ليست معادلات حسابية ، وان المجهول فيها أهم عواملها .

كان على رونشتد في نفس الوقت ان يفكر في احتمال وقوع انزال في جنوبي فرنسا ، فلو وقع هذا وقام الحلفاء بالهجوم من الجنوب على كلا جانبي (الرون) متجهين نحو (ديجون) ، فان هذا الاندفاع يتوغل عميقاً في جانب ومؤخرة جبهتي القتال وخليج (بسكاي) ، وحينذاك يمكن بسهولة تامة قطع خط انسحاب الجيوش الالمانية من فرنسا الى المانيا .

لقد كان مثل هذا الغزو اخطر كثيراً من انزال يقع على القنال ، وقد رجّح رونشتد بطبيعة الحال ، ان يبدأ الحلفاء بتعرضهم على البحر الابيض المتوسط في وقت آخر ، أي عندما تكون جيوش الحلفاء متحركة بسرعة منطلقة من (نورماندي) ومتجهة نحو الشرق ، وذلك لكي يضمنوا تنسيق نتائج كلا التعرضين .

لقد استولى الالمان يوم (٧) او (٨) حزيران اثناء القتال العنيف في (نورماندي) على خطة حركات فيلق أمريكي ، فكانت هذه الخطة المفصلة ذات فائدة قصوى للقيادة الالمانية ، اذ اشتملت على جميع تفاصيل الانزال وعلى خطة الحركات التي ستطبق في الفترة التي تعقب نجاح الانزال مباشرة ، وكان مرفقاً بهذه الخطة عدد كبير من الملاحق والمخططات . لقد ابرزت هذه الخطة عناية ودقة هيئة ركن الحلفاء ، فقد كانت مواضع القطعات الالمانية والتفاصيل الخاصة بها موصوفة وصفاً دقيقاً جداً ، كما احتوت هذه الوثيقة على وصف ممتاز للنواقص في تجهيز وتسليح الفرق الساحلية الالمانية . كانت هذه الخطة ذات اهمية قصوى بالنسبة لرونشتد وروميل ومقر القوات الالمانية المسلحة ، لأنها أثبتت ان الانزال في (نورماندي) كان هو الانزال الحقيقي. لقد امل الحلفاء - نظراً لما جاء في هذه الخطة — ان يندفعوا سريعاً خلال (نورماندي) ، وان يتغلبوا على المقاومة الالمانية في وقت قصير ، ولكن تبين ان تقديرهم هذا كان خطأ ، لأن القتال الذي جرى في شبه الجزيرة فعلاً ، استمر وقتاً اطول بكثير مما قدّره الحلفاء . وهذا برهان قاطع على المقاومة الباسلة للفرق الالمانية الضعيفة خلال سنتي (١٩٤٤ — ١٩٤٥) . لقد أبرزت الخطة ايضاً تفوّق خدمة الاستخبارات الأنكلو - امريكية ، لأن الخرائط المرفقة كان مؤشراً عليها تفاصيل ترتيبات القطعات وخطوط المواصلات والمقرات للجانب الالماني، كما كان فيها مخطط ممتاز عن التحصينات الالمانية ، وقد ارسلت هذه الوثيقة الى مقر الجيش الالماني فوراً بعد ان

استنسخت صورتها .

لقد جرت هجمات مقابلة مرة اخرى خلال (١٠ و ١٥) حزيران بالتشكيلات المدرعة المتيسرة ، ولهذا الغرض وضع الجحفل المدرع الغربي الذي كان يقوده اللواء فون (جوبن برك) تحت إمرة فيلق الصاعقة الاول ، وكان الجحفل المدرع مؤلفاً من فرقة الصاعقة الثانية عشرة والفرقة المدرعة الحادية والعشرين وفرقة التدريب المدرعة ، وكان مقر جحفل الجيش (ب) مسؤولاً عن ادارة واستخدام هذه القوات لأن القتال كان يدور في منطقته .

لم تعد هذه الهجمات المقابلة تلاقي اي نجاح ، اذ اصبح العدو قوياً جداً ، كما عانت الحركات كثيراً من تدخل قيادات عديدة ، فهتلر وجحفل الجيش (ب) والجيش السابع كلهم اصدروا اوامرهم .. وفي مثل هذا الموقف يجب ان ُيصدرَ الاوامر حول القضايا العسكرية مسؤول واحد لا مسؤولون عديدون ُيصدرون اوامرهم في آن واحد !!

وعلى الرغم من ان القتال في (نورماندي) وصل الى ذروة الحراجة والشدة ، الا ان ذلك لم يمنع رونشتد من تخصيص بعض جهده لتموين مدينة باريس الكبيرة بالفحم والاغذية ما استطاع ، وكان المارشال بيتان وهو في فيشي قد رجا ان تموّن باريس بالاغذية ، ولم يكن هذا سهلاً ، اذ كانت السكك الحديدية قد دمرت تدميراً شاملاً من قوة الحلفاء الجوية وحركة المقاومة ، ولم يكن تهديد العدو الجوي ليسمح بحركة أرتال كبيرة من السابلة نهاراً . ولقد مرت ايام لم تتسن فيها حركة غير قطارات سبعة محملة بالعتاد والوقود قادمة من المانيا الى باريس ، وفوق ذلك كان هناك تنقل القطعات وإخلاء الجرحى والمدخرات الكثيرة التي يحتاجها الجيش المشتبك في قتال عنيف .

دبر رونشتد على كل حال امر نقل الفحم من المانيا الى باريس ، اذ كان

من غير الممكن تقريباً الحصول على ذلك من مقاطعات التعدين الفرنسية ، وفضلاً عن ذلك امر رونشتد ان تحمل العجلات الفارغة العائدة الى باريس من منطقة القتال في (نورماندي) الخضر والاغذية الاخرى الى باريس لتموين مداخرها ..

نجح الحلفاء في الايام العشرة الاولى بالتدريج في توسيع رؤوس جسورهم عمقاً ، تلك الجسور التي كانت على جبهة واسعة وغير عميقة ؛ ثم وحّدوا رؤوس جسورهم ، فتمكنوا بذلك من إدامة جبهة موحدة . لقد تم الآن ادراك اثر المرافىء الاصطناعية ادراكاً كاملاً ، فلم يكن الحلفاء مرتبطين بأي ميناء مثل (شاربورغ) او (الهافر) كما كنا قد توقعنا نحن الالمان .

لقد وصل تأثير نيران المدفعية المنصبة من مدافع الاسطول بقنابلها ذات العيار الثقيل الى مدى يتراوح بين (١٥—٢٠) ميلاً عمقاً .

ولم يجعل رونشتد أبداً من وجهات نظره عن الموقف الراهن سراً ، فقد كانت هيئة ركنه تعرف وجهات نظره ، وكانت تتحدث عنها جازمة في محافل كثيرة ؛ وكان قد بدأ خلال تلك الايام بالحديث عن تقاعده ، ولكن شعوره القوي بالواجب اضطره الى الاستمرار على الرغم من ان اندحار المانيا في الحرب اضحى الآن واضحاً لديه .

كان رونشتد مقتنعاً قبل الغزو بمدة طويلة ،بأن الوقت قد حان للسياسيين ان يمسكوا بزمام الموقف ، وأن رجال الجيش وحدهم لم يعودوا قادرين على معالجة الموقف ؛ بيد ان ذلك لا يتسنى ما لم ينسحب الجيش انسحاباً موقوتاً حسب خطة مرسومة من المناطق الغربية المحتلة الى حدود المانيا ، وهذا يتيح للسياسيين وقتاً للتوصل الى بعض التدابير ؛ ولهذا الغرض كانت هناك ضرورة قصوى للحصول على وصايا من هتلر تلك التي ألحف رونشتد في طلبها

كثيراً لتنطلق يد القيادة الغربيــة في سحب القطعات الموجودة في الغرب الى (الجدار الغربي) في وقت كاف وبنظام دقيق ، كما ان رومل ادرك كذلك بأن زمام الموقف في الغرب قد افلت من يد الالمان .

اقترح رونشتد من يومي (١٠ و ١١) حزيران اجراء مذاكرة شخصية مع هتلر ، وكان رومل ايضاً قد اخبر مقر القوات المسلحة الالمانية العليـــا بالموقف في يوم ١١ حزيران مستعرضاً بدقة وتفصيل خطورة الموقف .

لقد حدث في هذه الايام ان استعمل سلاح النصر الرقم (١) لأول مرة ، فظهر في ليلة ٧/٦ حزيران اخفاق استعماله لاسباب فنيــة ، غير انه استخدم ثانية ليلة ١٣/١٢ منه . استهدف هتلر مدينة لندن لقصفها بهذا السلاح ، بينما رغب رونشتد في مهاجمة مرافىء جنوب انكلترا ، واكثر من ذلك رغب في قصف الجبهة البرية في نورماندي . لقد ساد القيادة العليا اعتقاد بأن قصف لندن بهذا السلاح سيكون ذا اثر معنوي ، الا ان رونشتد كان في ريب من ذلك . لقد خشي هتلر من ان يكون تأثير قصفه في (نورماندي) طفيفـاً جداً فضلاً عن تعريض القطعات الالمانية في تلك المنطقة لخطر ذلك القصف، فقد كانت قنابل سلاح النصر الرقم (١) تحتمل الخطأ كثيراً ، لذلك تتطلب هدفاً واسعاً .

لقد تمسك هتلر بقراره في قصف لندن وحدهـــا ، واستثمرت الدعـاية استخدام هذا السلاح السحري استثماراً ضخماً ، فانتعشت آمـــال القطعات والمدنيين ايضاً .

ومن المعروف اليوم ان كثيراً من الاسلحة الحديثة التي اخترعها علمـــاء الالمان ظهرت متأخرة من سنــة الى ثلاث سنوات ، وكانت حينذاك في دور التجربة وغير جاهزة للاستعمال الكامل .

قرر هتلر ان يواجه رونشتد وروميل يوم ١٧ حزيران استجابة لالتماس رونشتد ولمعرفة وجهة نظره في خطورة الموقف ، تلك الوجهة التي يشاركه فيها روميل ، فعقد المؤتمر في (دبل يو (W) رقم ٢) وهو محل اعد منذ وقت طويل بين (لاأوون وسواسون) ليكون مقر المعركة للفوهرر، وكان هذا المحل مؤلفاً من ملاجىء سمنتية مغشوشة بعناية في مواضع مخفية موزعة على منطقة جبلية واسعة .

طلب اشتراك الاشخاص التالية اسماؤهم لحضور المؤتمر : المشير فون رونشتد ، المشير روميل ، رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ، رئيس هيئة ركن جحفل الجيش (ب)؛وقد تقرر ان يحاط حضور هتلر بالكتمان الشديد، وقد حضر هتلر والمشير كايتل والفريق جودل وعدد من الضباط الآخرين .

نوقشت ثلاث نقاط رئيسية في هذا المؤتمر :

١ – وصف الموقف العام الخطير ، غير ان هتلر لم يحرص على التمادي في ذلك مفضلاً ابراز تصاوير الاسلحة الحديثة والطائرات التي ستتمخض عنها الاشهر القليلة القادمة .

٢ – التماس رونشتد ان يحصل على وصايا سوقية على مقياس عال حول ادارة الحرب في الجبهة الغربية كي يتمتع بحرية العمل . لقد تلقى هتلر هذا الالتماس بهدوء خلافاً لما كان منتظراً ، فوعد باصدار هذه الوصايا .

٣ – يجب ان يفعل السياسيون شيئاً يمهد السبيل للمداولة مع الحلفاء ، فقوبل هذا الالتماس بالصمت ، وعندما ارادوا الانصراف ، لفت روميل انتباه هتلر ثانية وهما يسيران معاً نحو سيارة هتلر الى خطورة الموقف ، وحبذا قضية التدخل السياسي .

لم يكن هتلر يؤيد هذا الاتجاه ، فقد كان من رأيه ان الحلفاء يرفضون اي حل سياسي، اذ كان الحلفاء قد قرروا في المعاهدة التي عقدوها مع روسيا افناء المانيا ، وانه سيطلع الالمان على هذه الحقيقة.. ان كل شيء الآن يتوقف على المقاومة العسكرية التي لا تعرف الهوادة .

وبينما كان هذا النقاش محتدماً ، اذ اخبر جحفل الجيش (ب) هاتفياً بأن الامريكان اخترقوا منطقة (كارنتان) من الغرب واجتازت دباباتهم الأمامية طريق (كوتانسس – شاربورغ) العام ، فتلقى هتلر هذه الأنباء أثناء وجوده مع المشيرين متظاهراً بالهدوء ، ولكنه لم يقرر شيئاً ما ، إلا ان روممل التمس بعد ذلك سحب جبهة القتال انسحاباً تعبوياً محضاً الى ما وراء (الأورن) ، حتى يخلص تشكيلاته المدرعة من اشتباكها في المعركة ، وبذلك يستطيع القيام بهجوم مقابل من الجنوب ، فكان نصيب هذا الالتماس الرفض والاهمال ووضع على الرف ... لقد سارت المناقشة برمتها بعد ذلك في خطوط سلبية مرة اخرى .

وبعد الانتهاء من عرض الخرائط وتصاوير كافة انواع الأسلحة وانواع العجلات المدرعة والتحصينات ونماذج الطائرات ، حصل انطباع بأن هتلر يلهي نفسه بهذه الاشياء ليشغلها عن التفكير في الموقف الواقعي المرير . لقد استمرت المناقشة التي سرعان ما وجهها هتلر الوجهة التي ارادها مستغرقاً في ذلك مدة اربع ساعات ، ومن ثم تناول المجتمعون الوجبة الختامية واجمين .

وبينما كان الحاضرون ينصرفون ، دوت أشارة الانذار بالغارة الجوية ، إذ قامت حوالي ستين طائرة معادية بالغارة ، فأراد رونشتد وروممل اللذان لم يكونا ليكترثا بمثل هذا العدد الصغير من الطائرات ان ينطلقا الى مقريهما التعبويين حالاً ، ولكن هتلر لم يسمح لهما بذلك ، إذ استصحب كلا المشيرين ورئيسي هيئتي ركنيهما الى احد ملاجىء الغارات الجوية الكبرى ، فقضوا

هناك حوالي ساعة كاملة كاد الا يقطع سكونها اي كلام . وعندما زال الخطر الجوي ، سمح لنا بالحركة ، فتوجهنا الى سياراتنا المنتظرة ، وقد حاول رومل اثناء مسيره هذه المسافة القصيرة ان يقنع الفوهرر ثانية بأن يفسح للسياسة ان تأخذ طريقها ، ولكن هتلر رفض العمل بذلك مرة اخرى .

ما كاد رونشتد ورومل يصلان الى مقريهما في ساعة متأخرة من بعد الظهر حتى وصلتهما اخبار صادرة من محل المؤتمر بالقرب من (سواسون) تفيد بأن هتلر وبطانته قد غادروا المكان على عجل ميممين شطر المقر الجبلي في (برختسكادن) ، فما الذي حدث؟ ان إحدى قذائف سلاح النصر الرقم (١) لم تواصل طيرانها نحو لندن ، ولكنها بسبب اخطاء فنية في تصميمها غيرت رأيها فاستدارت فجأة مندفعة في الهواء نحو الشرق بدلاً من الغرب، فهبطت الى الأرض منفجرة كالرعد في وسط ملجأ الفوهرر الذي جرى فيه النقاش قبل بضع ساعات ؛ فلم ينجم اي ضرو عن ذلك ، ومع هذا قررت هيئة ركن مقر هتلر أن تتوارى بعيداً عن الانظار في مساء ١٧ حزيران .

سقطت (شاربورغ) في موعد اقرب كثيراً مما كان متوقعاً ، فغضب هتلر لذلك غضباً عظيماً . لقد كانت تحصيناتها كما سبق ان ذكرنا متباعدة عن بعضها تباعداً اكثر مما ينبغي بالنسبة لجبهة برية ، كما كان انشاؤها واهناً وتنقصها القطعات الكافية للدفاع الرصين . لقد نتج عن هذا أن تكافح القيادة العليا من اجل (شاربورغ) ، فقد أرادها هتلر أن تكون مزودة بقطعات قوية كافية ، وكان قد امر بعد اختراق الأمريكان من الغرب يوم ١٧ حزيران بأن تتراجع الوحدات الموجودة في شمال (كونتنتين) ، وهي التي قطع اتصالها بشاربورغ نتيجة للاختراق الأمريكي المذكور ، أن تتراجع الى شاربورغ لكي يكون في هذه القلعة قطعات قوية كافية ، وكان المطلوب من هذه القطعات التي تقاتل في جنوب الاختراق أن تشكل الجناح الغربي لجبهة (نورماندي) ، فأصدر رومل اوامره وفقاً لذلك ... ولكن بينما

كانت هـذه الأوامر في طريقها الى التنفيذ أصدر هتلر اوامره المباشرة الى الجيش السابع لوقف تنفيذ تلك الأوامر التي تنص بألا تدخل القطعات التي خصصت لشاربورغ قلعتها فوراً ، بل عليها الاستمرار في إعاقة العدو جنوب شاربورغ . لم يحط رونشتد ولا رومل علماً بهذا الأمر ، وكانت نتيجة هـذا الاضطراب أن وحدات قوات شاربورغ اندفعت نحو الجنوب وفقـاً لامر هتلر ، لانها كانت لا تريد أن تحبس في القلعة ثانية ، وفوق كل ذلك جاءت أوامره التي تقضي بـــأن تحاول التشكيلات الباقية في اقصى الجنوب مـن شاربورغ إعاقة العدو المتوغل نحو الشمال مستهدفاً الاستيلاء على الميناء .

وبينما كانت هذه الوحدات الالمانية تدافع وفقاً للأوامر التي تلقتها والقلعة من ورائها، قام الامريكان بتطويقها من الغرب، فبدأ الآن سباق الماني أمريكي متجهاً نحو قلعة شاربورغ ، كانت نتيجته ان الفريقين المتسابقين وصلا نقاطاً كثيرة من شاربورغ في وقت واحد ، فتبين من ذلك ان الالمان لا يمتلكون وقتاً لاحتلال الجبهة البرية بدون قتال . لقد كان لهـذه المهازل التي لا يمكن تفصيلها هنـا نتائج خطيرة ، فقـد سقطت شاربورغ في غضون بضعة أيام ، وقيل : ان هتلر اجتاحـــه الغضب العاصف ، وبعد التحري عن المقصرين وصلت هيئة تحقيقية مؤلفة من ضباط اقدمين ومعها كافة الاوامر الصادرة في المعركة ، وكان هتلر راغباً في اتخاذ الاجراءات لاحالة القائد العام للجيش السابع الفريق (دولمان) الى المحكمة العسكرية ، ولكن رونشتد صرّح بأنه لن يوافق في أي حالة من الحالات على مثل هذه الاجراءات ، بل يجب ان يقتصر الامر على اعداد تقرير اعتيـــادي مبني على الحقائق المجردة ؛ اما رومل فأصرّ على اجراء تحر عن الحقائـق بوساطة هيئـة التحقيق التي كانت بالصدفة هيئة سديدة الرأي ذكية ، إلا ان النتيجة المحزنة كانت أن قضى الفريق (دولمان) نحبه بنوبة قلبية ، اذ انهارت صحته لما قاساه مـن قلق وبذله من جهد .

بدأ الحلفاء بعد سقوط شاربورغ بالتقدم باطراد الى الجنوب: الامريكيون في الغرب والبريطانيون في الشرق ، وشقوا طريقهم مندفعين من شبه الجزيرة الى داخل فرنسا . لقد أمر هتلر في هذا الموقف مرة اخرى بالقيام بهجوم مقابل مدرع بين الأورن والفاير ، وكان على هذا الهجوم ان يشتبك بادىء الامر مع الامريكان بالقرب من (بالي روى) ومن ثم بالبريطانيين ، وخصصت لهذا الهجوم اربع فرق صاعقة وفرقتان مدرعتان من فرق الجيش ، بيد ان هذه الفرق كانت قد تلقت من قبل ضربات موجعة في قتالها السابق، كما كانت مشتبكة بفرق مشاة ، لذلك اقتضى قطع اشتباكها بالعدو اولاً .

بدأ هذا الهجوم المقابل الكبير على الورق مأمون العاقبة كثيراً ، ولكن الواقع المرير تحكم في مصير هذا الهجوم .

بدأت الانتقادات لقيادة رونشتد وروملي بعد سقوط شاربورغ واخفاق الهجوم المقابل الذي امر به هتلر تظهر في دوائر هيئة ركن القوات المسلحة الالمانية ، وقد نظر الى التقارير المتشائمة لكلا المشيرين نظرة استهجان .

سلم روميل الى رونشتد في نهاية حزيران تقريراً محزناً للغاية عن الموقف العام ، فأرسله رونشتد الى مقر القوات المسلحة الالمانية مرفقاً بتعليق أقسى، مضيفاً اليه : « انه متفق تماماً مع ما جاء في تقرير روميل » ، فعزم هتلر يوم ٢٦ حزيران نتيجة لذلك ان يعقد مؤتمراً برئاسته في (برختسكادن) يوم ٣٠ حزيران .

صدر الامر الى الاشخاص التالية اسماؤهم بحضور المؤتمر : المشير فون رونشتد باعتباره قائداً عاماً في الغرب ، والمشير روميل باعتباره قائداً عاماً لجحفل الجيش (ب) ، والمشير اسبيرل باعتباره قائداً عاماً للاسطول الجوي الثالث والأميرال (كرانك) باعتباره قائداً عاماً لجحفل البحرية الغربي .

غادر كل مْن القادة العاملين مقراتهم على انفراد تقلهم السيارات او الطائرات متوجهين نحو مكان المؤتمر ، اما رؤساء هيئات الركن فقد كان عليهم البقاء في مقراتهم التعبوية نظراً لخطورة الموقف .

شرع رونشتد يتحرك من (سانت جرمان) بالسيارة يوم ٢٦ حزيران دون ان يستصحب احداً ليكون في (برختسكادن) يوم ٣٠ حزيران ، ولقد سمع عند وصوله بخبر وفاة الفريق (دولمان) ، فأحزنه ذلك حزناً بالغاً .

كان الغرض من المؤتمر ، القرار فيما اذا كان الموقف في الغرب يائساً حقاً ، كما كان يصوره رونشتد وروملي دوماً في تقاريرهما . لقد أيقن هتلر بأن كلا المشيرين ينظر الى الامور نظرة تشاؤم بالغ ، فأراد ان يمدهما بما يجدد معنوياتهما ... لقد كان جو المؤتمر برمته متوتراً .

أخبر رونشتد بعد وصوله الى مقر الفوهرر وبعد سفرة طويلة منهكة، بأن موعد المؤتمر قد تأجل ، فلم يزده ذلك الا سوءاً في مزاجه ، ولكن عندما اجل موعد عقد المؤتمر مرة اخرى ، ثار غضبه ، لأن رونشتد لم يكن قد تعود التسويف في المواعيد .

كان هتلر معتاداً على ان ينقل نفسه والآخرين خارج نطاق الحقائق المحزنة ، وعندما انعقد المؤتمر فعلاً وبدأ النقاش حول الموقف في الغرب وما ينبغي عمله الآن ، احتكر هتلر الحديث ، فوصف لهم منهاج اعادة التسليح من جديد والذي هو في طريقه الى التطبيق ، وأطرى اسلحة النصر ، واشار الى الطائرات القاصفة ذات المحرك النافوري التي كانت في طريقها الى الكمال، فأذهل نفسه ومن معه بتلاوة ثبت مفصل عن كل ممكن من انواع الاختراعات. لقد كان هذا فوق ما يتحمله رونشتد ، لأنه كان معتاداً على التفكير البناء وعلى مواجهة الحقائق .

وعاد رونشتد الى سنت جرمان غضبان اسفاً .

سأل المشير كايتل المشير رونشتد خلال حوار هاتفي بعد بضعة ايام : « ايها المشير ! ما الذي علينا ان نفعله ؟ » فأجابه رونشتد بهذه الكلمات القاسية : « عليك انت ان تنهي الحرب » .

غير ان المؤتمر افضى الى نتيجة جازمة ، فان رونشتد كان قد صرّح في برختسكادن بأنه قد وهن المظم منه واشتعل رأسه شيباً ولم يعد معافى الجسم قادراً على تحمل اعباء منصبه ، لهذه الاسباب ينبغي البحث عمن يخلفه.

اخبرني كايتل هاتفياً انه رفع رغبة رونشتد في التقاعد الى هتلر بأسلوب ملائم وهو آسف .

وصل ضابط من مقر الفوهرر الى القيادة الغربية يوم (٢) او (٣) تموز حاملاً لرونشتد مذكرة من هتلر يعرب فيها عن اسفه ، لأنه وجد نفسه مضطراً الى استبداله بالمشير فون (كلوكا) وفقاً لرغبته الخاصة .

كانت هذه المذكرة عاطفية جداً ومهذبة في المعنى والمبنى ، وكان معها اوراق السنديان الخاصة بصليب الفارس لوسام الصليب الحديدي .

لقد رأيتني جامداً وراء قائدي العام ، فأبرقت الى الفريق (جودل) واللواء (اشمندل) مدير ادارة هتلر التمس فيها اعفائي من منصبي واستخدامي في وحدة ما ، ولكنني لم اتلق جواباً .

وصل المشير فون (كلوكا) الى سنت جرمان قادماً من مقر هتلر ، فأطلعه رونشتد على الموقف .

كان (كلوكا) مرتاحاً ومليئاً بالحيوية والنشاط ، فقد خدم في الشرق منذ سنه (١٩٤٠) وكان لمكوثه في مقر هتلر اثر فيه ، ولم يكن قد ألف بعد الاحوال السائدة في الجبهة الغربية ،ولم يكن يعلم ماذا تعني السيادة الجوية،

لذلك كان مصمماً تصميماً تاماً عند وصوله على اصلاح الموقف، وفضلا عن ذلك كان موقننا يقيننا كاملا بأنه يستطيع ان يفعل ذلك ..

بقي رونشتد بضعة ايام أخر في سنت جرمان منتظراً قرار هتلر بشأن اعفائي من منصبي ، فقد رغبنا في ان ننطلق معاً ؛ وعندما رفضت موقتاً هيئة ركن المقر العام نقلي ، غادر المشير باريس يوم ٦ تموز (١٩٤٤) ميمماً شطر (بادتويلز) في بافاريا العليا ، تاركاً امراً وداعياً لكافة القطعات ، وآذن هيئة ركنه بالانصراف .

لقد حزن الضباط وضباط الصف والجنود على فراقه ، وشعروا بأنهم افتقدوا قائداً عظيماً !!..

١٣

السهم الأخير

بقي رونشتد متقاعداً منذ ٦ تموز الى أوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤)، ولكي نفهم مغزى استدعائه لتسنم مهام القيـادة في الغرب ثانية ، فلا بد من التطرق الى أهم الأحداث التي جرت في فترة تقاعده .

أدرك القائد العام الجديد (فون كلوكا) بعد بضعة ايام من تسنمه لمنصبه، بأن الموقف في الغرب حيث يكافح الالمان تجاه مصادر الحلفـاء المتفوقة تفوقاً كاسحاً ، وأهم من ذلك سيادة الحلفاء الجوية المطلقة، أدرك ان الموقف الراهن يختلف تماماً عما كان يتخيله من قبل .

اشتبك بمشاحنة عنيفة مع رومل بادىء الامر ، لأنـه كان يطلب الطاعة المطلقة من رومل . كان كلوكا مندفعاً نشيطاً للغـاية ، وكان محله دائماً في الخطوط الأمامية كما يفعل رومل دون ان يريح نفسه ، وكان عليه قبل كل شيء ان يتعود اعمال منظومة القيادة الغربية المرتبكة ، تلك المنظومة التي لم يسبق له ان جرب مثلها في الجبهة الشرقية . لم يتطور الموقف في نورمـاندي من سيىء الى أسوأ فحسب ، بل أصيب لسوء الحظ قائد جحفل الجيش (ب) رومل باصابة خطيرة ايضاً ، اذ هاجمت الطائرات سيارته عنـدما كان في زيارة الجبهة ، فقتل سائق سيارته واصطدمت السيارة بشجرة، فقذف رومل

خارجهـــا ، فأصيب بكسور خطيرة في أعضائه . وقد عولج اولاً خلف الجبهة ، ثم أرسل الى مستشفى في (فينسنت) احدى ضواحي باريس .

ولما سمع هتلر بهذا الحادث ، طلب الى (كلوكا) ان يستلم قيادة جحفل الجيش (ب) بالاضافة الى مهامه، وفي هذا الموقف اليائس كان فون (كلوكا) في موقف لا يمكن ان يدوم ، فهو قائد للجبهة الغربية وقائد عـــام لجحفل الجيش (ب) في آن واحد .

قرر كلوكا ان يتجه فوراً الى (لاروش – كويون) اي الى مقر جحفل الجيش (ب) ليدير معركة نورماندي من هناك ، وقرر ان يدير اعمال القيادة الغربية العـــامة في سنت جرمان بوساطة هيئة ركنها ، وهكذا اصبح لديه مقران كبيران يفصل بينهما اكثر من اربعين ميلاً . كان هناك طبعاً اتصـــال لاسلكي وسلكي بين المقرين ، وقد كنت انا أتردد يوميـــاً الى (لاروش – كويون) لاطلاعه على ما استجدّ في مقر القيادة الغربية ، ولاستلام قراراته. وفي غمرة هذا الموقف المتوتر حدثت في الغرب حوادث ٢٠ تموز المفجعة[١] . أنزل الحلفاء يوم ١٥ آب قواتهم على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، وظهرت نتـــائج حوادث يوم ٢٠ تموز بوضوح مطرد من اسبوع الى آخر ، وفي منتصف آب كانت الجبهـــة الغربية أشد خطورة من سائر الجبهـــات الاخرى .

لقد تجرع فون (كلوكا) السم ولما يصل الى (متز) في طريق عودته الى

---

(١) كان بعض قادة الجيش قد اتفقوا فيما بينهم على اغتيـال هتلر للتخلص منه اولاً ، ومن ثم انهاء الحرب . وفعلاً تفجرت المفرقعات في مقر هتلر ولكنه نجا بأعجوبة . وبالتحقيق الدقيق اكتشف هتلر خطوط المؤامرة واهدافها وأسماء المتآمرين ، ومنهم رومل وكلوكا وستول بنا كل الخ ... وبالامكان الاطلاع على تفاصيل هذه المؤامرة في مصادرها .

(المعرب)

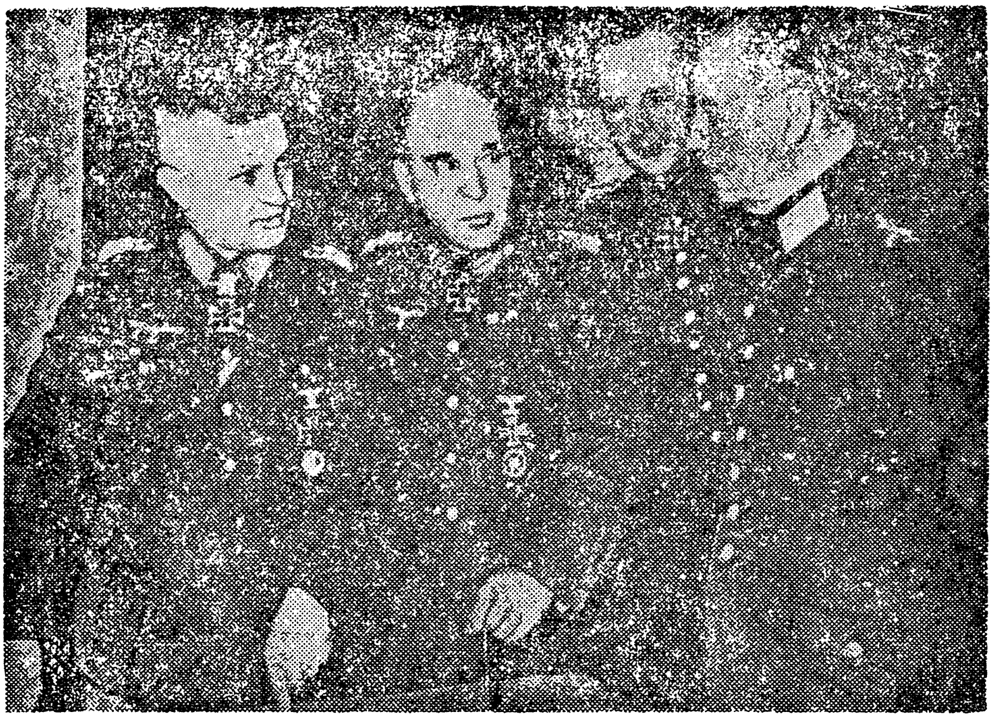
اهله ، فعين المشير الشاب (مودل) خلفاً له ، وكان القـــائد العسكري في باريس اللواء فون (ستول بنـاكل) قد حاول الانتحار باطلاق الرصاص على نفسه يوم ٢١ تموز عنـــدما كان في طريقه الى برلين ماراً من قنـاة في ساحة معركة (فردون) ، ففقد بذلك كلتا عينيه .

حقاً ان تلك الايام كانت اياماً صعبة .

بقي (مودل) قائداً عاماً في الغرب وقائداً عـاماً لجحفل الجيش (ب) فاستقر ايضاً في مقر جحفل الجيش (ب) ، وعندما بدأ هجوم الحلفـاء على السين حوالي أواسط آب ، اقتضى نقـل المقر الى الخلف ، فيمم (مودل) وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) شطر الموضع الكائن بالقرب من (سواسون) الذي أشرنا اليه سابقاً بمناسبة عقد هتلر مؤتمره فيه بحضور رونشتد وروملى. استلمت انا امراً بنقل المقر عدا القائد العام الى منطقة الجبال المشجرة بالقرب من (ريمس) ، فأصبح البعد بين المقرين حوالي ستين ميلاً .

كان (مودل) في مقر جحفل الجيش (ب) منشغلاً كلياً بالقتـال الشديد الدائر في شمال فرنسا ، وكنت ورئيس شعبة الحركات منشغلين تمـاماً بادامة التماس بالاسطول الجوي وجحفل البحرية ، واكثر من ذلك بادامة التماس مع جحفل الجيش (جـ) في جنوبي فرنسا !! ليس بالامكان ابداً ان تستمر هذه الحال على هذا المنوال !

ارتفعت في مقر القيادة الغربية اصوات كثيرة تطالب باستدعاء رونشتد الى الخدمة ، لذلك قررتُ بعد مؤتمر مع رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان ان اوجه رسالة الى الفريق (جودل) ؛ وقد وصفت في هذه الرسالة كيف ان القيادة تعاني اصعب المشاكل ، لأن القائد العام كان شخصاً واحـــداً ، ولكنه مسؤول عن واجبين وادارة مقرين ، فضلاً عن ان هذين المقرين منفصلان وبعيدان عن بعضهما ، وقد اقترحت اعادة تعيين المشير فون رونشتد قائداً عاماً في الغرب .



المشير فون رونشتد يصدر اوامره قبيل تعرض (الأردين)
وعلى يمينه اللواء ويستفال وفي اقصى اليسار المشير مودل

أدهشني وصول جواب رسالتي في النصف الاخير من آب ... كان يقتضي عرض الاقتراح على هتلر ، وقد سئلت ان اتحقق اولاً عمـا اذا كان المشير مودل متفقاً معي حول ما اقترحته في رسالتي ، فلم يكتف مودل بالموافقـة بل صرّح مختاراً : « هذه الفكرة ممتازة » ، وبذلك ظهر ان المشير الحازم نفسه سيكون مسروراً لعودة فون رونشتد ثانية قائداً عاماً في الغرب .

وقد نقل رأي مودل هذا الى مقر القيادة الالمانية العليا حالاً . وبعـد بضعة ايام تلقينا الأنباء السارة ، وهي : ان هتلر قـد رجا مرة اخرى المشير رونشتد ان يعود لتسنم منصبه السابق : قائداً عاماً في الغرب .

كان الموقف بدون شك لا امل فيه ، ولكن المشير عاد ثانيـــة . لقد سئل المشير فون رونشتد : لماذا عاد قائداً عاماً في الغرب ، وهو يعـلم بأن الموقف بالنسبة الى المانيا يائس تماماً ؟ فأجاب : – « ان السبب بكل بساطة ، ان واجبي جندياً يقتضيني ألا امتنع عن الخدمة عند احداق الخطر ، كما انني اعرف مدى أسف القطعات لاعفائي من منصبي في تموز عام (١٩٤٤) ، كما أعرف أي موقف صعب نتج عن مزج القيادة الغربية بقيادة جحفل الجيش (ب) وجحفل القيادتين بأمرة فون كلوكا اولاً وبقيادة المشير مودل اخيراً ...

سيقدر قادة الحلفاء الكبار وقادة الاقطار الاخرى ما ينطوي عليه موقف فون رونشتد ويدركون مغزى عودته ادراكاً تاماً ، اذ لا بد وانهم يتصرفون كما تصرف لو ان بلادهم احدقت بها الاخطار ؛ كما سيدرك مغزى عودته رجال الدولة الكبار ، اذ كان رونشتد كما يشهد جميع معارفه معرضاً عن أي مطمح شخصي .

ففي سنة (١٩٤٠) ترقى الى رتبـة مشير بعـد انتصاراته العظيمة ، وهي أعلى رتبـة يطمح فيها ضباط الجيش ، كما انـــه لم يكن محتاجاً الى الأوسمة والتلطيفات ، اذ تلقى منها كميـة كبيرة تمـــلأ حقيبته مكافأة له على خدماته

الطويلة ، وكان في استطاعته ان يبقى آمناً في المانيا بعيداً عن كل مسؤولية اخرى .

كرّر رونشتد مرات كثيرة بأن الموقف اصبح خطيراً منذ ابتداء الحملة على روسيا ، وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد بالامكان تبديل هذا الموقف الخطير لقد ازدادت منزلته علواً في نظر رجاله ، لأنه لم يتركهم وحدهم في ساعات المحنة .

ما أسعد البلاد التي تمتلك مثل هؤلاء الرجال ... الرجال الذين يخدمونها بدون امل في امجاد يكتسبونها .

كنت قد رجوت في تموز (١٩٤٤) حينما سرح رونشتد ان انتقل الى القطعات الفعالة ، وقد رفضت القيادة العليا رجائي، ولكن الآن في بداية ايلول (سبتمبر) اجيب طلبي ، فكان خلفي اللواء (ويستفال) وهو ضابط قدير ذو تجارب عظيمة في افريقيا وايطاليا . تسنمت اولاً قيادة فيلق ثم تسنمت من بعد ذلك قيادة جيش من الغرب . لقد اسف كلانا لهذا الفراق ، ولكن بأمر هتلر لم يكن بالمستطاع تبديل شيء . وفي يوم ٥ ايلول (سبتمبر) وصلت سيارة المشير الى المقر التعبوي للقيادة الغربية في (آرن بيرك) بالقرب من (كوبلنز) فحيا الضباط وضباط الصف والجنود قائدهم العام القديم بسرور زائد .

لقد كانت القطعات تحس تماماً فيما اذا كانت تعمل بامرة قيادة حكيمة او غير حكيمة !!!

وقد احيط رونشتد علماً بتفاصيل الموقف العام ، اذ كان رئيس هيئة ركنه الجديد اللواء ويستفال يعمل في مقر هتلر .

وفي يوم ما من بعد ذلك ، كتب رونشتد آراءه حول الموقف :

« الآن ونحن في بداية ايلول (١٩٤٤) ، ماذا من المحتمل ان يفعله الحلفاء ؟ يمتد الخط الرئيس للحركات كما ذكرنا سابقاً من نورماندي الى كلا جانبي باريس

والى كلا جانبي (الآخن) باتجـاه مقاطعة الرور ونحو شمال المانيا والى الداخل باتجاه برلين، لذلك فأن شمال المانيا وليس جنوبها هو المنطقة الحيوية في القتال..

« لقـــد عقب البريطانيون خط حركاتهم الخاص مخترقين بلجيكا الى الراين الأسفل باتجاه شمال المانيا وسواحلها ، وكان الفرنسيون مـــع قوات امريكية ضعيفة يتقدمون الى الأمـــام نحو الالزاس على الراين الأعلى باتجاه جنوب المانيا حسب خطتهم التقليدية منذ ايام لويس الرابع عشر ، فما الذي سيقوم به القسم الأعظم المتبقي من القوات الضاربة الامريكية الآن ؟ هل سيعمل بالتعاون مع جحفل الحلفاء الجنوبي أي باتجاه ثغرة (فرانكفورت) ، أم إنه سيعمل بالتعاون مع القوات البريطانية باتجاه (اخن – الرور – برلين) ؟؟ أعتقد أن القسم الأعظم من القوات الامريكية ستتقدم كلها باتجاه الشمال الشرقي عبر خط (ترير– إخن) باتجاه مقاطعة (كولون – رور) جنوباً نحو شمال المانيا ، وذلك بعد وصول الحلفاء الى الحدود الالمانية ، وبذلك فـان المانيا الجنوبية التي لم تتعرض للهجوم قد تسقط حينذاك من تلقاء نفسها ...

« وحينما اتضح مجرى الحركات بعد ذلـــك تبين أن وجهة نظري في حينها كانت صحيحة . لقد اعتقدت بطبيعة الحال – دائمـــاً – بأن الحلفاء سيبذلون كل ما في وسعهم للوصول قبل الروس الى برلين لأجـل منع الروس من التوغل بعيداً جداً عـــبر الأودر الى الغرب ، وليس من اجل اعتبارات المثل العليا الغربية ، أما ما يكمن في طريق هذه الحركة من الدسائس السياسية فخارج عن نطاق معلوماتي » ...

إن نظرة رونشتد هذه المتعلقة بأفضل خطة للحلفاء في خريف (١٩٤٤) ممتعة جداً ، لأن هيئات الركن البريطانية والأمريكية والفرنسية والكتاب العسكريين انهمكوا انهماكاً شديداً في بحث هـــذه القضية . ان من الواضح أن المشير مونتكومري كانت له افكار مشابهة لأفكار رونشتد ، فقد ذكر ما يمكن

أن يحدث في الجانب الالماني في ايلول كما يلي :

« إن الواجب الرئيس للقيادة الغربية ، هو إيقاف حركة الانسحاب العامة وتوطيد أركان الجبهة . ونظراً لتدخل القيادة العليا المعتاد ، فليس من المحتمل أن تنجح هذه المحاولة إلا نجاحاً جزئياً . إن هوانندا التي تقع في الزاوية اليمنى من الجبهة الرئيسية، كان يجب أن يحتفظ بها بأي ثمن بدلاً من إخلاء القسم الأكبر من هذه البلاد بصورة منظمة وابقاء التماس بالقسم الباقي منها في الضفة الشرقية لبحيرة (يسل) ونحو الجنوب الى الراين الاسفل .

« اما ذلك الخليط غير المنظم من الوحدات الذي أطلق عليه بالجيش التاسع عشر والذي زج به اعتباطاً ، فقد كان ينبغي الاحتفاظ به على أبعد ما يمكن الى الغرب طالما ان هتلر قد امر الجيش المدرع الخامس لأن يقوم بهجوم عديم الجدوى باتجاه سهل (لانكرس) نحو مؤخرة الامريكان ...

« كان على الجيش التاسع عشر أن يحتل بأسرع ما يمكن خط : — السفوح الغربية لجبال الفوج — بلفورت ، لكي يعيد تنظيمه قبل كل شيء هناك ، وليتمكن من ابداء مقاومة عنيفة بالتعاون مع الجيش الاول الذي كان على اهبة الاستعداد الى الشمال من ذلك في اللورين . لقد كان قسم من القوات المدرعة المتيسرة مجهزاً تجهيزاً غير ملائم ابداً للتعرض حتى أن حشده لم يتم بعد . لقد كان ينبغي ان تكون القوات المدرعة خلف الجبهة في المركز الحيوي للقوات الاحتياطية المخصصة للهجوم المقابل ، على أن يكون اكثرها بطبيعة الحال في شمال الموزل في المنطقة الكائنة شرقي (إخن) حيث افتقدت هنا حين تبين أخيراً أن الحاجة اليها حاجة قصوى لا مندوحة عنها » ...

عبر رونشتد عن آرائه آخذاً بنظر الاعتبار الامكانات الدفاعية الموجودة حينذاك كما يلي :

« اني استطيع ان امرّ مرّ الكرام على حقيقـــة ان (الجدار الغربي) غير ملائم ، فقـد كان من ابرز عيوبه امتداده الواقع في القـــاطع الجنوبي حوالي (شاربورغ) ، فهنـا كان ينبغي ان ينشأ خط يوصله بالسفوح الغربية لجبال (الفوج) باتجاه (بلفورت) قبل وقت مناسب. لقد كان هذا الخط مؤشراً على الخريطة ، ولكنه لم يشيد ابداً . لعبت قلعة ميتز نفس الدور المحزن الذي لعبته قلاع الساحل الفرنسي من قبل ، وذلك في القتال الذي نشب فيما بعد ، فلم يتخذ اي قرار للتخلي عنها في الوقت المناسب بعد ما اصبحت بالتدريج لا فائدة منها للخط العام من جبهة القتال . وقد استمرت هـذه القلاع على ابتلاع قوات تزداد باطراد دون ان تستطيع ايقاف العدو .

« لم يهيأ أي شيء للدفاع عن الراين ، ولم تؤمن حماية معابره ، وكان قـــادة الاقاليم المدنيون النازيون قد انشأوا مواضع دفاعيـة بمعاونة السكان المدنيين في غرب الراين بين الجدار الغربي والنهر ، ولكن هذه المواضع كانت عديمة القيمـة من الناحية العسكرية . لقد كانت فكرة انشاء هذه المواضع حسنة ، ولو انهم اقاموا بدلاً منها مواضع دفاعية في الضفة الشرقية من الراين وفي رؤوس الجسور السوقية وبمقياس اوسع في الضفة الغربية ، لكانت اكثر فائدة واجدى نفعـاً ، وليس من السهل الدفاع عن الراين نفسه ابداً لا سيما على وجهـة نظر المدفعيـة ، وفضلاً عن ذلك فـــان الراين في جميع اقسامه لا يشكل مانعاً مؤثرا بالمعنى الصحيح . وهنا كان من الضروري وجود سلسلة مسؤوليات من القيادة الواضحة المعالم ووجود توجيهات خبيرة بالعمل ، وعندما جئنا لنعمل كان الوقت متأخراً جداً ...

« من كل هذا تظهر وجهة النظر العسكرية ان المقاومـة العنيفة يجب ان تستمر اطول مدة ممكنة وعلى ابعد ما يمكن في الغرب ، لمحاولة كسب الوقت ؛ وحينذاك كان بالامكان اجراء الانسحاب الى خلف الراين من بعد هذه المقاومـة طوعاً وفي الوقت الملائم كما جرى الانسحاب بعد ابادة القوات الالمانية الامامية

المتيسرة ابادة تامـــة تقريبـاً لا لسبب الا للاحتفاظ بكل شبر من الارض ليس إلا » !...

وعندما عاد رونشتد ثانية الى القيادة الغربية في مستهل ايلول (١٩٤٤) ، كانت الجبهة بكاملها ممتدة تقريبا كما يلي : —

(اوستند — انتويرب — ماستريخت — لييج — دولة لوكسمبرغ — ميتز — نانسي — والى الجنوب من ذلك) ، ولم يكن هناك اي اتصــال من (بلفورت) حتى الحدود السويسرية ، وكان ينبغي الزج بالجيش التاسع عشر من جنوب فرنسا الى هذا القاطع الذي لا يزال مفتوحاً والمؤدي الى (الالزاس – بلفورت)، ولكن هذا الجيش كان في تلك الايام لا يزال يقاتل بعيداً الى الغرب من ذلك .

لقد كان بأمرة القيادة الغربية في هذه الجبهة بكاملها جحفلا جيشين :

أ — جحفل الجيش (ب) بقيادة مودل يضم اليــه الجيش الخـــامس عشر وجيش المظليين والجيش السابع .

ب — جحفل الجيش (ج) بقيادة بلاسكويتس يضم الجيشين الاول والتاسع عشر .

وكان الحد الفاصل بين جحفلي الجيشين ممتداً من (هوزدن) مخترقـاً (بيت بيرك) الى (اندرناخ) على الراين . كانت حـــالة القطعات تختلف اختلافـاً عظيماً ، اذ كانت لا تزال هناك فرق ذات قوة حربيـة متهيئـة للعمل ، ولكن كان هناك ايضاً فرق وهمية لا وجود لها : وكانت الفوضى ضاربة اطنابهـــا في بعض النقاط كما يحصل دائماً عندمـــا تضطر القطعات الى تراجع قسري لمديات بعيدة ، هذه الفوضى التي تحصل دائماً دون ان تكون بتقصير من الجيوش . ان الجيش الذي يسحب في الوقت الصحيح حسب خطة منظمة رصينة آخـذاً مبدأ

(الاقتصاد بالجهود[1]) بنظر الاعتبار ، لن يصاب برّجة عنيفة مؤثرة فيما اذا كان مؤلفاً من قطعات جيدة ، ولا يضر التراجع بسلوك ومعنوية الجندي الا حينما يشعر بأن لا خطة مرسومة يستند اليها الانسحاب . . ولا هدف ...

ان السبب الرئيس لهذه الفوضى المحلية يعود الى الطلب المستحيل : « أثبت في محلك... » ، وكانت نتيجة ذلك حينئذ ان القطعات قاتلت حتى تم تطويقها ، ومن ثم استلمت امراً لاختراق الطوق في آخر لحظة وكان ثمن ذلك خسائر كبيرة في الرجال والمعدات ، كما ان الثقة بالقيادة العليا وهنت ..

لا عجب اذاً في ظهور امارات التفكك في نقاط معينة خلال هذا القتال التراجعي دون ان يكون سببه نقص كفاءة الجنود ، ولكن رونشتد كان يستطيع ان يدعي شيئاً واحداً : لم يحدث أي تمرد ولم يبد ضبط رديئي .. وهذا يختلف تماماً عما حصل عام (١٩١٨) .

لقد كانت معجزة ان هذه القطعات المنهوكة الباسلة لم تظهر إلا بعض الوهن القليل في سلوكها ومعنوياتها . صحيح ان القطعات كانت متعبة بل منهكة وفي حالات كثيرة متبلدة ، ولكنها كانت محتفظة كلها بعزمها على القتال ، وقد بدت هذه الظاهرة غير مفهومة في المحافل الأجنبيـــة ، اذ طلبت هذه المحافل تقارير مسهبة عما اعتبرته معجزة . لقد كان الامر مختلفاً تماماً عام (١٩١٨) ، في حين لم تكن وقتذاك سيادة جوية معادية ولا حرب قصف...

فقد استطاع هندنبرغ ولودندروف ان يديرا الحركات ادارة غـير مقيدة ،

---

(١) الاقتصاد بالجهود : مبدأ من مبادىء الحرب ، وهو استخدام اصغر القوات للامن او لتحويل انتباه العدو الى محل آخر ، او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة .
وكان يطلق على هذا المبدأ سابقاً : الاقتصاد بالقوة .

(المعرب)

وتمكنا من ان يسحبا الجبهة بصورة منتظمة وفي وقت مناسب .

كان رونشتد يعلم ان الحرب قد خسرت من الناحيـة العسكرية ، وان السياسيين يسيرون في اتجاه سلبي ، ولكنه من وجهة نظر ثانوية وعسكرية ايضاً لم يكن هناك غير حل واحد معقول ، وهو ما ادركه المشير حال وصوله : ان يصدر امراً الى كلا جحفلي الجيشين دون أي تردد بسحب جبهتيهما الى الخط المباشر : (زوول (في الزوايد رزي) ـ يسل ـ آرنيم ـ موز ـ الجدار الغربي ـ السفوح الغربية لجبال الفوج ـ بلفورت) مجتنبين كل قتال غير ضروري ، مع ابقاء مؤخرات تعيق تقدم العدو ، وحين ذاك يتيسر الوقت للقطعات المنهكة ان تستعيد حيويتها ويعاد تنظيمها وترصن دفاعاتها وتحتل مواضع محددة بعناية متصلة مع بعضها بنقاط مثبتة ، وكان مثل هذه الجبهة القصيرة المستقيمة يؤمن دفاعاً رصيناً ذا احتياط سيار ، ويمكن الموضع الجديد من الحصول على درجـة من العمق الذي بدونه لا يمكن انجاز الدفاع ، وكان ينبغي لكافة الفرق المدرعة وفقاً لوجهة نظر رونشتد ان تكون قـــد احتلت مواضعها خلف هذه الجبهة بشكل احتياطات سوقية كبيرة .

حينئذ كان يمكن ان يؤمل بأن الحلفاء سيحتاجون الى وقفة قصيرة لتهيئـة هجومهم المدبر ، فينتفع المدافعون الالمان بهـذه الوقفة .. ولكن ما الفائدة من جميع هذه الأفكار عندما يكون امر تطبيقها الفعلي معرضاً لأن يغرق في كلمة : (لا) التي ترددها القيادة العليا دائماً !!!

أراد رونشتد كما ذكرنا سابقاً ان يخلي هولندا ، وان يسحب كافة الدفاعات الى خط مستقيم ليقتصد في استخـدام القوات . ولنتفهم البحث من جميـــع أطرافه ، ينبغي ان نذكر الأسباب التي وازن بينها هتلر لأجــل الاحتفاظ بالأراضي المنخفضة اطول مدة ممكنة ، فقد رأى ان هولندا آخر معقل غربي يمكن الاحتفاظ به خارج الحدود الالمانية ، فهل امل هتلر ان ينـال بالاحتفاظ

بها شيئاً ما بالمجهود السياسي ؟ ان رونشتد لم يكن يعلم عن ذلك شيئاً ، اما من الناحيــة الظاهرية فيبدو ان الامر لم يكن كذلــك ، لأن الموقف الذي وجدت المانيا نفسها فيه لم يكن ليساعدها على فرض شروط على خصم منتصر ، بل ان هذه الشروط تفرض من الخصم المنتصر وحده . لقد كان ينبغي وجود رجــال دولة ذوي نظر بعيد جداً ليقوموا بمباحثات صلح مع المانيا في سنة (١٩٤٤) ، ولكن المنتصر عادة يستثمر الموقف الخطير لخصمه، كي يأخذ من خصمه شيئاً ما غصباً واقتداراً . ترى ! أيعتبر ذلك في مثل هذا الموقف رشداً ام خطلاً ؟ ذلك ما لا يمكن مناقشته هنا ! . على كل حال كان رونشتد يعلم بأن العدو لم يعد ليتنازل بعد اليوم ، وفضلاً عن هذا لم يعد ليستطيع ان يفعل ذلك ، اذ كانت الاتفاقات الشاملة مع موسكو [1] قــد أبرمت ولا يمكن تبديلها ، وليس لهولندا تأثير ما على الامر من الناحية السياسية حتى ولو بقي هتلر يفكر في امكانية وجود شيء من ذلك .

ولربما كان للاحتفاظ بالاراضي المنخفضة سبب اقتصادي ، ولكن هولندا نفسها كانت تعاني في مدنها الكبيرة الغربية ازمة غذائية ، فكان على الشرق الاوفر ميرة ان يمد غربي هولنــدا ، كما كانت قواعد اسلحة النصر قد أنشئت في شمال غربي هولندا ، مما يجعل التخلي عن هذه المنطقة وعن هذه الأسلحة البعيدة المدى خسارة ايضاً ، ولكن علينا ان نتذكر مقابل ذلك ان هذه الاسلحة في مرحلتها التي كانت قد وصلتها حينئذ ، لم تكن ابداً عاملاً حاسماً في الحرب ، كما ان فكرة الاحتفاظ بقــاطع اخير في الساحل الغربي والضغط على انكلترا عبر القنــال قد اصبحت في خريف (١٩٤٤) هراء ! وحتى الساحل الهولنــدي لم يعد قادراً على تصريف ما حل من قضاء وقدر .

---

(١) أي الاتفاقات بين موسكو من جهة ، والحلفاء من جهة اخرى .

(المعرب)

بقي سبب عسكري محض ، فقـــد كان الحلفاء في تعرضهم نحو الشرق قد وصلوا على العموم خط (بلفورت - فوج - ميتز - ليوتج) ، وكانت بعض وحداتهم قد استدارت نحو الشمال باتجاه الراين الاسفل ، وكانت هـذه القوات ضعيفة نسبياً ، وكان جناح قوات الحلفاء ينكشف تدريجياً بكل خطوة يخطونها نحو الراين . ربما كانت هنـاك فكرة ما عن الهجوم الالماني من هولندا باتجـاه الجنوب مستهدفاً (انتويرب) بجنـاحه الأيمن ، وبذلك تطوق جبهة الحلفـاء بكاملها سوقياً من الشمال ؛ ولكن مثل هذه الخطة الجريئة كانت مبنية على فرضين لم يعودا ميسورين في عام (١٩٤٤) : اولهما ان تكون هـــذه القوات قوية جداً ومجهزة تجهيزاً ممتازاً وان تكون بقوة جيشين على الأقل ، وفضلاً عن ذلك فلن تكون هذه الخطة مجدية الا بعد تقوية القوة الجوية الالمانية تقوية ذات شأن . ومن ثم كانت هنـاك ايضاً الصعوبات الفنية النـاجمة عن عبور الروافد العريضة للراين الاسفل والموز ومناطقها المغمورة بمياه الفيضانات ، وهنـا ايضاً لم تكن الوسائط الفنية لعبور جيوش كاملة عبوراً سريعـاً متيسرة كذلك في عام (١٩٤٤) .

وكان رأس الجسر الجبار في هولنـدا الذي سبب تبذيراً هائلاً في القوات ، قد اصبح - وفقاً لرأي رونشتد - عقيماً من وجهة النظر العسكرية ، لأنـه لم يعد مستنداً على اي غرض سوقي ، وفي مقابل ذلك أدرك رونشتد حينئذ بوضوح - وهو ما كان على كل حال واضحاً وضوحاً لا بأس به - انه ستأتي في يوم مـا اللحظة التي سيعبر فيها الحلفاء نهر الراين بين (ويسل) و (امرج) وسيقومون حينئذ بالاندفاع الى الامام بكل بساطة نحو الشمال باتجاه (ايمدين) و (سوول). ان نظرة الى الخريطة تظهر ان جميع القوات الالمانية التي وضعتها القيادة الالمانية في هولنـدا ستقع في الفخ حينذاك دون ان تستطيع الانسحاب شرقاً في الوقت المناسب .

لقد سبق لرونشتد تقديم عدد من التقارير حول الموقف في هولندا الى هيئة

الركن الالمانية العليا في خريف (١٩٤٤) .

كان الراين السبب النهائي والرئيس في آن واحد لتقاعد رونشتد النهائي في مارت (١٩٤٤) ، اذ تركزت بفضـــل اختباراته العظيمة في حربين عالميتين ضروسين رويداً رويداً في تفكيره وجهة نظر هي : « ان الانهار والجداول من الناحية السوقية لا يمكن ابداً ان يحتفظ بها أمداً طويلاً من الزمن، ولكن يمكن الاحتفاظ بها تعبوياً فقط ولفترة محدودة من الزمن » ...

أن نهر الراين هو النهر الوحيد في غرب المانيـا بين سويسرا والبحر الشمالي يمكنه ان يكون عائقـــاً في أعين الناس الاعتياديين فقط وبالنسبة الى الخريطة ايضاً ، ولكن الحقيقة ان هذا النهر في امتداداته العليا بين (بازل) و (ميتز) ليس الا مانعاً صغيراً، اما في حوضه الاوسط بين (بنجن) و (كوبلنز) فليس بشيء على الاطلاق .

ان الراين الاوسط علاوة على ذلك ملتوٍ الى درجة يصعب معها حق الدفاع التعبوي عنه ، اما في حوضه الاسفل فقط حوالي (بون) ، فانه عريض نسبياً، ولكنه ليس كعرض (الفستولا) و (الدنيبر) و (الدون) والانهار الاخرى بأي حال من الاحوال . ولكن اذا كانت نية هتلر الدفاع عن الراين باعتبـاره خر معقل ، فقد كان عليه ان يأمر بتحصين ضفته الشرقية عام (١٩٤٣) ، الا هدا لم يحصل !!

لم يتيسر من (كارلس روها) الى (ويسل) حتى ولا تحصينات ميـدان . قد كان الدفاع عن الراين وهمياً !..

ومرة اخرى كان هناك الغموض في العلاقات بين القيـادة الداخلية ، فالراين يجري في تربة المانية ، لذلك لم تكن السلطات المحلية الداخلية المسؤولة ومقرات الفيالق العاملة منشغلة بهذه الناحية فقط ، بـل إن القادة السياسيين النازيين في

اقاليم الراين زجوا أنفسهم في هذا المضمار ايضاً : لقد ساعد الجميع على عرقلة دفاعات الراين، وكل ذلك جعل جهد رونشتد غير المشكور في الاحتفاظ بالنهر اكثر صعوبة .

لقد تقرر بعد مداولات طويلة أن تكون هذه السلطات بأمرة القيادة الغربية في جميع أغراض الدفاع عن النهر ، فأصبح رونشتد على الاقل قادراً الآن على اصدار وصايا عامة للدفاع عن الراين ، على الرغم من أنه اصبح مفهوماً لديه أن الوقت لذلك بات متأخراً للغاية . لقد قسم النهر على الخريطة الى قواطع ووضعت هذه القواطع بأمرة من أطلق عليهم : (آمرو الراين) ، وانعقد العزم على إنشاء مناطق محصنة أخرى لتكون رؤوس جسور في معابر الراين ، وشكلت وحدات انذار لتكون قطعات أمن احتياطية ؛ وقد كانت الكفاءة العسكرية لهذه الوحدات هزيلة ، لانها كانت مؤلفة من رجال الشرطة والعمال ورجال الحرس الوطني .. وبدأ باقامة التحصينات ، وكانت الاسبقية للمعابر ثم للقواطع المهمة من النهر ؛ وعندما وصل الحلفاء فيما بعد الى نهر الراين ، وكانت هذه التحصينات بطبيعة الحال تافهة جداً ، لان الوقت كان قصيراً للغاية .

إن حوادث الجانب الالماني في الغرب خلال سنتي (١٩٤٤ – ١٩٤٥) تمثل معركة خاسرة يخوضها جيش تخلى عنه السياسيون ، وبدت في الأفق امارات حلول النكبة ، وازداد الضغط عليه شرقاً وغرباً ، وكان الروس يندفعون مسرعين باتجاه الحدود الالمانية الشرقية والى الجنوب نحو منطقة هنكاريا .

كان الحلفاء يشددون الخناق في شمال إيطاليا ، وكانوا يقتربون من وادي البو والألب ، وكان العدو يتدفق باتجاه الحدود الالمانية الغربية ، وأصبح سهلاً للقوة الجوية الحليفة أن تركز قصفها من اربع جهات على ساحة الحركات التي لا تنفك تضيق تدريجياً ، وكان نظام السابلة لهذه القلعة المطوقة يزداد ارتباكاً من اسبوع الى آخر ، مما جعل نقل القوات الكبيرة الى الجبهات المختلفة اكثر

صعوبة مما كان عليه من قبل ، كما عانى الانتاج الصناعي ونقل الفحم والحديد والمواد الخام الأخرى الأمرين من تزايد هجمات الحلفاء الجوية الموحدة .

وعلى الرغم مما حاق من تدمير ومحن وشدائد ، فلم تلن قناة معنويات السكان وارادتهم على المضي في المقاومة كما كان من المتوقع حقاً أن يحدث ، وقد برهن ذلك على درجة المقاومة العالية التي يستطيع السكان ابداؤها .

لا يمكن في هذا الكتاب وصف اشهر المأساة الأخيرة التي جرت خلال قيادة رونشتد في الغرب بتفصيل واف، ولكننا سنقتصر على ذكر الحوادث الرئيسة .

شهد شهر ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤) استئناف القتال على جبهة أعيد توحيدها في الغرب . لقد ادى امر القيادة العليا الذي ينص على الاحتفاظ بكل شبر من الارض الى ازمات محزنة على اقصى جناحي جبهة القيادة الغربية ، ووجد الجيش الخامس عشر نفسه في موقف خطير في جنوب هولندا وشمال بلجيكا . وفي اللحظة الاخيرة سمح له بالانسحاب الى خلف (سكيلدت) ، ولكن انسحابه هذا كان في الحقيقة اختراقاً الى الخلف لا انسحاباً . ونجح جحفل الجيش (ب) اخيراً وبصعوبة في تشكيل جبهة متصلة تقريباً مشروطاً ذلك بطبيعة الحال بالاحتفاظ بهولندا . كما نصت الاوامر في الجنوب على الثبات في (فيسول) ومنطقة (بيسانكون) ، وقد انحنت قوات الجيش التاسع عشر الضعيفة الى الامام تماماً وكانت قد احيطت من ثلاث جبهات ، فاذا لم يجر الآن سحبها فوراً فربما قطع خط رجعتها في غرب (بلفورت) ، ولن تكون بعد هذا قادرة على المرور خلال ممر (البركندي) نحو (الالزاس العليا) ، وبذلك يستطيع العدو ان يتقدم دون مقاومة خلال (بلفورت) نحو الشرق الى الراين . وهنا كان الموقف شبيهاً بالموقف الذي حدث في حزيران في مستهل هجوم الحلفاء على (شاربورغ) ، ولكن على مقياس اوسع ... ومع ذلك فان الجناح الجنوبي لجبهة الجيش التاسع عشر تمكن في آخر لحظة ان

يتخلص فينسحب الى (الفوج) الجنوبية نحو (بلفورت) ، وبهذا العمل اتصل بالجيش الاول في الشمال ، بينما استند في الجنوب على الحدود السويسرية .

نجح رونشتد وجيوشه اخيراً على الرغم من أوامر هيئة ركن القيادة الالمانية العليا التي جعلت من فن الحرب مهزلة - نجح اخيراً في ان تنشأ على الاقل جبهة متماسكة تماسكاً مهلهلاً ، وكان يتوقع خلال هذه الاسابيع يومياً ان يخترق الحلفاء هذا الخط الواهن اختراقاً حاسماً

كيف كانت تتراءى هذه الجبهة ؟ انها تتألف من القطعات التي قاتلت منذ ابتداء الغزو في حزيران ، اذ لم ينقل الى هذه الجبهة منذ ذلك الحين غير عدد قليل من الفرق ، وكانت القطعات الالمانية التي هوجمت هجوماً مدمراً من الجو وشددت جيوش الحلفاء الآلية الممتازة عليها الخناق ، وبعد دفاع باسل كانت تدفع الى الخلف نحو الشرق تدريجياً ، وقد أخذت هذه الفرق المزودة بنقلية من الحيوانات بالتلاشي متأثرة بالضربات الكاسحة المتلاحقة من خصمها المتفوق، حتى لم يعد لكثير من الفرق وجود بالمعنى الصحيح ، بل بقي منها جماعات قتال مؤلفة من بضعة آلاف من الرجال ، وحتى هذه التشكيلات المختلفة كثيراً ، كانت تتألف من جنود يمتون الى كافة انواع الوحدات المتيسرة ... تنظموا وتشكلوا تماماً كما وجدوا انفسهم اثناء القتال !!

كانت فرق المظليين (الجيكر) لا تزال تمتلك درجة عالية من الكفاءة الحربية ، وكانت هناك بعض الفرق المدرعة لا تزال بحالة تمكنها من معالجة الحالات الاضطرارية ، ولكن لم يكن لدى أقوى الفرق أكثر من اربعين الى خمسين دبابة . وقد ازدادت صعوبة القتال التراجعي من جراء امر هتلر ذي اللحن المكرر : (اثبت مكانك) فلا عجب ان تصل هذه الفرق الخليط أشتاتاً كي تباد في الجدار الغربي ، وهنا ايضاً كانت تبدو امارات تدل على التفكك في نقاط مختلفة من الجبهة .

فلماذا لم ينتهز الحلفاء الغربيون وقتذاك هذه الفرصة السانحة ؟ لم يكن عليهم إلا ان يتجهوا نحو المنطقة الحيوية ، ويخترقوا الجبهة الالمانية الواهنة فيبددوها ، اذ لم يكن هناك أي شيء يستطيع صد تقدمهم !.. لقد توقع رونشتد هجوماً كبيراً انكلو – امريكياً باتجاه الشمال الشرقي عبر مقاطعة (إيخن – رود) والى برلين ، وقد كانت بالنسبة اليه معجزة ان العـــدو منحه فرصة اخرى تمكنه بصورة وقتية ليركز موضعه على الحدود الالمانية الغربية .

من الواضح انه كان للقادة الغربيين من الحلفاء اسبابهم ، فربما اعتقدوا ان الجدار الغربي كان مانعاً لا يمكن اقتحامه بسهولة ، ولربمـــا تصوروا ان الجيش الالماني ينهار حالما يصل الحلفاء الوطن الالماني ، ومن الممكن ايضـاً انهم جابهوا صعوبات تموينية لا سيما تموين التشكيلات الآليـة ، فاضطروا الى التوقف ردحاً من الزمن عن الحركات ... دارت هذه التصورات في خلد القيادة الغربية الالمانية وقتذاك ، لأن الاسباب الحقيقية لتوقف العدو لم تكن معلومة في سنة (١٩٤٤).

لقد كانت الفترة من ايلول الى بداية تشرين الاول (١٩٤٤) على العموم فترة ترصين لجبهة القيـادة الغربية على الرغم من القتـــال الموضعي الشديد . لم يفقد رونشتد مطلقاً على الرغم من قلقه على جبهته الطويلة الممتـــده من بحر الشمال الى الحدود السويسرية تفهمه للموقف العام المحيط بالمانيا ، فلو ان الجبهة الغربية بقيت صامدة فان الجبهة الشرقية والجنوبيـة الشرقية والجنوبية قد تنهـــار ... لقد كان هذا – بكل بساطة – الصراع النهائي حول قلعة جبارة مقفلة تدعى : (المانيا) ...

قدّرت خدمة الاستخبارات الالمانيـة الـتي كانت تعمل في انكلترا وجود حوالي ثماني الى تسع فرق محمولة جواً في بريطانيا ، وقد زج بما يقرب من نصف هذه القوة في نورماندي ، فأين بقي النصف الآخر الآن ؟ وهل ان الفرق الـتي سبق زجها في ايلول جاهزة اليوم للعمل مرة اخرى؟ لقد توقعت القيادة الالمانية

العليا أثناء قتال الانسحاب في فرنسا استخدام الحلفاء لتشكيلات سوقية كبيرة من القوات المحمولة جواً على بعد عظيم من مؤخرة الجيوش الالمانية المتراجعة .

أيقنت القيادة الغربية الالمانية ان انزالاً جوياً للعدو قد يحتل أماكن حيوية في جبهة (الجدار الغربي) او قرب (بلفورت) ، لتكون حاضرة للاشتباك ضد القوات الالمانية المتراجعة ، وقد ادركت القيادة الغربية الالمانية في اواسط شهر ايلول (سبتمبر) انالبريطانيين والكنديين يستحضرون لتعرض علىالاقسام السفلى من الراين ، فقد دلت البرقيات المسترقة على ان العدو صور تصاوير جوية لمعظم المعابر الهامة القائمة على الراين الاسفل ، فاستدلت القيادة الغربية الالمانية من هذا على احتمال وقوع انزال جوي في زاوية الراين بين (ايمرج) و (ارن هايم) اي على الضفة الشمالية للنهر ، وكان جيش المظليين الاول موجوداً فيهذا القاطع . وفي يوم ١٧ ايلول حدث ما كان متوقعاً ... لقد كان الجو مشمساً جميلاً كما كان يوم (احد) وفيه - كما تعلمنا من تجارب الحرب - غالباً ما يحدث شيء ما !... وكان مقر جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل قد سبق ان نقل الى (آرنيم) احتياطاً للطوارىء ، وفي الساعات المبكرة من ذلك اليوم ألقت الوجبات الاولى من الهابطين على مقربة من المقر ، فاشتغلت خدمة التقارير الالمانية بصورة جيدة ورصدت الطائرات الاخرى باستمرار ...

كانت منطقة انزال المظليين والقطعات المحمولة جواً للحلفاء كبيرة جداً ، اذ شملت (ارنيم - كليفس - هوفن - تيبل) ، ولكن اين هو الانزال السوقي في الراين الاسفل الذي توقعه الالمان ؟

كان رونشتد يرى الا معنى للانزال من الجو الا اذا كانت له غايات سوقية ، اي احتلال معابر الراين ، والا اذا اعقبه هجوم رئيسي يقوم به الجيش الواحد والعشرون البريطاني من البر .

لم يكن لدى الالمان في هذه المنطقة احتياطات كبيرة ، وكان جيش المظليين

الالماني الاول ضعيفاً ، وكان الجيش الخامس عشر الالماني لا يزال مشتبكاً في عبوره مصب نهر (الجلديت) ، فكان من الضروري ارتجال ما تدعو الحاجة اليه سريعاً لمقاومة الهابطين ، فاستجلبت قطعات من الجيش الخامس عشر وقطعات من وحدات القائد العام للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة ، كما استجلبت حتى من المنطقة العسكرية السابعة التابعة للجيش الاقليمي .

لقد كان رونشتد مسروراً ، لان القائد النشيط مودل المشبع بروح العزم الهادىء دائماً في الملمات ، كان على مقربة من المنطقة المهددة ، وقد حالفنا الحظ مرة اخرى ، اذ استولينا على اوامر حركات كانت في زلاقة تعود للقطعات المحمولة جواً ، وبعد وقت قصير كانت تلك الاوامر بين يدي القائد العام لجيش المظليين الاول الفريق (ستودنت) . ان مما يلفت النظر كثرة استيلاء الجانبين على اوامر حركات هامة ما كان ينبغي ان تكون في حوزة قطعات الصولة ، وما من شك في ان الاطلاع على هذه الاوامر سهّل تدابير الالمان المقابلة . نسق المشير مودل والفريق ستودنت واكملا جميع الاستحضارات في فترة بعد الظهر ومساء يوم ١٧ ايلول لمعالجة الموقف الناشىء من نزول العدو جواً، وكان الموقف في هذا اليوم لا يزال غامضاً بالنسبة للقيادة الالمانية العليا ، وذلك للامتداد العظيم لانزال البريطانيين الجوي وانتشاره بمجموعات متباعدة بعداً شاسعاً .

لم يتحقق هجوم الجيش البريطاني الثاني المتوقع براً ، وكانت القيادة الغربية قد خمنت قوة هذا الجيش بحوالي الست الى السبع فرق مشاة واربع الى خمس فرق مدرعة وبضعة الوية مدرعة ؛ وقد خمنت القيادة ان هذا الجيش سيكوّن معابر للراين بين (ويسل) و (آرنيم) ، ومن الصدف ان كان فيلق الصاعقة الالماني الثاني المدرع الذي يتألف من الفرقتين الصاعقتين التاسعة والعاشرة في شمال (آرنيم) ، وكانت هذه التشكلات قد وهنت وهناً عظيماً نتيجة للقتال السابق . وكان هذا الفيلق في هذه المنطقة يستجم من وعثاء الحرب ليعود من

ثمة الى المانيا ، وكان بعض وحدات هذا الفيلق في المحطة استعداداً للسفر ... فاستدعيت !!!

وفي يوم ١٨ ايلول كان هجوم الجيش البريطاني الثاني الذي تقدمت دباباته شمالاً حتى (ايترهوفن) ، فاستطاعت ان تحصل على التماس بالقوات الهابطة هناك . وفي نفس اليوم تزايدت تدريجياً الانزالات المعزولة قريباً من شمال (آرنيم) ، وقد امكن تمييز هوية الفرقة البريطانية الاولى والفرقتين الامريكيتين الثانية والثمانين والواحدة بعد المائة المحمولات جواً ، وقد اشترك في الانزال ايضاً – استناداً الى تقارير الوكلاء – لواء بولندي .

لاح فجر يوم ١٨ ايلول دون أن يحصل أي الفريقين نتيجة ما ، وقد نشب خلال الأيام القليلة التالية قتال عنيف لا سيما عندما حدثت إنزالات اخرى بالقرب من (آرنيم) في يوم ٢٣ ايلول ، وقد استمر القتال حتى يوم ٢٦ ايلول ..

نجح الجيش البريطاني الثاني بصورة عامة في الاندفاع نحو الراين الأسفل ، ولا نعرف فيما إذا كانت الأوامر التي تلقاها تنص على أن يقتصر تقدمه حتى الراين ، وبذلك يؤمن حماية جناح التعرض من بعد ، أم إنه كان ينبغي له أن يستمر مندفعاً عبر الراين .

إن سر نجاح الالمان هو في احتفاظهم بالأرض التي كانوا يحتلونها في (آرنيم) بوحدات مختلطة واهنة للغاية ، ولكنها استطاعت التغلب على الفرقة البريطانية الأولى المحمولة جواً بعد قتال ماكر عنيف جداً ...

على كل حال ، فقد كانت هذه الفرقة في رأي الالمان فرقة باسلة صعبة المراس ، وكانت الخسائر في الطرفين جسيمة . إن نسبة القتلى من الالمان في المعارك التي دارت في ١٧ ايلول – ٢٦ ايلول كنسبة قتيل الى ثلاثة جرحى من بين مجموعة الخسائر التي بلغت ثلاثة آلاف رجل ، وهذا يثبت طبيعة ضراوة هذا القتال .

كان هذا القتال – في رأي رونشتد – من ناحية سوقية غير ذي جدوى ، وكانت خدمة الاستخبارات الالمانية لا تزال تحصي حوالي سبع او ثماني فرق محمولة جواً ؛ وفي نهاية ايلول (١٩٤٤) فرضت وجود فرقتين امريكيتين في إنكلترا جاهزتين للعمل ايضاً ، وكان من رأي رونشتد استناداً الى ظروف الجيش الالماني في الغرب عام (١٩٤٤) أن إنزالاً سوقياً من الجو على الراين بجميع التشكيلات المتيسرة قد يكون له تأثير حاسم إذا ما صحب الانزال في آن واحد هجوم بري ، ولكن من الصعب جداً أن تعرف المقصد الحقيقي للعدو كما تنص عليه تجارب الحرب منذ القديم ، وعادة يعتبر العدو أقوى مما هو ، ومع ذلك فقد أثبت قتال ايلول هذا أن حتى القطعات الألمانية ذات الكفاءة العسكرية القليلة لا تزال قادرة على القيام بأعمال خطيرة ضد وحدات العدو المنتخبة وتشكيلاته الممتازة المحمولة جواً ، وكانت روح القتال الالمانية غير منهارة على الرغم من تفوق الحلفاء جواً وبراً تفوقاً كاسحاً !

كانت القيادة الالمانية العليا لا تزال تتوقع حركة تعرض ثانوية في الغرب ، كما اعتقدت بامكان استرداد الاراضي المفقودة بالهجوم المقابل ، فحشدوا في ايلول الجيش المدرع الخامس بقيادة اللواء الشاب ذي العزم (مانتوفل) في غرب (ساربيرك) ، ولكن هذا لم يكن جاهزاً للعمل ابداً ، إذ كان كثير من وحداته لا تزال تحاول إعادة تنظيمها بعد ما اصابها من نكسات في القتال . كان قد تقرر جلب الفرقة المدرعة الحادية عشرة المدربة وهي التي اصيبت بوهن من قبل للانضمام للجيش المدرع الخامس ، وكانت فكرة هتلر ومستشاريه التعرض بهذا الجيش بعيداً الى الغرب على (نانسي) للوصول الى خط (الموزل) ، لشطر القطعات الامريكية ... على كل حال لم يكن رونشتد متفائلاً . وقد اراد أن يستخدم الجيش المدرع الخامس ضد هدف محدود لغرض رتق الجبهة الممزقة بين الجيشين الاول والتاسع عشر فقط ، وكان يرى أن واجب هذا الجيش هو أن يحول دون اختراق سوقي لاحت بوادره باتجاه مقاطعة السار ،

ولربما نحو (ستراسبورغ) شرقاً ، وحالما يتم إنجاز هذا الواجب بنجاح فإن هـــذا الجيش حسب رأي رونشتد ينبغي أن يرسل حينئذ الى جحفل الجيش حول (إخن) .

تلقى (مانتوفل) يوم ١٧ ايلول أوامر مفصلة ، وقـــد حصل الآن قتال متأرجح لا قرار له استمر حتى أواسط تشرين الاول (اكتوبر) يمكن تقسيمه الى ثلاث صفحات : الاولى الهجوم جنوب قناة (ريمس – مارن) لاجل إعادة الاتصال بـين الجيشين الاول والتاسع عشر في جوار (لونافيل) وكانت الثغرة الكبرى بين هذين الجيشين بين (السين) العليا و (بكرات) ، ولكن على الرغم من قيادة (مانتوفل) التي تتسم بالعزم ، فان قواته لم تكن كافية لسد هذه الثغرة الهائلة بهذا البعد الى الغرب .

نتج عن ذلك الصفحة الثانية التي كانت تستهدف استرداد الموقف في الشرق من ذلك ، وقد أفضى هذا الى نشوب القتـــال في مركز الثغرة أي في غابات (باروي) في الشمال الشرقي من (لونافيل) .

لقد نجح الجيش المدرع الأول على الأقل في منع الأمريكان من الاختراق الذي كان يخشى منه .

وكانت الصفحة الثالثة هي انشاء جبهة مباشرة بين الجيشين الأول والتاسع عشر بين (مارسال) و (بكرات) ، وقد تعذّر عليه انجاز أكثر من ذلك ، غير ان نجاح (مانتوفل) يعود الى وجود جبهة متصلة اخرى في جنوب الجبهة الغربية .

بدأ الجيش الاول حوالي اواسط تشرين الأول (اكتوبر) يقطع اشتباكاته بالعدو ، وقـــد ارسل الى جحفل الجيش (ب) (مودل) في جوار (اخن) حيث نشبت معركة (اخن) الثانيـــة عنيفة عنفاً بالغاً ، وبدأت الآن فترة في

الغرب اظهرت بوضوح مقدار توتر اعصاب القيادة الالمانية العليا ، وقـد اخرج هتلر دون استشارة رونشتد قادة ذوي قيمة مجربة من قيـادة جحافل جيوش وقيادة جيوش مستبدلاً إياهم بآخرين ، رجا ان يكونوا اقدر على معالجة الموقف اليائس . وفي خلال هذه الاسابيع من نهاية ايلول اخرج القائـــد العام لجحفل الجيش (جـ) الفريق (بلاسكوبتس) مرة ثانية واستبدل باللواء الشاب (بالك) من صنف الدروع والذي كان في الجبهة الشرقية .

لقد اعتقد هتلر ان قادة الشرق يتمكنون من تحويل الكفاح في الغرب الى نهاية ناجحة ، وكان لا يزال غـــير قادر على ان يدرك بأن التفوق الساحق في المنابع والمواد في الجبهة الغربية ووجود السيادة الجوية المطلقة للحلفاء هناك ، هي العوامل الحاسمة التي لا يمكن ان يبدلها اعظم قادة الجبهة الشرقية قابليـة وبسالة .

لقد كان الفريق (بلاسكوبتس) قائداً قديراً حاز اعجاب كل من عرفـه ، وقد اسف رونشتد بصورة خاصة لاخراجه . اما القائد الجديد اللواء (بالك) فقد كان معروفاً في الشرق بلا شك قائداً مليئاً حيوية ونشاطاً ، ولكنه كان غريباً عن الغرب ...

كان رونشتد قد اعطى منطقة (اخن) أهمية خاصة عند استلامه القيـادة الغربية في ايلول (١٩٤٤) ، اذ تصور ان الحلفاء ربما نفذوا الى شمالي المانيـــا خلال منطقة (اخن ـ رود) ، ومع ان هذا التصور لم يتحقق عملياً تماماً ، فان منطقة (اخن) على الرغم من ذلك ازدادت اهمية بصورة تدريجيـة باعتبارها المنطقة الحيوية في الجبهة الغربية .

ومن الممكن تقسيم معركة (اخن) الكبرى الى عـدة صفحات ، ولكن أبرز ما فيها هو ان القطعات الالمانية أضحت قادرة مرة اخرى على اثبـــات وجودها . لقد وهن الجيش الالماني في الغرب وهناً عظيماً بعد القتـال الضاري

الذي لم يتوقف من ٦ حزيران لغاية اواسط ايلول ، ومن جراء الانسحابات المتوالية شرقاً ، بينما كان الحلفاء قادرين على تعويض خسائرهم بالرجال والمواد ايضاً، ومن الممكن ان نتصور بجلاء في غمرة هذا الموقف اليائس الذي كان يلمسه كل جندي الماني ، ان الجبهة الالمانية كان ينبغي لها ان تنهار كما حدث عام (١٩١٨) . لقد أفضى هذا الضعف بالرجال والمواد الى تأثير مدمر في المعنويات، وكانت جيوش (آيزنهاور) و (مونتكومري) قد لبست لبوس غرور المنتصرين في زحفها شطر الحدود الالمانية ، فقد كانوا يشعرون بتفوقهم ويعلمون بأن النصر النهائي على مرأى ابصارهم ، بينما فقدت القطعات الالمانية وقادتها من الجهة الثانية الأمل كله في النصر ... فما هي الروح التي ستسود الجبهة اذا ما اقتحم العدو الحدود الالمانية وطفق يصاول على ارض الوطن ؟

انه من المدهش حقاً ان تجمع هذه القوات الالمانية شتاتها ثانية في مثل هذا الموقف الحرج اليائس ، وان تدأب على القتال بعزم لا يقل علواً عن عزمها في (نورماندي) .

وربما يخامر الاذهان ان الأساليب الدكتاتورية قاسية الى درجة لا تسمح معها لأي جندي ان يتزحزح عن القتال ، ولكن ذلك ليس الا من الاسباب العرضية ... لأن تلك الاساليب الدكتاتورية كانت منصبة على القادة الأقدمين لا على القطعات .

لم تكن القيادة عام (١٩٤٤) أشد عنفاً بأي حال من الاحوال ، مما كانت عليه عام (١٩١٨) .

ينبغي لنا ان نذكر وجهة نظر رونشتد هنا حول شرف الجندي الالماني في هذه الفترة ، فقد كان يرى ان الجندي الالماني خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) اقوى معنوية وأرسخ ايماناً بالقضاء والقدر منه في عام (١٩١٨) . فلو ان هذه الملايين أرادت الانتفاض لما منعها مما تريده اي نظام من انظمة الشرطة مهما يبلغ

من تجسس وعنف ، اذ كان في استطاعتهم ان يهيموا على وجوههم لا يلوون على شيء ، ولكن هؤلاء الرجال البواسل ترفعوا عن ذلك أنفة وعزة ، بل استمروا في قتالهم غير مبالين ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، ولم يحدث في اي منطقة اي عمل من اعمال سوء الضبط ضد الضباط كما حدث في سنة (١٩١٨) خلال استحضارات الانسحاب .

لقد برزت الطاعة الراسخة خلال معركة (إخن) وخلال التعرض على اردنس .

لقد بدأت معارك (إخن) العنيفة بهذه الروح التي انبعثت مجدداً ، وقد تميزت هذه المعارك بصورة رئيسية بقتال المدفعية الهائل كشأنها في الحرب العالمية الاولى ، اذ صُبّت نيران شديدة مركزة منسقة من الجانب الالماني على الحلفاء ، وهي لا تختلف ابداً عن تلك التي جرت في (فردون) وعلى (السوم) في سنة (١٩١٦) . لقد اسندت هذه المدفعية عام (١٩٤٤) استخدام الدروع الالمانية في (إخن) اسناداً جوهرياً ، ومنحت المشاة ايضاً اسناداً مكّنها من صدّ قوات الحلفاء الساحقة .

لقد اخترق الحلفاء الجدار الغربي بسهولة، شأنه في ذلك شأن جميع الخطوط والجدر ، اذ اخترقوه من عدة نقاط خلال بضعة ايام ، كما نجح الالمان في اختراق أمثاله من الخطوط الحصينة في الشطر الاول من الحرب .

كان غرض العدو وهو الجيش الامريكي الاول القيام باختراق الخطوط الالمانية من (إخن) نحو منطقة (الرور) ، وكان رونشتد يرى ان الاتجاه العام لهذه المعركة يمثل عملاً موحداً يتفق والهدف الرئيس. لقد أدرك العدو الأهمية السوقية لـ (إخن) ، وكان واجب رونشتد ان يحول دون تحقيق أماني الحلفاء .

ان (إخن) التي نذكرها في هذا البحث، ليست المدينة المشار اليها فحسب

بهذا الاسم ، اذ ليست هذه المدينة غير جزء تعبوي من الحركة العامة ... ان الامر يتعلق اكثر من هذا بكثير بالمنطقة المحيطة بـ (إخن – كيلن كيرجن) وهي التي تمتد تقريباً بين (كيلن كيرجن) و (اوبن) .

لقد بدأ القتال فعلاً في بداية ايلول (سبتمبر) ، وفتر لأول مرة في كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٤) . ولقد جرى القتال بشكل معركة كبرى على طراز معارك (شامبين) حول (فردون) على (السوم) وفي (الفلاندرس) خلال الحرب العالمية الاولى ... لقد مرّت أسابيع بلغت شدة القتال فيها الذروة ، ومن ثم عاد القتال اعتيادياً ... كما مرت ايام هادئة نسبياً واخرى ذات فعالية شديدة .

ولقد قسمت هذه الحوادث في الجانب الالماني الى المعارك : الاولى والثانية والثالثة حول (إخن) .

اما في جانب الحلفاء ، فقد أطلق عليها (الاندفاع الى خط سيكفريد) و (تعرض إخن) و (الاندفاع نحو نهر الرور) .

المعركة الاولى في حوالي (٤ ايلول – ٢٣ ايلول)، والثانية من (٢ تشرين الاول – ٢٢ تشرين الاول) ، والثالثة من (٢ كانون الاول – حوالي منتصف كانون الاول) ؛ وكانت الصفحة الاولى هي القتال الذي جرى حول الجدار الغربي ، ونتج عن الثانية سقوط مدينة (إخن) بيد الحلفاء ، وكانت نتيجة الثالثة استيلاء الحلفاء على قاطع (الرور) . في الصفحة الاولى نجح الجيش الامريكي في الوصول الى (الجدار الغربي) بين غربي (إخن) وغربي (كيلن كيرجن) ونجح في اختراق نقاط معزولة لا سيما في جنوب شرقي (إخن) ، اذ شن هجوماً عميقاً ، فأصبحت المدينة مهددة من الجنوب .

وفي الصفحة الثانية سقطت (اخن) نفسها ، وأضحى الأمريكيون قادرين

على اكتساب الخط الذي يمتـد تقريباً من الحافة الغربية لغـاية (هويرت كن — ستلوك بيرك — كيلن كيرجن) .

وأخيراً وفي الصفحة الثالثة وصلت قوات الحلفاء الى (الرور) بين(ديورن) و (لينج) ...

وفي شمال الجيش الامريكي الاول اخذ نهر (النينت) يقترب تدريجيـاً من ساحة القتال ، وأخيراً شكل هذا الرافد بـــين (كيلن كيرجن) ومصبه في (الرور) الحدود الرئيسية بين الامريكان وبين البريطانيين .

كانت قيمة المدينة نفسهـا بالنسبة الى هتلر قيمة كرامة واعتبـار ، ونتيجة لذلك كان شديد الرغبة في الحفاظ عليها بعيدة عن ايدي العدو ...

حقاً لقد كان هذا الهدف عقدة مواصلات مهمة ، ولكنها لم تكن حيوية من الناحية السوقية حيوية المنطقة المحيطة بـ (اخن) ، ولعل الحلفاء كانوا يهاجمون هذه المنطقة حتى ولو لم تكن فيها مدينة (اخن) ... لقد كانت هذه المنطقة هي التي اشارت الى الطريق صوب منطقة (الرور) ، ولذلك كان على الحلفاء ان يقاتلوا فيها ... ان الارض حتى (الرور) جبليـة بصورة عامة ، ولكنها بعد ذلك تنحدر انحداراً يتزايد كلما اقترب من النهر حتى تتخذ طبيعـــة ريف متموج تموجاً خفيفـاً ، وفي شرقي (الرور) ينفتح ميدان مثـــالي لاستخدام الدبابات يمتد حتى (الراين) ، وبعد عبور (الرور) لا بـــد من هجوم مدرع كبير لتيسير ساحة مناسبة لذلك . لقد سبق ان لاحت البوادر الاولية لتعرض (الأردين) في خلال هـذا القتال التراجعي المديد . لقـد كان اتجاه الهجوم الامريكي من (إخن) نحو الشرق والشمال الشرقي ،ومعنى ذلك بروز خط مندفع الى الامام نحو الشرق . وفي نهاية الصفحة الثالثة كانت الجبهة عموماً تمتـد من (مونس جاو) نحو الشمال الشرقي حتى خزانات (الرور) ، وبعد ذلك تمتد على

طوار النهر مخترقة (ديورن – جيلج – لينج) ومن ثم تتراجع ثانية نحو الغرب عند (كيلن كيرجن) .

ان نظرة للخريطة ترينا ان ثقل هذا الانتفاخ البارز بهذا المقدار نحو الشرق لا بد انه أوحى الى هتلر فكرة القبض على هذا النتوء بكامله من الجنوب للعمل على بتره ، ومن بعد ذلك يقوم بالعمل من الشمال ايضاً ، ويتم كل هذا بتعرض من كلا الجانبين .

لقد جازفت القيادة الامريكية العليا في تركها ثلاث فرق بين منطقة (اخن) المهاجمة نحو الجنوب حتى حدود الجيش الأمريكي الثالث المجاور ، أي في جبهة (ايفل) الجبلية التي كان طولها مائة ميل تقريباً ، ولا بد ان هذه الحقيقة قد شجّعت هتلر ان يأمر بالقيام بتعرض على جبهة (ايفل) الرقيقة هذه ...

تحتاج محاولة هتلر الأخيرة للأخذ بناصية المبادأة الى بعض التمحيص . لقد وسمت الدعاية هذه الحركة بسمة (تعرض رونشتد) وهذا مثل آخر عن مدى تقبل الرأي العام دون تمحيص ولا انتقاد لما تدعيه الدعاية . لقد كان رونشتد الرجل الذي اراد في بداية ايلول (١٩٤٤) بعد عودته الى القيادة مباشرة ان يدير الحرب بشكل دفاعي ، وكان هو الذي عرض حينذاك اقتراح انسحاب الجيش الالماني بكامله من الغرب دون قتال طويل منهك انسحاباً اميناً الى خط (الجدار الغربي – الفوج) وان يبني هناك جبهة مستقيمة ثانية ، وكان لرونشتد مقصد آخر يتعلق بجمع كافة القوات المدرعة المتيسرة في الغرب بشكل احتياط سوقي كبير وراء الجبهة ، وأراد من بعد ذلك ان يترك الحلفاء يبدأون بالجولة دون ان يشغل نفسه بتعرض لا جدوى منه .

ولما كان تعرض (الادين) هذا قد لعب دوراً خاصاً في كل من المانيا وخارجها ، فانه من الضروري قبل كل شيء ان نصف ما كان يدور في خلد هتلر . كان العزم على التعرض في الغرب بأي ثمن قد خامر هتلر في آب (١٩٤٤) ، أي خلال

القتال في (نورماندي) ، وكان اختيار (الأردين) منطقة للهجوم قد تقرر بعد امعان نظر طويل في مقر هتلر منذ بداية تشرين الاول .

لم يحط رونشتد علماً ولا (مودل) بهـذا القرار في بداية امره ، وحتى في الاخير بقي المشيران جاهلين عن عمد بتدابير معينة ستتخذ...وذلك للاحتفاظ بالسرية !!

لقد شرح الفريق (جودل) خمس حركات :

١ – تعرض يبدأ من منطقـة (فلنو) على (الموز) نحو الغرب باتجـاه (انتويرب) .

٢ – هجوم يبدأ من شمال (لوكسمبورغ) نحو الشمال الغربي ، ثم ينعطف بعد ذلك شمالاً ، بينما يبدأ هجوم تطويقي ثانوي من منطقة شمال غربي (إخن) .

٣ - هجومان يبدآن من وسط (لوكسمبورغ) و (متز) ويلتقيـان في (لونك وي) .

٤ – اندفاعان يخرجان من (متز) و (بكرات) على (نانسي) .

٥ – هجومان يبدآن من (ابينـال) ومنطقـة (موين بل كار) على (فيسول) .

كان هتلر قد ناقش هذه المقترحات الخمسة مع مستشاريـه المقربين ، فرفض الخطط الثالثة والرابعة والخامسة ، لانهـا لا تؤدي الى نتيجة سوقية . اننـا نسلم بأن هتلر كثيراً ما علم فطرة افضل اتجـاه للهجوم على العدو ، وبلا شك اظهر حاسة سوقية في حالات كثيرة ، ولكن ما يعوزه في هـذا الوقت هو المعرفة بالتوقيتات والجبهة والقوات . لقـد ادّت مدارلات هتلر مـع اعوانه الاقربين في بداية تشرين الاول الى اقرار اعداد الخطة الثانية بتفصيل اوسع (اي

حركة تعرض الاردين) وبعد ذلك احيط كل من رونشتد ومودل علماً بما يتعلق بالخطط الرئيسية فقط . لقد استولى الحلفاء على عدد كبير من وثائق خطة الحركات هذه ، وعندما سيكتب تاريخ الحرب كاملاً ، فستثبت هذه الوثائق ان هذه الحركات كانت من بنات افكار هتلر نفسه ، وهو الذي جعل هيئة ركنه يخرجونها الى حيز الوجود مفصلة غاية التفصيل ، وقد سلمت هذه الاوامر المستحضرة من بعد انجازها الى رونشتد ، فجعلت اسمه علماً عليها ، ولكن لم يكن له في الحقيقة من هذه الخطة غير تنفيذها .

ان الاسباب التي جعلت هتلر يقرر الهجوم في الغرب هي ما يلي :

١ – لقد امل ان يباغت الحلفاء في وقت كان المفروض ان تكون قواتهم فيه متعبة مرهقة ضعيفة .

٢ – ان يرفع معنويات الشعب الالماني الذي يزداد قلقه كلما اقترب العدو الى المانيا من الشرق والغرب .

٣ – للحصول على الوقت اللازم لابتكار مواد واسلحة حربية جديدة !

٤ – لقد اراد ان يجعل الاقتراب من منطقة (الرو) اكثر صعوبة للعدو ، قبل ان يحاول قذفهم الى الخلف باتجاه الغرب ثانية .

٥ – لقد رأى ان الانهيار يطل على المانيا من الشرق والغرب ، وبما ان تفوق الروس في الشرق كان ساحقاً في كل نقطة من نقاط الجبهة الشرقية الواسعة ، بينما كانت المنطقة الغربية من الجهة الاخرى صغيرة وقوات الحلفاء فيها لم تكن كاسحة كما هو الحال في القوات الروسية ، ولهذا امل هتلر ان يربك الحلفاء بتعرض يباغتهم فيه مباغتة كاملة ، وهذا يفسر لماذا تمّ اتخاذ خطة : (تعرض الاردين) .

سمع رونشتد في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) لأول مرة

بعزم هتلر على القيام بتعرض كبير في الغرب ، كما ان القائد العام لجحفل الجيش (ب) مودل احيط علماً بذلك في الوقت نفسه ، وليس من شك في ان هـــذا الكتمان كان سببه ما كانت تخشاه الدوائر العليا من اعتراض القادة الأقدمين في الغرب على تنفيذه ، وكان اول امر من الاوامر التي وصلت الى القيادة الغربية في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) يستهدف قطع اي اعتراض بما يلي :

الغاية : — ان التنظيم والهدف لهذا الهجوم امران لا بد منهما .

كانت خطة هتلر هذه من وجهة النظر العسكرية خطة بالغة المجازفة ، فلو نجح هذا الهجوم لأصبح هتلر (المنقذ) ، ولو نُفّذَ هذا الهجوم تنفيذاً خاطئاً لاكتوى رونشتد بشواظ من اللوم. لقد بوغت رونشتد ومودل ايضاً مباغتة غير سارة عندما استلما (هذا الامر الذي لا بـد من تنفيذه) ومعه وصايا مفصله لوضعه موضع التنفيذ .

لقد كان معروفاً أن كليهما أرادا استعمال القوات التي كانت لا تزال متيسرة لغايات الدفاع السوقي فقط — الدفاع غير المستكن دائمـــاً بل الدفاع السيار — المقرون بالهجمات الموضعية .

أصبح رونشتد الآن يواجه واجبين: — الاول يتطلب منه أن يحتفظ بالجبهة الغربية التي تشاغل بشده بكل ثمـــن ، والثاني وفقاً لأمر هتلر ان يتخذ جميع التدابير للقيام بتعرض كبير .

لقد دعـــا هتلر يوم ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) كلا من رونشتد ومودل لمؤتمر في مقره ، وقد تبدل هـذا الأمر من بعد ذلك واستبدل حضورهما بحضور رئيسي ركنيهما لمواجهة هتلر. عاد هذان الضابطان الى قائديهما يوم ٢٦ تشرين الأول فأخبراهما بالمعلومات المذهـلة المتعلقة بتعرض هتلر الذي سبق اعداده . لقد كان على رئيسي الركن وهما (ويستفال) في (القيادة الغربية)

و (كريبس) في (جحفل الجيش ب) أن يوقعـا في المقر الكائن في بروسيا الشرقية تعهداً صارماً للاحتفاظ بالكتمان ، وبعـد ذلك تلقيا المعلومات عن التعرض .. وقد انبرى هتلر لايضاح أفكاره خاتماً حديثه بالملحوظة التالية : — « إن الموقف في الغرب لا يمكن السيطرة عليه إلا بالهجوم فقط لا بالدفاع » ومن ثم استلم كل من الضابطين قوائم ضافية عـن جميع التقويات المتيسرة للتعرض ، وكان قـد رتب أن يكون الهدف هو : (انتويرب) ، وكان هتلر قـد اختار جبهة (ايفل) ، لأن الامريكان كانوا ضعفاء هناك . كما أنـه اراد أن يعزل الامريكان عن البريطانيين في الأدوار التالية من الهجوم .

لقد تجنب هتلر بهـذه الوسيلة اي شكل من أشكال الاعتراض المحتمل أن يثيره كل من رونشتد ومودل ، ولم يسأل المشيرين عن مقترحاتهما سلفاً خلافـاً للعادة المتبعة ... وقـد تحدث هتلر عن الثلاثة آلاف طائرة مـن طائرات (الجيكر) التي ستتيسر للتعرض .

ولأنه لم يكن متأكداً من الأرقام الصحيحة ، فقـد ذكر ألفاً وخمسمائة طائرة (جيكر) منها ... وكان حوالي ثمانمائة منها جاهزة للخدمة من ضمنها مائة من احدث طائرات الجيكر النافورية .

خزن الوقود وهو حوالي ثلاثة ملايين غالون للمطاليب الاولية ، وفي شمال الجبهة الغربية أقيم مقر لجحفل جيش ثالث لكي يستلم القيادة من جحفل الجيش (ب) في المركز ، لأن مودل وفقاً للأوامر كان عليه أن يضطلع بتنفيذ التعرض الفعلي . وعندما انتهى الـلواء الألمعي ويستفال رئيس هيئة ركن رونشتد من إلقاء تقريره ، أفصح المشير عن رأيه بمـا يلي : « إني سعيد لأننا أخيراً سنتلقى قوات اكثر من الشرق ، وقبل ان يبـدأ التعرض المرسوم سيطغى (الراين) ، ومن نظرة عاجلة استطيع أن اقول : ان الهـدف البعيد وهو (انتويرب) لا يمكن الوصول اليـه بالقوات المتيسرة ، لأنـه حينذاك سيكون جناحا الهجوم

الطويلان مكشوفين من كلا جانبي ثغرة الهجوم، ولا توجد سوى فرق قليلة جداً متيسرة لسد الجناحين ، وحتى لو اندفع موديل قدماً حتى (الموز) فقط ، فان النتيجة ستكون انشاءخط جبهة ناتئة متوغلة نحو الغرب، وسيتطلب الاحتفاظ بها قوات كبيرة ، كما أن هذا النتوء سيغري العدو بالهجمات الجانبية ، وإني أرى أن نتحرى هدفاً آخر أقل طموحاً يمكن به تحطيم قوات معادية كبيرة من غير مجازفة كبيرة ... إن خطط التعرض بكاملها توحي إليّ بانها قاصرة عن تحقيق متطلبات الواقع » ...

كانت الأسابيع من نهاية تشرين الاول حتى بداية التعرض حافلة بالاستعدادات وبالمذكرات والتغيرات المقترحة ... الخ والتي لا يمكن الخوض في تفاصيلها كاملة هنا .

وصل من مقر هتلر في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٤) مسودة الخطوط الأساسية للحركات التي أعدتها هيئة ركن القوات المسلحة الالمانية العليا ، ولقد أرسل رونشتد هذا الأمر الاساس الى مودل المسؤول عن إدارة الهجوم الشامل . انه مما يستحق الاهتمام أن مودل ساوقت افكاره افكار رونشتد تماماً ، وانه مثله فكر بأن الحركة كلها مسرفة في طموحها .

وبما أن الموقف العام في الشرق وفي الغرب أخذ يتردى باضطراد ، فقد أراد هتلر أن يبدأ هجومه في أقرب وقت ممكن قبل أن تصبح الجبهات الدفاعية أشلاء ممزقة ، فقرر أن يبدأ الهجوم يوم ٢٥ تشرين الثاني (١٩٤٤) ، وقد اجل هذا الموعد باستمرار ، وأخيراً ثبت يوم ١٦ كانون الثاني .

لقد بذل كل من رونشتد ومودل أقصى ما لديهما من جهد خلال تلك الأسابيع من تشرين الثاني ليحملا هتلر على أن يضيق من سعة هدفه ، ثم بدأت لعبة جر الحبل بين مؤيدي التعرض الكبير وبين مؤيدي التعرض الصغير، وكان

الهجوم الصغير حسب اقتراح رونشتد يتضمن التقدم حتى (الموز) ومن ثم الاستدارة نحو الشمال الغربي وعزل الجبهة الامريكية على (الرور) .

ولكن هتلر رفض هذا التعرض الصغير ، واصفاً اياه : بأنه من انصاف الحلول.. بل رفض حتى تنسيق الحركة الثانوية من (الرور – رويرمونت).. لأنه خشي ان يتجه المشيران دوما نحو فكرتها الصغيرة فيما اذا أقرا على تنسيق تلك الحركة ... وعندما تمحص الوثائق الخاصة بهذه الفترة تمحيصاً دقيقاً وينكشف الصراع المرير بين هتلر وبين رونشتد انكشافاً تاماً ، فان المرء يعتقد حينذاك بأن هتلر ربما كان يفكر على ضوء الزحف العظيم الذي جرى في الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٨) ، فلو ان هذه الذكرى داعبت مخيلة هتلر (ولا يعلم الغيب احد) فان الفروق واضحة وضوحاً ملموساً !

كانت المانيا في سنة (١٩١٨) تتمكن من حشد كافة قواتها في الغرب ، لأن روسيا كانت قد عقدت معها صلحاً ، كما كانت تتيسر حينذاك قوات ومدفعية ومواد اكثر بكثير مما تتيسر اليوم ، بالاضافة الى وجود احتياطات وفيرة لا تعد ولا تحصى،وكان الاتجاه السياسي نحو المانيا في عام (١٩١٨) اتجاهاً غير متطرف في عداوته كما هو الحال في عام (١٩٤٤) ، وكانت قوة امريكا الهائلة في بداية تأثيرها، وكانت الجبهة الغربية الالمانية في سنة (١٩١٨) قصيرة والقطعات فيها كافية تحتل قواطع ضيقة في مواضع رصينة عمقاً ، ولم تكن حينذاك قوة جوية مدمرة ، واخيراً كان في ذلك الوقت رجال مثل هندنبرغ ولودندروف اللذين كانا اكثر إدراكاً لادارة الحرب من هتلر .

وفي سنة (١٩١٨) كان الهدف (اميانس) لغرض عزل الفرنسيين عن البريطانيين ، وكانت المسافة بين نقطة شروع التعرض و (اميانس) لا تزيد على خمسين ميلاً بصورة مستقيمة ، وكان كلا الجناحين اقصر مما عليه الآن ، اما المسافة في عام (١٩٤٤) الى (انتويرب) فهي خمسة وتسعون ميلاً .

وفي (١٩١٨) بدأ التعرض في أواسط آذار على ارض مناسبة ، امـا في سنة (١٩٤٤) فكان على التعرض – خلافاً لذلك – ان يمر بأرض جبلية وعرة من (ايفل) و (الاردين) في شهر كانون الثـاني مخترقة طرقاً يكتنفها الثلج ويغمرها الجليد ، وكانت جبهـة الفرقة الالمانية في (١٩١٨) تتراوح مـا بين الميل والثلث وبين الميلين طولاً !!

وفي عام (١٩١٨) كانت القطعـات لا تزال سليمة محتفظة بمواضعها منـذ أمد بعيد والى النهـاية ، وحتى ذلك الحين لم تكن قـد قامت سوى ببعض الانتكاسات القليلة ، وكان تدريبها على التعرض متقناً قـد استغرق شهوراً عديدة ... على الرغم من كل شيء فان هذا التعرض أخفق امام (اميانس) مباشرة ، ولم تعد القطعات كافية للوصول اليها ، لذلك حينما نقارن بين عامي (١٩١٨) و (١٩٤٤) ، يتضح ان الاحوال في الحرب العـالمية الاولى كانت مواتية اكثر مما هي عليه في عام (١٩٤٤) !!

التقى هتلر برونشتد قبيل البدء بالتعرض ، فقال هتلر لرونشتد الذي كان قد بيّن اعتراضاته : « أعتقد أني أقدر على الحكم منك على هذا ، ايها المشير ! ولقد أتيت هنا لمساعدتك » ، فاستدار رونشتد على عقبيه مدبراً ..

لقد نفذ التعرض جيشان مدرعان وجيش من المشاة بصورة رئيسية، وكان في الميمنة (نحو الشمال) جيش الصاعقة المدرع السادس بقيادة (سيب ديترج) ويتألف من اربع فرق مدرعة وفرقة مشاة واحدة ، وكان عليـه ان يندفع الى الامام فيخرج من منطقة (مونس جاو) جنوبي (إخن) تاركاً (لوتيج) الى (انتويرب) . والى يساره (من الجنوب) كان جيش (مانتوفل) المدرع الخامس ، ويتألف من اربع فرق مدرعة وثلاث فرق من المشاة وكان عليه ان يتقدم الى الامـام مخترقاً (نامور – بروكسل) نحو (انتويرب) ، وكان على الجيش السابع المؤلف من ست فرق مشاة وفرقة مدرعة ان يكون مسؤولاً عن حماية الجناح حسب الظروف الراهنـة ويستدير جنوباً . انه من

اليسير ادراك قلة هذه القطعات للظفر بهدف بعيد كهذا في شهر كانون الثـاني بينها وبين هدفها منطقة من التلول الوعرة .

كان ينبغي ان يقوم فيلق الصاعقة السابع بواجبه الثـانوي من الشمال مبتدئاً من المنطقة الكائنة جنوب (رويرمونت)، وذلك وفقاً لخطة رونشتد في التعرض الصغير ، ولكن ذلك سبق رفضه من هتلر . كان هـذا الفيلق مؤلفاً من فرق تنتسب الى الجيش النظامي ، وهي فرق المشاة : التـاسعة والخمسون ، والمائة والسادسة والسبعون ، والمائة والثالثة والثمانون ، ومن الفرقة المدرعة التـاسعة والفرقة المدرعة (كراندير) الخامسة عشرة . كان هذا الفيلق قد أجرى كافة الاستحضارات للهجوم على (ماسترنيج) ولكن هذا الهجوم لم ينفذ مطلقاً ، لأن هتلر رفض تطبيق هـذا الواجب الثانوي ، كما انه سحب من هذا الفيلق كلتا الفرقتين المدرعتين وأضافهما الى قطعـات تعرض (الاردين) .

وعنـدما بدأت المعركة يوم ١٦ كانون الثاني على طول جبهة (ايفل) بكاملها ، كانت من غير شك مباغتة تامة للعدو ، اذ لم يكن بالحسبان ان يقوم الجيش الالماني المنهار بمجازفة هجومية ! ولقـد بوغتت قطعاتنا ايضاً ، لأنه اقتضى التمسك بالكتمان فيما يتعلق بالهجوم والنيات حتى اللحظة الأخيرة... وكما هو اعتيادي بهذا النوع من الهجوم جاء النجاح في الساعات والأيام الاولى الى جانب المهـاجم ، ولكن أخذ التقدم من بعد ذلك يتباطأ تدريجياً . وأخيراً بقيت الوحدات ثابتة في مواضعها التي وصلت اليهـا ، ومات هـذا التعرض لعدم تيسر القطعات ...

كانت استجابة الامريكان لهذا الهجوم سريعة ، اذ عنـدما أفاقوا من المباغتة الاولية ، اتخـذوا تدابير مقـابلة فورية فعالة ، فمن الجنوب بصورة خاصة زجوا هجمات مقابلة ضد جناح الحمـاية الضعيف للجيش السابع ، بينما اندفعت التشكيلات البريطانية من الشمال لمساعدتهم .

لقد تحققت تنبؤات رونشتد بسرعة فائقة ، فالالمان اصبحوا الآن مهاجمين من قوات الحلفاء من ثلاث جهات ، وكانت فرقة الصاعقة المدرعة السادسة قد تقدمت – على كل حال – قليلاً فقط في اليمين ، اما جيش (مانتوفل) المدرع الخامس في اليسار الذي كانت قيادته جيدة ، فقد نجح في التقدم ، ولكن لم يكن بوسعه ان يكسب الجولة بمفرده ، وسرعان ما تطور الهجوم الهتلري الى دفاع هتلري ، ووجدت القطعات الالمانية نفسها في مواضع قلقة؛ اما قطع التعرض وانسحاب القطعات انسحاباً آخر الى خط مستقيم لاعادة التنظيم كما سبق ان اقترح ذلك رونشتد، ولكن ذلك جاء متأخراً كثيراً ... لأن هتلر لم يرغب في مواجهة الحقيقة ، وهي أن خطته انهارت !! كانت نتيجة هذا الاندحار أن القوات الثمينة التي لا يمكن التعويض عنها ، قاست الأمرّين ... وبذلك ازدادت الدفاعات الغربية الأخيرة وهناً على وهن ، واختفى الآن آخر أمل في مقاومة الالمان للحلفاء بنجاح ، ومع ذلك استمر الجيش الالماني في الغرب على القتال مدافعاً عن (الرور) و (الراين) و (الويز) و (الايب) دون هوادة بشجاعة ، ولكن من غير أمل ...

١٤

المَصِيرُ المحتُوم

لقد استنفد القتال العنيف السيار كافة اشهر شتاء سنتي (١٩٤٤ — ١٩٤٥) ، واجريت تبديلات متلاحقة في القيادة العليا بأمر من هتلر : اعفي الفريق (بالك) من مهام قيادة جحفل الجيش (جـ) في الزاس واستبدل بالقائد الحزبي (هملر) من منتسبي قوات الصاعقة لأمد قصير ، ومن ثم اعيد الفريق (بلاسكويتس) لقيادة جحفل الجيش (جـ) الخ...تبدلات مستمرة مرة اخرى .

ولم يبق شيء تستطيع السياسة تحقيقه الآن...لقد بقي الاستسلام فقط .

كان الحلفاء يضيقون الخناق على المانيا بصورة متزايدة من الجنوب الشرقي ومن الجنوب ، وركزت قواتهم الجوية قصفها الهائل من جميع الجهات على المنطقة التي تضيق رقعتها يوماً بعد يوم ، وتحرك القدر من مجراه الذي لا يرحم .. وفي هذه الفترة اي في شتاء (١٩٤٤ — ١٩٤٥) وبعد اجراء تبديلات كثيرة ، نظمت الجبهة الالمانية في الغرب التي كانت بقيادة رونشتد بثلاثة جحافل جيوش:ففي اليمين والشمال جحفل الجيش (جـ) بقيادة الفريق (ستودنت) اولاً،و (بلاسكويتس) اخيراً.وفي المركز (الجبهة الرئيسية) كان جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل ، وفي الجنوب جحفل الجيش (آ) الذي تبدل قادته العامون تبدلاً مستمراً .

احتاجت الجبهة الالمانيــة الشرقية في اول كانون الثاني (١٩٤٥) الى

نجدات عاجلة جداً ، فمن اين يمكن ايجاد هذه النجدات ؟ من الغرب فقط .. وكان نتيجـــة ذلـك نقل جيش (ديتريج) السادس المدرع الى الشرق مع قطعات قوية اضافية اخرى .

لم يكن بالمستطاع كتمان اضعاف الجبهة الالمانية الغربية عن الحلفاء ، وكان رونشتد يتوقع يوميـاً منذ اواسط كانون الثـــاني (١٩٤٥) فصاعداً تحشد الحلفاء على طول الجبهة كلهـــا تمهيداً لاندفاعهم اولاً نحو (الراين) ومن ثم عبوره الى المانيا ، كما كان يتوقع ان يظهر مبكراً الى الميدان جحفل الجيش البريطاني الواحد والعشرون بقيادة قائده العام الفعال المشير مونتكومري .

تسنى للبريطانيين فترة هدوء طويلة نسبياً بالمقــــارنة مع الامريكان الذين قاتلوا بعنف وباطراد ، وكان رونشتد يتوقع في ذلك الوقت هجوماً بريطانياً على كلا جانبي (فنلو) عبر (الموز) ، ولربما يبدأ هذا الهجوم قبيل هجوم الامريكان لعزل الاحتياطات الالمانية الى الشمال .

زج البريطانيون هجومهم المتوقع يوم ٨ شباط (١٩٤٥)، فتوغل الجيش الكندي الاول الى (ريجس وولد) بالقرب من (كليفس) ، ونشب قتـال عنيف للغاية نتيجة لذلك بين (الموز) و (الراين) ، فكان البريطانيون والكنديون يقاتلون ضد جيش المظليين الالماني الاول وكان هناك صراع مرير على كلا الجانبين ، فاستولى العدو المتماسك على الارض ببطء شديد .

لقد استنفد العدو بضعة ايام لكي يدفع الى الخلف جيش المظليين الشجاع الى مـا وراء (الراين) بين (ويسل) و (ايمرج) ، وقـد كان على الجيش الخامس والعشرين الذي لم يكن قوياً والذي كان مشتبكاً في هولندا ان يرسل التشكيل تلو التشكيل الى جيش المظليين الاول المجاور الذي كان بقيادة لواء الجو (جلم) لانتشاله مما حاق به من شدة وضيق .

لم يتحقق الهجوم البريطاني الثـاني في جنوب ذلـك بالقرب من (فنلو) والذي كان يخشاه رونشتد .

زار رونشتد منطقة معركة جيش المظليين بنفسه ، وهنـــاك في الفيلق المدرع السابع والاربعين اقتنع بضراوة القتال الدائر بالقرب من (كوج) ، وبهذا القتال اصبح تهديد الجنـاح الجنوبي لجيش المظليين الاول بين (الموز) و (والراين) في ازدياد مستمر ، فلو شاركت الجيوش الامريكية في الجنوب من ذلك بالقتال ، فان الموقف سيصبح خطراً للغاية .

بدأ الهجوم الأمريكي الرئيس يوم ٢٣ شباط (١٩٤٥) عبر (الرور) نحو (الراين) على خط — (كولون — دوسل دورف) ، وأدى يوم ٢٥ شباط الى اختراق كامل ، وعلى ذلـك فسيصل البريطانيون والامريكان في غضون بضعة أيام الى (الراين) ، ومن ثم قـد تتوقف قطعاتهم لقضاء فترة استجمام ولتأمين استحضارات العبور ، ولكن لا يمكن أن يتأخر موعد هذا الهجوم أمداً طويلاً .

لم يكن على ضفة (الراين) الشرقيـة عملياً أي تحصينات ، كما لم تكن هناك حاميات ايضاً .

وفي شمال (الموزل) استمر قتال التعويق سجالاً كراً وفراً بين (الرور) و (الراين) ، وقد نجم عن هذا القتال دفع الجبهة الالمانية الى الخلف ببطء عظيم ، فكان التراجع أبطأ كثيراً ممـا جرى في فرنسا . وفي يوم ١٠ مارت تراجعت الوحدات الامامية من جيش المظليين الاول امام البريطانيين عــبر (الراين) بالقرب من (ويسل) دون خسارة في الاسلحة او المدخرات . لقد استهدف الهجوم بصورة رئيسية الجبهة الالمانية على (الرور) بين (ديورين) و (يركلنس) ، ومن ثم استهدف (بون) و (كولون) و (دوسل دورف) ، فدفعوا جيش المظليين الاول باتجاه (كريفيلد) بوحداتهم القادمة من الجنوب .

كانت الجبهة الالمانية يوم ١ مارت تمتد شمال (الموزل) على الخط العـام التقريبي :

(ترير – برويم – سجيلدن – ايرفت – مونجين – كلادباج – فنلو – كيلديرن) والى (امريج) وراء (الراين) .

إن (ريميكن) محل صغير كائن في منتصف (الراين) جنوبي (بون) وفيها جسر للسكة الحديدية ، ولما كان هتلر متمسكاً بفكرته عن الثبات بكل وسيلة في طاقته ، فقد كان القلق عظيماً للمحافظة على الجسور الموجودة على (الراين) للاستفادة منها في إعاقة العدو ، فلو دمرتها قوة الحلفاء الجوية او استطاعت وحدات مدرعة مجازفة من البريطانيين او الامريكانيين اختراق الجبهة الالمانية غير المتماسكة بكل سهولة ليلاً واحتلت جسور (الراين) ، فحينذاك لن تتمكن حتى بقية الجبهة الالمانية من التراجع الى الخلف عبر (الراين) .

كانت هناك بلا شك حماية ضعيفة على المعابر تشكل رووس جسور صغيرة ، وكان لكل جسر (آمر) مسؤول ، ولكن هذا الآمر لم يكن يستطيع أن يعمل شيئاً كثيراً حين تهاجمه الدبابات او تقصفه القوة الجوية ، ومع ذلك فأن الصعوبة الرئيسية في حماية هذه الجسور تتركز في القرار : متى ينبغي نسف الجسر ؟

لم يجرأ أي انسان أن يقترح على أي من آمري الجسور بأن يجري تدمير جسره سريعاً قبل وقت مناسب من استيلاء العدو عليه ، حتى لا يستطيع العدو الاستفادة منه ، فكيف يستطيع آمر الجسر أن يقدر الموقف العام ؟ فلو أنه هوجم بالدبابات فأن عليه بكل بساطة أن ينسفه ، فإن لم يقدم على نسفه استولى العدو عليه .

هذا هو الذي حدث بالضبط لجسر السكة الحديدية من (ريميكن) يوم (٦) أو (٧) مارت (١٩٤٥) ولم يزل أمر إخفاق آمر الجسر في نسف هذا الجسر المهم عبور (الراين) غير واضح حتى اليوم ، ونتج عن ذلك احتلاله من الوحدات المدرعة الامريكية ، فاستطاع العدو عبور (الراين) من هذه

النقطة بسرعة هائـلة ؛ ولعل صاعق النسف لم ينفجر ، او كانت بعض القطعات الالمانية وجانب من السكان في حالة تراجع عبر هذا الجسر ... على كل حال سقط هذا الجسر سليماً بيد الامريكان ، وكان لنبأ سقوطه وقع الصاعقة على هتلر ، فأمر حالاً بتشكيل محكمة عسكرية لتحكم على المجرمين في مكان الجريمة .

لقد كانت هناك إشاعات كثيرة تشير الى نشاط المخربين ، ولكن الحقيقة الراهنة الأكيدة التي لا غبار عليها حينذاك ، هي أن هذا الجسر سقط سليماً بيد الامريكان .

وفي الجنوب حتى (الموزل) تمزقت الجبهة الالمانية كثيراً نتيجة لأمر هتلر الشهير : الثبات ثباتاً لا هوادة فيه .. وعلى سبيل المثال، فأن الجيش السابع المدافع في (الجدار الغربي) بين شرق (بروم) و (ترير) ثبت ، في حين أن جبهة الجيش الخامس عشر في الشمال دفعت شرقاً عن (الراين) . حدثت مواقف غريبة جداً ، وبرزت على الخرائط صور عجيبة !!

لقد اخبر رونشتد هتلر نفسه بهـذا الموقف غير المعقول ، ولكن هتلر ومستشاريه لم يعتبروا الموقف يائساً الى هذه الدرجة .

كانت الجبهة الالمانية يوم ١٠ مارت (١٩٤٥) تمتد على وجه التقريب على الخطوط التالية :

من مصب (الراين) الى الشرق مـارة بـ (ايمرج – ويسل – دوسل دورف – كولون – بون – ريميكن – كوبلنز) اي خلف النهر على ضفتـه الشرقية ، ومن (كولبرنج) يبتعد فجأة الى الجنوب الشرقي على طوار (الموزل) حتى (ترير) .

وينعطف من (ترير) مرة اخرى الى الجنوب الشرقي مـاراً بـ (سار لوتيرن – ساربروكن – هاكتاو) وراء (الراين) الأعلى ، ومن هناك يمتـد

على طوار الضفة الشرقية ماراً ب (استراربورك) والى الجنوب حتى الحدود السويسرية .

ان الخط العام يظهر اي كفاح عنيد تقوم به القطعات الالمانية المبعثرة لانجاز واجباتها حتى خلال الايام اليائسة من مارت (١٩٤٥) .

لقد اخفق الحلفاء في اجراء تقدم سريع الى (الراين)، ولم يشقوا طريقهم الى هذا النهر الا بقتال عنيف شاق .

لقد تطرقت الى ذكر الجبهة الالمانية التي كانت عليه يوم ١٠ مارت، لأن في هذا اليوم كتب على رونشتد ان يعود الى التقاعد النهائي .

انتشرت اشاعة يوم ٩ مارت تفيد ان رونشتد سيحال على التقاعد نهائياً وأن مشير القوة الجوية (كيسلرنك) سيكون خلفاً له .

وكان هتلر قد نقل مقره قريباً من مقرات القيادة الغربية خلال تعرض (الأردين) ، وبذلك حصل بينه وبين رونشتد لأول مرة اتصال وثيق ، اذ اصبح هتلر حينذاك في موقف يتيح له ان يتأكد بأن رونشتد كان قد حكم على الموقف بصحة، ولا بد أنه قد سمع بدرجة الصراحة التي عبر بها رونشتد عن آرائه الانتقادية . وقد برزت الآن نفرة جلية بين هتلر وبين رونشتد ، وكانت هناك اختلافات جوهرية كل يوم تقريباً بين مقر القوات الالمانية المسلحة وبين القيادة الغربية . وقد أغاظت هتلر طريقة تعبير رونشتد عن آرائه ، الممعنة في صراحتها العالية في روحيتها .

وكان التعرض الروسي العظيم يزداد خطراً ، فكان على القيادة الغربية أن تستغني عن قطعات تزداد شيئاً فشيئاً ولا سيما القطعات المدرعة لارسالها الى الجبهة الشرقية ، فنتج عن ذلك مطالبة رونشتد بانسحاب كافة القوات المتيسرة في الغرب الى خط اقصر في الخلف وأن يتخلى عن هولندا ايضاً ، وقد التمس رونشتد في برقية معنونة الى هتلر شخصياً اطلاق يده ليعمل

بحرية في ادارة الحركات ، فلم يحظ بأي جواب في بادىء الامر ؛ وكما يمكن ان تتذكر بأن رونشتد كان قد وصله امر يقضي بأن يبقى كل شيء على حاله كما هو ، وأن كل شبر من الارض ينبغي ان يدافع عنه بعناد وضراوة .

لقد ازداد التوتر في نهاية شباط حينما عرّض رونشتد بـ (الجدار الغربي) متهكماً في تقرير رفعه الى القيادة العليا واصفاً اياه : بأنه (مصيدة فيران) !!..

لقد أثار هذا التقرير العنيف الخاص بالجدار الغربي استياء هتلر الشديد ، واعتبر ما جاء فيه إهانة ، وأدلى هتلر برأيه قائلاً : « ان العدو سيرتجف امام هذه التحصينات ، وانسجاماً مع هذا التوتر السائد المتزايد ، ارسل رئيس هيئة ركن رونشتد اللواء (ويستفال) تقريراً عن الموقف الى هتلر في برلين يوم ٦ مارت ، فعبّر عن آرائه في هذا التقرير بمثل اللهجة التي عبّر بها قائده العام في تقريره ، مما زاد في ثورة هتلر ، وقد ازداد التجافي من الناحية السياسية بينهما اضافة الى الاختلافات الشخصية والعسكرية .

كان هتلر متيقناً أن رونشتد شخصية معروفة خارج الحدود الالمانية ، ولم يكن سراً أن هذا الجندي كان محترماً في دوائر واسعة في الخارج ، وكان واضحاً لهتلر منذ امد بعيد ما يكنه لرونشتد كل من هيئة ركنه وقطعاته من حب وولاء ، ففي هذا الموقف اليائس لربما كان يخشى من ان يقبض رونشتد على زمام السلطة لكي يضع حداً للامور .

لقد اذاعت اذاعات الحلفاء في النصف الثاني من شباط (١٩٤٥) رسالة دعاية متقنة قالت فيها : « ان الحلفاء لن يرضوا بقبول الاستسلام الا من شخص واحد ، هو المشير فون رونشتد » . وبطبيعة الحال لم يصدق احد هذه الرسالة ، ولكن هتلر سمعها! وعندما علم رونشتد بهذه الرسالة الاذاعية، قال لرئيس هيئة ركنه متنبئاً : « الآن لن يطول هنا مقامي » .

ان من يعرف رونشتد الجندي يعرف تماماً انه لم يحنث بقسمه مطلقاً ، وقد اقسم قسم الولاء لهتلر فلن يحنث بقسمه !! ومع ذلك فان الدكتاتور بطبيعته لا يثق بأحد، لا سيا في مثل هذه الظروف اليائسة من عام (١٩٤٥) .

استدعي رونشتد الى برلين في غضون بضعة ايام من اذاعة الخبر السالف ، ففي يوم ٨ مارت اخبره المشير (كايتل) بأن هتلر يفكر في اجراء تبديل في القيادة الغربية ! وفي يوم ٩ مارت جرى اتصال هاتفي آخر اعلن فيه بأن المشير (كيسرلنك) قد يستلم القيادة في الغرب . وفي يوم ١٠ مارت ودع رونشتد هيئة ركنه وجنوده منصرفاً ، فانتظموا خطاً لتوديعه ، وعندما آوى الى سيارته ، شعر كل واحد : « الآن أنتهى كل شيء » ...

امر هتلر رونشتد ان ييمم شطر برلين ليراه هناك .. كانت المحادثة بين الاثنين قصيرة ، ولكنها كانت مهذبة ، اذ شكره هتلر على كل ما اسداه من جهود ، وقلده وسام سيوف صليب الفارس مبدياً له عاطفة كريمة ، واخبره بأنه اضطر الى القيام بتعرض (الأردين) على الرغم من انه شخصياً كان يائساً من النجاح ... وهكذا كشف النقاب عما كان يخالج نفسه من جعل اسم رونشتد في خدمته .

افترقا للمرة الاخيرة رجلين ليس بينهما في الحقيقة اي ضغينة ، وقد تمكن رونشتد بعد ذلك من الوصول الى (بادتويلز) في (بافاريا) العليا ، وبقي فيها حتى اسره الحلفاء بعد استسلام المانيا .

اضحت الحركات الاخيرة بعد ١٠ مارت (١٩٤٥) تزداد سرعة واضطراباً ، فلم يستطع القائد الجديد في الغرب ان يحسّن الموقف .. واستمر سوء الطالع في مجراه ، واستمرت الاقدار تعمل عملها ، وفي نهاية مارت او في نيسان عثر على وثيقة في دبابة بريطانية محطمة في الجبهة البريطانية ، وكان فيها تفصيل ما يتحتم على المانيا الرضوخ له عند الاستسلام .

ولكن مقاومة القطعات استمرت مدة طويلة، ولم تستسلم اكثر التشكيلات حتى ٩ مايس (١٩٤٥) ، وفي خلال هذه الاسابيع الاخيرة لا يمكن اعتبار ما يجري حرباً ، كما لم تكن هناك قيادة المانيـة بالمعنى الصحيح ، ومع ذلك استمرت القطعات الالمانية في القتال حتى النهاية الرسمية ..

اللواء الركن

الفهرس

هذا الكتاب

أصدر قادة الحلفاء من بريطانيين وأميركيين وسوفياتيين كتباً عن وجهة نظرهم في الحرب العالمية الثانية ، فترجم أكثرها إلى اللغة العربية ، واطلع القراء العرب على وجهة نظر الحلفاء فقط عن هذه الحرب .

وعلى الرغم من تأليف الألمان مؤلفات قيمة للغاية تظهر وجهة نظرهم أيضاً في أهم أحداث الحرب العالمية الثانية . إلا أن القارئ العربي الذي لا يحسن غير العربية بقي حتى اليوم لا يعرف شيئاً عن هذه المؤلفات .

والحق أن القادة الألمان حين أصدروا مؤلفاتهم توخوا إلى درجة كبيرة إظهار الحقائق التاريخية الخالصة ، لأنهم كانوا مغلوبين لا غالبين .

ما هي حقيقة نوايا هتلر السلمية والعدوانية ؟ كيف اندلعت نيران الحرب ؟ ما هي حقيقة الجيش الألماني على عهد هتلر ؟ ما هي حقيقة العلاقات الألمانية - الروسية قبل الهجوم الألماني على روسيا ؟ لماذا سمح الألمان للبريطانيين بالانسحاب من دانكرك ؟ ما هي عوامل انهيار فرنسا ؟ لماذا لم يهاجم الألمان بريطانيا في عقر دارها ؟

ستقرأ جواب كل ذلك في هذا الكتاب يرويها لك شاهد عيان ألمعي من أبرز قادة الألمان وضباط ركنهم .

إنه كتاب ألف لوجه الحقيقة التاريخية يفيد القارئ العسكري والمدني . بل يفيد كل مثقف عربي .

الناشر

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت